482

HARLEQUIN

روايات أحلام

خفقات مجنونة

ميشيل ريد

www.elromancia.com
مرمورية

خفقات مجنونة

تباع لمن يقدم السعر الأعلى . وهو اشترى البضاعة !
بإمكان زاندر باسكاليس أن يشتري أي شيء يريده ... بما في ذلك زوجة ! صحيح أن هيلين باهظة الثمن لكن زاندر يعرف الصفقة الجيدة حين يراها !
المشكلة هي انه لم يجرب البضاعة قبل أن يشتريها ....
منذ ليلة زفافهما ترفض هيلين أن تشارك زاندر سريره . فهي تعتقد أنه زير نساء مخادع و أن زواجهما زائف !
لكن زاندر قرر الآن أن هيلين حظيت بما يكفي من الوقت . وقد آن الأوان لجعل زواجهما حقيقيا و جعل زوجته العنيدة تفي بعهودها ....

www.elrwayat.com

ميشيل ريد

ترعرعت ميشيل ريد في السفوح الجنوبية من مقاطعة «مانشستر»، وكانت الأصغر سناً في عائلة مؤلفة من خمسة أولاد يعيشون في البيت خراباً. تقيم الآن في قرية «تشيشاير» الجميلة مع زوجها رجل الأعمال المنهمك وابنتيها الراشدتين. تعشق المطالعة والباليه ولعب كرة المضرب عندما تجد متّسعاً من الوقت. تكره الطهو والأعمال المنزلية وكيّ الثياب!

والعجيب أنها قد تستغني عن النوم، فهي تنتج أجمل أعمالها في ساعات الصباح الأولى.

١ - حادث وفضيحة

بدا الانتقال من قاعة الوصول في المطار نحو مخرجه الرئيسي أشبه بالسير على الأقدام في الجحيم، فالطريق بأسره محاط من الجانبين بالصحفيين المتربصين وبأضواء آلات التصوير الوامضة، والأصوات المتنافرة التي تطرح أسئلة ملحة، لكي تستفز جواباً مندفعاً. أبقى زاندر فمه مطبقاً بإحكام، وتجاهل الأسئلة الاستفزازية مثل: «هل لك أي علاقة بالحادث الذي تعرضت له زوجتك، سيد باسكاليس؟»، «هل كانت تعلم بأمر عشيقتك؟»، «هل انحرفت بالسيارة متعمدة عن الطريق لكي تنتحر؟»، «هل من سبب وجيه دفعك إلى سحب حارسها الشخصي في الأسبوع الماضي؟».

تابع زاندر السير قدماً موجهاً نظراته إلى الأمام مباشرة، بطوله الذي يناهز الست أقدام والإنشين، وجسمه المليء بالعضلات القوية الصلبة. سار نحو مخرج المطار برفقة ثلاثة من الحراس الشخصيين الحرصين على أمنه وحمايته، تجمعوا حوله كالذئاب الحامية التي تحرس رئيس المجموعة. بقيت الأسئلة تنهال عليه أثناء مسيرته، وما انفكت أضواء آلات التصوير تومض، لتلتقط صور وجهه الأسمر ذي الملامح الصارمة. في داخله راح السخط العارم يغلي على مهل، حتى كاد يصل إلى نقطة الانفجار. إنه معتاد على أن يكون مركز اهتمام وسائل الإعلام، لكن الأمر مختلف هذه المرة. لا شيء... لا شيء قالوه عنه من قبل كان بهذا السوء أو يحمل إمكانية التدمير كهذا الكلام.

وصل زاندر إلى الخارج، وقطع الرصيف نحو سيارة الليموزين، حيث ينتظره سائقه ريكو. دخل زاندر إلى السيارة، وانغلق الباب

www.elromancia.com

خلفه. في هذه الأثناء قام حراسه الشخصيون بالانتشار على شكل حلقة لإبقاء الصحفيين بعيداً عنه. بعد مرور عشر ثوان تحركت السيارة مبتعدة خلف المنعطف وأخذت سيارة أخرى مكانها كي يستقلها رجال زاندر.

رشق زاندر كلامه بنبرة خشنة تجاه الرجل الجالس إلى جواره: «كيف حالها؟».

ردّ لوك موريل: «إنها ما تزال في غرفة العمليات».

أطبق فك زاندر الشبيه بالغرانيت الصلب بعنف لدى تخيله صورة هيلين الجميلة ممدّدة على طاولة الجراحة. لم تبدُ هذه الرؤية أكثر سوءاً من تخيلها خلف مقود سيارتها المنقلبة، وقد تلطخ شعرها الأحمر القاني ووجهها الذي يشبه شكل القلب، بالدماء. أرخى زاندر فكه، وقال: «من بقي معها في المستشفى؟».

أجاب لوك موريل بعد تردد قصير: «لا أحد. رفضت أن تسمح لأحد بالبقاء».

أدار زاندر رأسه، فثبّت نظراته الضيقة على وجه مساعده الشخصي، ثم قال: «ما الذي حصل لهيوغو فانس، بحق الجحيم؟».

- نيل صرفته منذ أسبوع.

بدأ الصمت يغلي على نار هادئة إثر سماع تلك المعلومة القيّمة، داخل السيارة الفخمة. سأل زاندر: «أكنت تعلم بهذا الأمر؟».

ابتلع لوك موريل ريقه، ثم أومأ بالإيجاب قائلاً: «هيوغو فانس اتصل بي هاتفياً ليعلمني بما فعلته نيل».

- لماذا إذاً، بحق الجحيم، لم يتم إطلاعي على ذلك؟

- كنت منشغلاً جداً.

أطبق زاندر شفتيه على بعضهما. إنه منشغل على الدوام، فالانشغال هو طريقة لعينة للعيش!

- إذا أخفيت عني أمراً كهذا مرة ثانية سوف أطردك.

قال زاندر ذلك بنبره لاذعة للرجل الآخر. تحرك لوك موريل في مكانه بتوتر، فيما تمنى بحق الجحيم لو أن هيلين الجميلة بقيت سجينة

خلف أبواب الملكية الريفية الخاصة، ولم تقرر أنه قد آن الأوان كي تغامر، فتخرج لتلقي نظرة على الحياة.

- إنه حادث زاندر. كانت تقود بسرعة قصوى...

حرّك زاندر كتفيه العريضتين داخل بذلته الرسمية الغامقة الأنيقة، وقال للرجل: «السؤال هو... لماذا كانت تقود بسرعة قصوى؟».

لم يجبه لوك. في الواقع هو ليس بحاجة لأن يفعل ذلك، فبمقدور زاندر أن يحلل الأمور بنفسه، فيستنتج الجواب. يوم أمس تصدر اسمه صحف الشائعات إلى جانب صورة له في أحد المطاعم النيويوركية التي يفترض أن تكون بعيدة عن تطفل الصحفيين، وقد وقفت فانيسا دي فريس إلى جانبه. تقلصت بشرة زاندر فوق عضلات وجهه المشدودة، عندما فكر بتلك الحادثة. إن حماية نيل من مشاهد محرجة كهذه هو واجب عليه، لم يتنصّل منه أبداً، لكن أحد المصورين التقط تلك الصورة الفوتوغرافية المقيتة بسرعة، ثم انسل مبتعداً. لابد أن نيل شعرت بالانزعاج والغضب. من بحق الجحيم يعلم ما الذي جال داخل رأسها الجميل؟ توقف زاندر عن محاولة اكتشاف ذلك منذ سنة خلت، بعد أن تزوجته في حفل زفاف يمكن تسميته «مهزلة القرن الجديد»، إلا أنها رفضت أن تشاركه سريره. أما هو فما عاد يريدها في أي مكان قريب منه، بعد أن أطلقت نيل عليه بعض الألقاب القذرة مثل: «الشيطان المستبد»، و«زير النساء» وما شابه.

تذكر زاندر أن صوره مع فانيسا كانت العامل المحرك حينها. كان زاندر برفقة فانيسا خلال الأسبوع الذي سبق زواجهما. دعاها إلى العشاء في مطعم عصري جداً، ثم عاد ورافقها إلى شقتها. قيامه بذلك على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، جعله يعتقد بغباء وسذاجة أنه آمن. لكن... هنا في المملكة المتحدة كانت عروسه العتيدة، الشابة، اللطيفة، تتابع بشغف كل تحركاته كما هي منشورة في أعمدة الشائعات في الصحف النيويوركية وعلى صفحات الإنترنت.

الساحرة الصغيرة المحتالة لم تخبر أحداً بذلك! التوى فم زاندر

www.elromancia.com

بعبوس، وهو يتذكر كيف سارت نحوه في رواق الكنيسة متجهة نحو المذبح. بدت أشبه بالملاك في ثوبها الحريري. ابتسمت له نيل، وتركته يضع خاتمه في إصبعها الأبيض النحيل، ويتلو عهوده بأنه سيحبها ويحترمها ويحميها، كما سمحت له بذلك العناق التقليدي الوحيد، حين أعلنهما الكاهن زوجاً وزوجة. يومها ابتسمت ليتم التقاط صور الزفاف لهما، وظلت مبتسمة طيلة حفل الغداء المطوّل الذي يتبع المراسم. ابتسمت حتى عندما أخذها بين ذراعيه ليؤديا رقصة العروسين التقليدية. حين وصلا إلى جناحهما الخاص في الفندق، قامت نيل ببث سمها كالأفعى الخبيثة السامة. قذفته بكلمات حاقدة، بدت أشبه بسهام جليدية أيقظته من عالم الأحلام الخاص به، بدلاً من أن يقوم هو بإيقاظ جميلته النائمة بذاك النوع من الحب الذي يجدر به أن يجعلها متعلقة به لمدى الحياة. بدت نيل يومها بريئة جداً إلى درجة تكاد تكون غير واقعية. تلك البراءة نفسها كانت منقذتها الوحيدة خلال ليلة زفافهما البائسة، وما تزال كذلك. فقط لو أنها تعلم...

استفسر زاندر الآن، فيما أعاد ذهنه إلى الأزمة الحالية: «أفترض أنك تعلم لِما صرفت فانس».

تحرك الرجل إلى جانب زاندر بتوتر، فأدار هذ الأخير رأسه ذا الشعر الأسود مجدداً. أحس بوخز يلسع قفا عنقه، عندما لاحظ التعابير المحترسة التي ارتسمت على وجه مرافقه. بدا وجه لوك حذراً... حذراً جداً. حتى إن لمحة من اللون الأحمر بدأت تلطخ خديه الباهتين.

قذفه زاندر بكلامه صارخاً: «انطق بما لديك».

رفع لوك يده بحركة تدل على قلة الحيلة، فتكلم بصوت بدا هادئاً جداً، لم يعجب به زاندر، إذ قال: «أصغِ إلي زاندر! لم يكن الأمر جدياً بما فيه الكفاية كي تتدخل أنت، لكن هيوغو خشي أن... تخرج الأمور عن سيطرته، لذا نصح نيل بالتوقف، لكنها...».

- نصح نيل بالتوقف... عن أي شيء؟

قاطع زاندر ثرثرة لوك، فيما وصل التوتر الآن إلى كل عظمة من عظامه، وانطلقت غرائزه بتنبه كامل. لن يُعجب بما سيقوله لوك. إنه واثق من هذا إلى درجة أن أسنانه المطبقة أخذت تصطك.

أقر لوك بتردد: «رجل. إنه... إنه صديق... كانت نيل تقابله مؤخراً».

* * *

أحست نيل كأنما جسدها يطوف. بدا ذلك حقاً إحساساً غريباً. لفّها جو من الزغب الناعم، لكنه مرعب في آن معاً. لم تقوَ على فتح عينيها. حاولت عدّة مرات أن تفعل ذلك، لكنها أحست كأن جفنيها ملصقان إلى الأسفل، كما آلمها حلقها عند بلع ريقها، أما فمها فبدا جافاً جداً إلى درجة أن عملية البلع بدت مستحيلة على أي حال. علمت نيل أين هي بالتحديد، بعد أن استرجعت ذكرى مبهمة لحادث السيارة، تلاه نقلها بسرعة إلى المستشفى. آخر شيء تذكره هو أنها أدارت محرك سيارتها الرياضية الصغيرة ذات السطح المكشوف، وقادتها بسرعة نزولاً على درب الخروج الطويل في روزمير، فاتجهت نحو البوابات الحديدية الضخمة. استطاعت نيل أن تتذكر الشعور الجامح بالابتهاج الذي أحست به عندما انفتحت البوابات الحديدية في الوقت المناسب ما سمح لها بالانطلاق عبرها من غير أن تضطر إلى تخفيض سرعتها. ألم تدرك تلك البوابات الغبية أنها سمحت للتو للطائر الأسير بالفرار؟ عبست نيل، وقد حيّرها سبب بروز هذه الكلمة إلى ذهنها. فجأة أخذت تئن عندما سبب لها العبوس ألماً، انطلق مباشرة عبر مقدمة رأسها.

تحرك أحدهم على مقربة منها، وناداها صوت عميق: «نيل...!».

تمكنت نيل من فتح عينيها قليلاً. حدّقت نحو ظلال جسد رجل نحيل، يرتدي بذلة غامقة اللون، ويقف بتصلب عند طرف سريرها. تعرفت نيل إليه على الفور. إنه زاندر! تجمعت المرارة في صدرها،

www.elromancia.com

وشعرت بوخز مؤلم في قلبها. ما الذي يفعله زاندر هنا؟ هل توقفت عجلة الشركات عن الدوران أو ما شابه؟ لا شيء أقل من هذا قد يمنحه الوقت كي يزورها في المستشفى. أرادت أن تطلب منه الرحيل، لكنها لم تتحلَّ بما يكفي من الطاقة لتفعل، لذ أغمضت عينيها.

- نيل! هل أنت قادرة على سماعي؟

بالكاد وقعت عيناها عليه منذ أشهر. لم تره منذ أن حضر فجأة يوم عيد مولدها، فسحبها بالقوة كي تتناول العشاء معه. أصر زاندر يومها على تناول العشاء في جو رومنسي، حيث أحاطت بهما أنوار الشموع. رسم رأسها المشوش صورة لشكله الوسيم الأسمر، وتراءى لها تلاعب ضوء الشموع بشعره الأبنوسي الأسود وبالوهج الذهبي لبشرته، فيما جلس قبالتها إلى الطاولة، وثبّت نظرات عينيه السوداوين على وجهها. أظهر زاندر تلك اللامبالاة المتكاسلة، التي صرف بها نظرات الإعجاب التي تلقاها من كل امرأة أخرى في الغرفة، لكونه رجلاً مميزاً وهو يعلم أنه مميز. ما من شخص في ذلك المطعم لم يعرف هذا الأمر، بمن فيهم نيل، على الرغم من أنها الوحيدة التي رفضت إظهار إعجابها بتميزه.

- عيد ميلاد سعيد!

قال لها زاندر ذلك بينما دفع بأنامله الطويلة السمراء علبة مخملية عبر الطاولة نحوها. فتحت نيل العلبة، فرأت داخلها سواراً مرصعاً بالماس. إن كان يتوقع منها أن تتأثر، فنيل لم تفعل. أيظنها لا تعلم أن سواراً مماثلاً هو نوع من الأشياء التي يقدمها رجل مثله إلى عشيقته مقابل خدمات توفرها له؟ أتراه لا يملك ذرة من الإحساس خلف غروره ذاك؟ في الواقع هذا ما تبين لها حين تجرأ أن يعلن لها أنه يرغب في إعادة مناقشة عقد زواجهما، كما لو أن حلية صغيرة كهذه هي جل ما يتطلبه الأمر لجعلها توافق. دفعت نيل العلبة، فأعادتها له عبر الطاولة وقالت لا، للسوار ولطلبه على السواء. يومها أعادها زاندر بسيارته إلى روزمير، ثم قاد السيارة، ورحل مجدداً، ليعود إلى دوامة

حياته المحمومة كزير نساء يوناني جذاب. لربما أعطى السوار لامرأة أخرى... فانيسا مثلاً، التي ستقدّر الأمر أكثر.

- أنا أكرهه!

فكرت نيل بذلك، ولم تدرك أن الكلمات خرجت من فمها. سمعت صوت تحريك المفروشات ما جعلها تعبس مجدداً. رفعت يدها المرتخية الشاحبة بوهن نحو الألم الذي طعن جبينها، فأمسكت يد أخرى بأناملها لتوقف تقدمها. قال زاندر بصوته الأبح: «لا تضعي يدك، نيل! لن يعجبك الأمر».

شقّت نيل عينيها مجدداً، فوجدت زاندر قد انتقل من وقفته المتصلبة عند طرف سريرها، فجلس الآن على كرسي إلى جانب السرير، وصار وجهه قريباً من وجهها. راقبها بنظرات ثابتة بعينيه السوداوين، من بين أهدابه الطويلة، فيما ظهرت لمحة من التوتر على زاويتي فمه.

- كيف تشعرين؟

هاجمها الألم في مختلف أنحاء جسمها، لاسيما في قلبها الذي انفطر مرة وما زال يعاني. أغمضت نيل عينيها، فصدّت مرآه مجدداً. لا يفترض به أن يكون هنا. يجدر به أن يكون في نيويورك، حيث يستمتع برفقة فانيسا الجميلة ذات الشعر الأسود الطويل، والجسد الرشيق. فانيسا التي لم تتوانَ عن خطف زوج امرأة أخرى، والتي تسر بتلقي هدايا مقابل خدماتها له.

ثابر زاندر يسألها: «هل تعلمين أين أنتِ؟».

ارتعشت نيل عندما لامست أنفاسه الدافئة وجهها بلطافة. بدا زاندر مصراً على إعلامها، فقال: «أنت في المستشفى. تعرضتِ لحادث سيارة. هل أنتِ قادرة على سماعي، نيل؟».

بدأ رأس نيل يؤلمها مجدداً. انشقت شفتاها لتقول له: «ارحل! أنا لا أريدك هنا».

كادت نيل تستشعر بتوتره يصطدم بها، فأنامله الملساء التي ما زالت

www.elromancia.com

ممسكة بأناملها انتفضت بشكل لا إرادي. مدّ زاندر يده الأخرى فمسّدت أنامله الباردة بلطف خصلة شعر شاردة بعيداً عن خدّها. غمغم قائلاً: «أنت لا تعنين ذلك، عزيزتي».

سرعان ما أحست بالدموع تخز مؤخرة عينيها، لأن لمسته الخفيفة أثارت لديها أحلاماً قديمة عن مارد رقيق يداعبها بهذا الشكل. لكن هذا كل ما هي عليه: أحلام قديمة فارغة تعود لتطاردها من حين إلى آخر. تحركت نيل بتململ، ثم صرخت بنشيج معذب ضعيف، إذ انطلق الألم الحقيقي في كل مكان من جسدها.

- لا تتحركي، أيتها الغبية!

خدشت الخشونة المفاجئة في صوته بشرتها، كأنها نصل سكين مسنّن. رفعت نيل يدها إلى الأعلى لتغطي الجانب الأيسر من ضلوعها، حيث وخزها الألم. فجأة غاص السرير إلى جانبها، وأطبقت أنامل زاندر الطويلة على كتفيها الضيقتين لتبقيهما ثابتتين.

- اصغي إلي...!

أطلق لوك شتيمة بصوت خافت، ثم تكلم بصوت يشبه الجلد بالسوط قائلاً: «حاولي أن تبقي ثابتة. تعرضت لكدمات شديدة، والألم في صدرك سببه بضعة ضلوع مكسورة. أنت تعانين أيضاً من ارتجاج خفيف، كما أصبت بنزيف داخلي جعل الأطباء يجرون لك عملية جراحية. نيل! إنك...».

- أي نوع من العمليات الجراحية؟

- تأذت زائدتك الدودية عندما اصطدمت سيارتك، فاضطروا إلى استئصالها.

الزائدة الدودية! أهذا كل شيء؟ أنّت نيل غير مصدقة.

قال لها زاندر: «إذا كنت قلقة بخصوص الندوب، فلا تقلقي. أجروا العملية الجراحية عبر ثقب صغير بالكاد يترك أثراً. سوف تعودين سليمة كما كنتِ دوماً خلال بضعة أسابيع فقط».

أتراه يعتقد فعلاً أنها تأبه لندوب سخيفة؟ في غرفة الطوارئ في

الأسفل سمعتهم نيل يتداولون الكلام بخصوص كل أنواع السيناريوهات كالطحال المنفجر وصولاً إلى المبيضين!

- أنا أكرهك كثيراً!

انفجرت باكية بدموع حامية صارخة خانقة، ترافقت مع الصدمة المتأخرة. تراكض الممرضون نحوها، أما زاندر فأفلتها، ثم هب واقفاً على قدميه. بعد ذلك لم يعد على مرأى منها، لكنها بقيت قادرة على سماع صوته البارد وهو يقول: «هل يستطيع أحدكم أن يشرح لي لِما تتشارك زوجتي بالغرفة نفسها مع ثلاثة مرضى آخرين؟ ألا تعني الكرامة الشخصية أي شيء هنا...؟».

عندما استيقظت نيل للمرة الثانية، كان المكان مغموراً بالظلام باستثناء نور خافت مضاء فوق رأسها. استطاعت أن تفتح عينيها من دون أن تضطر إلى إجبارهما بالقوة على ذلك، كما أنها كانت تشعر بارتياح أكبر. حركت رأسها على الوسادة بحركة حذرة تجريبية، فلم تشعر بأي ألم يهاجم جبينها، عندئذٍ سمحت لنفسها بإطلاق تنهيدة ارتياح، ثم بدأت تهتم بملاحظة محيطها. هناك شيء ما مختلف لم تستطع تحديده.

أعلمها صوت عميق: «تم نقلك بعد ظهر هذا اليوم إلى مستشفى خاص».

أدارت نيل رأسها إلى الناحية الأخرى، فرأت زاندر واقفاً في الظل بالقرب من النافذة. أطلق قلبها خفقة صغيرة عديمة الحيلة. مستشفى خاص! غرفة خاصة! همست نيل بارتباك: «لماذا؟».

لم يجبها زاندر. لِم قد يفعل؟ إن رجلاً مثله لن يترك زوجته تحت رعاية الخدمات الصحية الوطنية العادية، في حين أنه قادر على دفع ثمن هذه الخدمات. نظرت إليه وهو واقف هناك يحدق من النافذة. كان قد خلع سترة بذلته الغامقة اللون، كما أرخى ربطة عنقه. ظنت لوهلة أنها رأت لمحة عن الرجل الذي وقعت في حبه منذ سنة مضت. إنه الرجل الذي رأته ذلك المساء، حين دخلت إلى مكتب والدها

www.elromancia.com

فوجدته هناك. كان زاندر واقفاً بالقرب من النافذة، ويحدق بعبوس إلى ما خلف الزجاج. في تلك الليلة بالذات طلب زاندر يدها للزواج من دون مقدمات رومنسية، بعدئذٍ خرجا لتناول العشاء سوياً بضع مرات. راقبه الناس بفضول وهو يحتكر اهتمامها، أما هي فكانت تحمر خجلاً لأنها ليست معتادة على رفقة رجل مثله.

كانت نيل في الحادية والعشرين من عمرها، وقد عادت حديثاً بعد قضاء ثلاث سنوات في أعلى جبال الروكيز الكندية مع والدتها. كانت قد قصدت كندا في زيارتها السنوية التي تدوم أسبوعين، لكنها بقيت هناك عندما أعلمتها والدتها أنها لن تعيش طويلاً. أحبت نيل أن تعتقد بأن رفقتها الهادئة منحت والدتها بضع سنوات إضافية من الحياة قبل أن تتفاقم حالتها. عودتها إلى إنكلترا، إلى نمط عيش والدها الدائم الانشغال، بدت نوعاً ما بمثابة صدمة ثقافية بالنسبة إليها. ذهبت نيل إلى كندا وهي طفلة، فأمضت غالبية حياتها وهي تتنقل من مدرسة داخلية إلى أخرى، حيث حظيت بتواصل ضئيل جداً مع الحياة الاجتماعية لوالدها الصناعي الكبير. أما السنوات التي أمضتها في العيش بسكون مع والدتها، فلم تكن تحضيراً ملائماً لفتاة نضجت لتصبح امرأة جذابة من دون أن تدرك ذلك حقاً، إلى أن قابلت أليكساندر باسكاليس...

- هناك أمر خطير على وشك الوقوع!

عبست نيل وتنهدت. هذا الرجل الطويل الغامض الصامت الناظر خارج النافذة هو من قال لها هذه الكلمات، ثم تابع: «خطير عليك وعلى شخص قريب منك».

زمجر زاندر بذلك الكلام، وهو يجذبها إلى ذراعيه ويعانقها، قبل أن يسألها أن تتزوج به. أشاحت نيل بنظرها عن بنيته الطويلة الجامدة، فهي لا ترغب بالعودة إلى ذكرى تلك الأيام، حين أحبته بشدة إلى درجة أنها كانت مستعدة للزحف حافية القدمين فوق قطع الزجاج المتكسّر من أجل البقاء معه. تلك الأيام ولّت منذ زمن، وكذلك عزة

نفسها، واحترامها لذاتها، وافتتانها الظاهر في تألق عينيها. شعرت أن فمها جاف. بالكاد استطاعت أن ترفع أناملها عن السرير، وهي تحاول مد يدها نحو كوب الماء الذي استطاعت أن تراه إلى جانبها. همست بصوت أجش: «أريد أن أشرب».

حضر زاندر إليها خلال لحظة، فجلس على السرير، وأزلق ذراعه تحت كتفيها، ثم رفعها بما يكفي كي يضع كوب الماء على شفتيها. أحست نيل بدفئه وقوته وهي ترتشف المياه، وكلاهما إحساسان غريبان بما أنه لم يمسك بها بمثل هذا القرب منذ يوم زفافهما.

- شكراً لك.

تمتمت نيل بذلك، فسحب زاندر الكوب مجدداً. أنزلها بلطف لترتاح من جديد على الوسائد، ثم تراجع قليلاً، لكنه لم يبتعد. علّق بصورة غير متوقعة: «سيارتكِ انحرفت عن الطريق».

توترت كتفا نيل النحيلتين، وقالت: «آه... ! أحقاً؟».

أومأ زاندر، ثم انتفض فمه المطبق بتوتر، وقال: «لابد أنك كنت تقودين بسرعة فائقة، بحيث تحطمت السيارة تماماً على تلك الشجرة».

كذبت نيل، قائلة: «أذكر فقط أنني قدت السيارة عبر البوابات في روزمير، ثم استدرت بها نحو الطريق. بعد ذلك... لا شيء».

ساد السكون على زاندر لبضع ثوان، واستطاعت نيل أن تشعر به يدرس ملامحها. بدأت وجنتاها تصابان بالحماوة، فالكذب ليس أحد مواطن قوتها. غيرت الموضوع فسألت: «كـ... كم هو الوقت الآن؟».

قفز زاندر على قدميه مجدداً، قبل أن ينظر إلى ساعة يده الذهبية المحيطة برسغه، ويقول: «الثانية والنصف صباحاً».

رفعت نيل بصرها، لتتأمل الطريقة التي يطوف بها جسده الطويل في الغرفة، فيما عاد زاندر واتخذ موقعه السابق بالقرب من النافذة.

- ظننتك في نيويورك.

- عدت من هناك... كما هو واضح.

قالت له بضيق: «حسناً! لست مضطراً إلى البقاء هنا لأجلي».

إنه في العادة لا يبقى متسكعاً. فهو يمشي داخل حياتها وخارجها كما لو كان ولي أمرها، فيطرح الأسئلة المهذبة الصحيحة عمّا فعلته منذ أن رآها آخر مرة. أحياناً كان يتمهل لفترة طويلة لكي يجرجرها لترافقه إلى مناسبة رسمية ما، فقط من أجل الحفاظ على المظاهر. كان يشغل الجناح الملاصق لغرفة نومها، لكنه لم ينم أبداً فيه. تحركت بتململ، فشعرت بالألم. أجبرت نفسها على السكون مجدداً. بدأت تشعر بثقل في أهدابها، ولم تقوَ على الصمود أكثر. غمغمت قائلة: «ارحل... زاندر! أنت تجعلني... أشعر بالتوتر، بالبقاء متسكعاً هنا...».

فكر زاندر بغموض أنها لن تلحظ ذلك حتى، فيما راقب الكاذبة الصغيرة تغرق في نوم عميق.

اللعنة! الحالة البائسة لجسدها الجريح تصدمه. بدا شعر نيل مشعثاً وفوضوياً، وهو ملقى فوق الوسادة. تذكر المرة الأولى التي رآها فيها، عندما خطت داخل بيت والدها، وقد وصلت للتو من نزهة مع كلابها. كان الطقس يومها عاصفاً وبارداً. كان وجه نيل متألقاً، وشعرها الرائع الذي يصل طوله حتى خصرها جامحاً متموجاً بالحياة. أما عيناها الخضراوان المحاطتان بهالة فيروزية، فبدتا متقدتين بالضحك، لأن أحد الجراء الذهبية عزم على الدخول إلى المنزل أولاً، فقفز متجاوزاً نيل، لكنه استقر على مؤخرته منزلقاً ليتوقف عند قدمي زاندر. في تلك اللحظة لاحظت نيل وجوده، فرفعت بصرها إلى الأعلى صعوداً من حذائه الجلدي الأسود، وحين وصلت إلى وجه زاندر، توقف ضحكها وتحول إلى خجل محبب صبغ لون خديها...

إنه عالق باستذكار ما حصل له كلما احمّر خدا نيل خجلاً أو حتى بمجرد أن تنظر إليه. كان يجدر به أن يتراجع ما دامت أمامه فرصة لذلك. ليس من عاداته أن يمزج ما بين العمل والمتعة، وذاك النوع من الأعمال التي يجريها مع جوليان غاريت بحاجة إلى ذهن بارد صاف.

كانت لديه عشيقة جميلة شغوفة، تعرف ما يحبه، ولا تتوقع الكثير في المقابل، فما حاجته إلى هذه المرأة ذات الشعر الجامح والعينين الساحرتين، التي تتمتع ببراءة مدونة بوضوح على وجهها المحمر خجلاً؟

شقّت تنهيدة صدر زاندر. نيل على حق. يجب أن يبتعد من هنا، فيبدأ بالمهمة التي لا يمكن التغاضي عنها، عله يتمكن من إصلاح ما تخرب. انتابه شعور بأن الأوان فات على القيام بذلك. لابد أن الصحافة بدأت للتو بإطلاق الشائعات اللعينة. الجزء الوحيد الذي يأمل به هو أن الصحافة لا تعلم ما الذي كانت نيل تنوي فعله عندما سحقت سيارتها على ذلك الطريق الريفي الهادئ.

سُمِعَ طنين جهاز تلقي الرسائل الإلكترونية على هاتفه. استدار زاندر مبتعداً عن النافذة، وذهب ليأخذ سترته من حيث قذفها على الكرسي. نقب عن الجهاز وأخرجه من إحدى الجيوب. هيوغو فانس يحاول الاتصال به! أطبقت أسنانه على بعضها بقوة. فكر بعبوس ضارٍ أنه ينوي اكتشاف الحقيقة بشأن صديق زوجته الجديد. هز كتفيه وارتدى سترته، ثم أرسل نحو نيل نظرة أخيرة حارقة مظلمة، وخرج بهدوء من الغرفة.

٢ - سجينة!

أحست نيل خلال الأيام القليلة التالية كما لو أنها وضعت في حجر صحي، فالأشخاص الوحيدون الذين أتوا لزيارتها ينتمون إلى الطاقم الطبي. شعرت بالصدمة عندما سمحوا لها أن تستحم، فرأت لأول مرة الرضوض التي أصيبت بها. لو أن أحدهم قال لها إن ضغط حزام الأمان في السيارة على جسدها بقوة ينطبع كالوشم عليه لما صدقته، لكن هذا الرأي سقط حين لاحظت الآثار التي ظهرت على بنيتها النحيلة على شكل خطين بشعين عميقين من الكدمات البنفسجية الغامقة اللون. لاحظت أيضاً الحفرتين والقطب التي نتجت عن العملية الجراحية، أما ضلوعها المكسورة فما زالت تسبب لها ألماً جنونياً كلما تحركت. ظهرت الكدمات والخدوش أيضاً على رجليها، وعلى ذراعيها ووجهها بسبب جرفها لأجمات الأعشاب والأشواك بسيارتها المكشوفة قبل أن تصطدم بالشجرة. معرفتها البائسة أن زاندر رآها بهذه الحالة، لم تساعدها على أن تشعر بشكل أفضل. لا عجب أنه لم يزعج نفسه بالمجيء ليزورها مجدداً.

أحضر لباس نومها وما تحتاج إليه من الأغراض الخاصة إلى المستشفى. كما تلقّت دزينة من الورود الحمراء، فافترضت نيل بتهكم أن ذاك هو أسلوب زاندر في الحفاظ على المظاهر. على الأرجح أنه عاد إلى نيويورك، كي يلعب دور رجل الأعمال الهام خلال النهار، ودور العاشق اليوناني العظيم خلال الليل مع فانيسا الجميلة. لو أن بمقدروها أن ترمي الورود من النافذة لفعلت، لكنها تفتقر إلى القوة للقيام بذلك.

ساعدها الحمام الذي أخذته كي تشعر بالتحسن قليلاً، أما الممرضة فساعدتها على غسل شعرها بالشامبو، ثم اعتنت بها وساعدتها على تجفيفه مستخدمة مجفف الشعر. حين عرجت سائرة خارج الحمام، أصبحت نيل مستعدة لأن تهتم بالعالم الخارجي مجدداً.

- أنا بحاجة إلى هاتف.

قالت نيل ذلك للممرضة، بينما انتقلت بتؤدة عبر الغرفة وهي تتألم، وتتمسك بقطع الأثاث، لكي تدعم جسدها الواهن. تابعت قائلة: «من الغرابة ألاّ يكون هناك هاتف قرب السرير!».

لم تجبها الممرضة، بل أشاحت برأسها، بينما انتظرت نيل لتنزلق بحذر عائدة إلى السرير. عندئذٍ فقط بدأت نيل تدرك أن الغرفة ليس فيها هاتف، كما أنها تفتقر أيضاً إلى جهاز تلفزيون. أي نوع من المستشفيات الخاصة هذا الذي رماها فيه زاندر، بحيث لا تتوفر فيه الخدمات الأساسية؟

طالبت نيل بالحاجتين معاً، لكنها لم تحصل على أي منهما، فغيرت وجهتها. توسلت الحصول على صحيفة لتقرأها أو على بضع مجلات، لكن عبثاً... لزمها أربع وعشرون ساعة إضافية كي تستوعب حقيقة أن كل أساليب التواصل مع العالم الخارجي قطعت عنها عمداً. بدأت تصاب بالهلع، وتساءلت عما جرى في الخارج، ولا يريدونها أن تعلم بأمره. أهو والدها؟ أيعقل أن مكروهاً أصابه؟ صعقت نيل لأنها لم تفكر به قبل الآن، فجلست مستقيمة، فيما أطبقت عليها الكآبة بتشنج معذّب أليم عبر صدرها.

هذه هي الحالة التي وجدها عليها زاندر: جالسة على حافة السرير قابضة على صدرها وتجاهد لكي تتنفس بشهقات قصيرة مؤلمة. مشى بخطوات واسعة إلى الأمام، وقال: «بحق الجحيم! ما الذي...؟».

شهقت نيل قائلة: «أبي... ما الذي حدث له؟».

عبس زاندر، وسألها: «متى؟ أنا لم أسمع شيئاً. هيا! استلقي

مجدداً...».

قاطعته نيل بقلق: «أين والدي؟ لِم لم أسمع أخباره؟».

استقام زاندر، وقلب الأغطية فوقها بحركة رأت نيل أنها تدل على المقت، ثم قال لها: «لكنك سمعت أخباره. إنه عالق في سيدني. ألم تستلمي أزهاره وملاحظته».

الأزهار الوحيدة التي استلمتها كانت... أدارت نيل رأسها، فنظرت إلى زهرية الورود الحمراء، وتمنّت فجأة لو أنها ميتة. همست بغير ثبات: «ظننتها منك أنت».

بدا زاندر مرتبكاً تماماً لسماعه فكرة أنه قد يرسل لها الورود. التفّت نيل حول نفسها، وابتعدت عنه قدر ما تجرأت من دون أن تؤذي نفسها. قبضت بأناملها على الأغطية، وجذبتها إلى الأعلى نحو خدها الشاحب. أما زاندر فعلق قائلاً: «ولأنك ظننتِ أنني أنا من أرسل الورود، لم تزعجي نفسك حتى بقراءة الملاحظة المرفقة بها. يجب أن تخجلي من نفسك، نيل!».

أسقط البطاقة على الوسادة إلى جانب وجهها، وكانت ما تزال مختومة داخل مغلّفها.

أنت أيضاً يجدر بك أن تخجل من نفسك! فكرت نيل بذلك وهي تلتقط المغلف وتفض الختم. حتى الرجل الذي لا يمكنه أن يحتمل منظر زوجته، يقوم بإرسال الأزهار لها عندما تمرض.

رسالة والدها الموجزة والمباشرة والخالية من المقدمات كالعادة تقول: «يؤسفني سماع خبر الحادث. لم أتمكن من العودة لأراكِ. اعتني بنفسك. أرجو أن تتحسني بسرعة. مع حبي، والدك».

لم تتفوه نيل بكلمة. أعادت البطاقة الصغيرة إلى المغلف، ثم دفعت بها تحت الوسادة، لكن الدموع المعبّرة تجمعت في عينيها. أسقط زاندر كلامه في الصمت الثقيل، قائلاً: «أراد أن يعود، لكنه عالق في مفاوضات هامة مع الحكومة الأسترالية، وأنا... طمأنته بأنك ستتفهمينه إن بقي حيث هو».

هذا هو والدها. لا عجب أن والدتها هجرته لكي تعود إلى وطنها الأم كندا. كانت نيل في سن المراهقة حين اكتشفت أن والدتها بدأت علاقة غرامية مع حبيب عرفته منذ أيام الصبا، فعادت إلى كندا لتبقى معه.

وجهت نيل الكلام إلى زاندر قائلة: «أنا أريد هاتفاً».

علق زاندر كما لو أنها لم تتكلم قط: «الكدمات التي كانت على وجهك بدأت تتلاشى... تبدين بحال أفضل».

كررت مطالبة: «أريد هاتفاً. تركتني من دون مال، ومن دون حقيبة يدي أو ملابسي أو هاتفي النقال».

- أنت لا تحتاجين إليها ما دمت مستلقية هنا.

- إنهم لا يسمحون لي بالحصول على جريدة أو مجلة. كما أنه ليس لدي تلفزيون ولا خط هاتف.

أعطته قائمة كاملة بشكاويها، بعد إدراكها أن أمر عزلها يعود إليه بالتأكيد. طالبته قائلة: «إن لم يكن والدي السبب، فما الذي تحاول إخفاءه عني إذاً، زاندر؟».

لم يبدِ زاندر أي جواب، بل وقف في مكانه فقط وهو ينظر نحوها بعينيه اللتين لا يدرك كنههما، ثم استدار ومشى بخطوات واسعة إلى خارج الغرفة من دون أن يودعها. حدّقت نيل خلفه بفزع مؤلم. هل وصل زواجهما الكارثي هذا إلى مرحلة لم يعد قادراً معها على إزعاج نفسه باعتماد اللباقة معها؟ مضت خمسة أيام من دون أن تسمع كلمة واحدة منه، ثم دخل إلى هنا بقوته الديناميكية القادرة، وهو يبدو وسيماً إلى حد غير معقول، ونظر إليها كما لو أنه لا يحتمل منظرها، ثم عاد وخرج من جديد. إنها تكره أليكساندر باسكاليس! كان يجدر بها أن تهجره عندما سنحت لها الفرصة، من دون أن تنظر خلفها وتفكر بما تتركه وراءها. لو أنها فعلت، لما كانت مستلقية هنا وهي مصابة بالكدمات والكسور. لو أنه يأبه بها على الإطلاق، لما كان يجدر به أن يتزوجها. كان عليه أن يبقى ملتصقاً بـ...

تأرجح الباب وانفتح، وعاد زاندرمجدداً، فباغتها وهي مستلقية على جانبها، تحدق بالورود من خلال طبقة رقيقة من الدموع. سألته نيل بغصة حارقة: «ما الذي عاد بك إلى هنا بهذه السرعة؟».

لم يبدُ أن زاندر فهم السؤال. تظلل جبينه الناعم بعبوس، وهو يتحرك عبر الغرفة ليتناول كرسياً، ثم يضعه إلى جانب السرير بحيث صار ينظر مباشرة إلى وجهها. تحركت نيل بتململ. لم تعجبها النظرة القاسية الحادة الجديدة التي يرمقها بها. انتظرت لتسمع ما يريد قوله متوقعة أن يصدمها بما سيعلنه لها. استند زاندر إلى الوراء، ومد رجليه الطويلتين أمامه، فانفتحت سترته بطريقة أنيقة. أما قميصه الشديدة البياض فبدت مذهلة، وهي تبرز عرض كتفيه القويتين. كما أنه يرتدي سروالاً حريرياً رمادي اللون، وربطة عنق حريرية زرقاء غامقة. ظهر في ذقنه الحليق شق يحذر من قوته الداخلية القاسية، أما فمه فيستطيع إظهار الكثير من التهكم. فيما يبدو أنفه ملتهباً عندما يكون غاضباً، وعيناه السوداوان تلتمعان بتعبير لا يدعو إلى الارتياح.

يظن زاندرأنه يوناني في كل شيء، لكنه في الواقع ورث تصرفه الأنيق من والدته الإيطالية الجميلة. غابرييلا باسكاليس بمقدورها أن ترمي السهام بنظرة واحدة فقط من عينيها، تماماً مثلما يقدر ابنها. هذا ما فعلته بنيل عندما التقتها في المرة الأولى. لم تحاول غابرييلا إخفاء صدمتها، إذ قالت: «ما الذي يحاول زاندر أن يفعله، بزواجه من طفلة؟ سوف تُسحقين لحظة يحاول أن يحشرك في نمط حياته المتميز».

يومها حاولت نيل أن تدافع عن نفسها قائلة: «إنه يحبني».

سخرت والدته من ذلك القول، فقالت بنبرة جافة: «أليكساندر لا يؤمن بالحب، عزيزتي. ألم تلاحظي ذلك بعد؟ إنه مصقول من صخرة مقطوعة من جبل أولمبوس».

- هل انتهيت من تفحصك لي؟

النبرة الساخرة في صوت زاندر جعلت عينا نيل تركزان على وجهه. تمنّت لو أنها تعلم ما الذي يفكر به خلف ذاك القناع البارد المتهكم، إذ

تابع قائلاً: «ما زلت ذلك الشخص الذي تزوجته نفسه، صدقيني!».

- ما الذي تريده؟

لم تحاول نيل حتى أن تبدو مسلية بكلامها. تحرك زاندر بما فيه الكفاية لكي تحذر نيل نفسها بأنه وحش خطير لا يمكن توقع تحركاته. قال لها زاندر مصارحاً: «يجدر بنا أن نتحدث عن الحادث، فالشرطة لديها بعض الأسئلة التي تود طرحها».

أخفضت نيل بصرها، وعقدت حاجبيها سوياً، وقالت: «تحدثنا عن الأمر من قبل، فما الجدوى من...».

- أتفضلين أن أسمح للشرطة بالمجيء إلى هنا، حتى تكرري الأمر كله لهم؟

لا! إنها لا تفضّل ذلك. قالت: «ماذا هنالك لأكرره؟».

ألقت على زاندر نظرة محترسة، ثم عادت وأشاحت بنظرها بعيداً من جديد. تابعت: «أتذكر أنني قدت السيارة عبر الطريق المؤدي إلى الطريق العام، ثم خرجت من البوابات، واستدرت نحو الدرب».

- إلى أين كنت ذاهبة؟

- لست أذكر.

- حاولي!

ناقضت نيل نفسها قائلة: «لماذا؟ من الواضح أنني لم أصل».

علق زاندر قائلاً: «صحيح! عوضاً عن الوصول إلى حيث أردت الذهاب، انحرفتِ عن الطريق بسرعة على منعطف قوي. ثم تابعتِ بحراثة صف من الأجمات والشجيرات، ثم اختتمتِ الرحلة بالتوقف رأساً على عقب مصطدمة بشجرة. أما سقف السيارة فقفز وانفتح لحظة الاصطدام، ونُثرت مقتنياتك في كل مكان. الكنزات، التنانير، الفساتين، الملابس الداخلية...».

صرّحت نيل وقد انفجرت مكنونات ذاكرتها فجأة: «للأعمال الخيرية! أنا أتذكر الآن. كنت أقوم بنقل بعض أغراضي القديمة إلى المتجر المخصص للأعمال الخيرية في القرية».

كرر زاندر بنبرة رقيقة كالحرير قائلاً: «الأعمال الخيرية. حسناً! ذلك يفسر حاجتك لأن تقودي السيارة كالمهووسة. الآن، اشرحي لي: لمَ طردتِ هيوغو فانس...؟».

تجمّدت نيل عندما ذكر أمامها زاندر اسم حارسها الشخصي السابق. تحركت متجاهلة موجات الألم التي انتابتها في ضلوعها، فجرجرت نفسها إلى وضعية الجلوس، لكي تتمكن من الإمساك بركبتيها. أما شعرها فتسلل عبر كتفيها النحيلتين ليطوف حول وجهها. تذمرت نيل قائلة: «لست بحاجة إلى حارس شخصي».

ردّ زاندر قائلاً: «أنا لدي ثلاثة حراس. فما الذي تستنتجينه عما تحتاجينه أنتِ؟».

وجهت له نيل نظرة لاذعة، وقالت: «أنا لست مثلك. أنا لا أطوف في أرجاء العالم، وأرمي بثقلي على من حولي...».

أومضت عينا زاندر فجأة، وقال: «أهذا ما تظنينه بي؟ حسناً يا جميلتي هيلين! فقط راقبيني...».

نهض زاندر عن الكرسي بحركة واحدة، وانحنى فوقها. في اللحظة التالية جمع شعرها إلى الأعلى بعيداً عن وجهها، ثم أرجع رأسها إلى الوراء بقوة مدروسة. كتمت نيل شهقتها، ثم أومضت عيناها المذهولتان ونظرتا إلى الأعلى فتصادمتا مع عيني زاندر. ما رأته في عينيه جعلها ترتعد. قالت: «إنك تؤلمني...».

أنكر زاندر قائلاً من بين أسنانه: «لا! أنا لا أؤلمك، لكنني على وشك أن أفعل عزيزتي. كم كذبة تنوين أن تطلقي باتجاهي بعد؟».

لفّ زاندر شعر نيل حول أنامله، مجبراً رأسها على التراجع إلى الخلف كي يكشف عن عنقها الطويل. بعدئذٍ رشقها باتهام قاس قائلاً: «أردت أن تهجريني! قدت كالمجنونة نزولاً على الطريق، لأنك أردت أن تتركيني لأجل رجل آخر. تخلصت من فانس، ووجدتِ لنفسك مهرباً جيداً سهلاً، لكن تلك الشجرة اللعينة اعترضت مسارك!».

أحست باللون الأحمر الحامي يتسارع إلى وجنتيها. التهبت عيناه

وهو يراقبها، فهبت نيل للدفاع عن نفسها. قذفته بكلامها قائلة: «ماذا لو كان ما تقوله صحيحاً؟ أي فرق سيحدثه ذلك؟ ما بيننا ليس زواجاً، بل صفقة عمل لم يكن لي رأي بها!».

بدأت الدموع تحرق عينيها... دموع حامية غاضبة، فتابعت كلامها: «...كما أنني صرفت هيوغو منذ أسبوع، لكنك لم تلاحظ ذلك أو تهتم له حتى. يحق لي أن أعيش حياتي الخاصة كما أشاء...».

- وهل يشمل ذلك إقامة علاقة غرامية مع رجل آخر؟

ذاك الاتهام الجارف سدّ حلق نيل، فخنق أنفاسها وخنق الإنكار الذي كانت ستجيب به على اتهامه. لم ترغب نيل بإعطائه أي رد قد يغذي غروره الهائل. بدأ الصمت الممتد بينهما يطلق شرارات كهربائية، أما وجه زاندر النحيل فكساه غضب عارم. خاضت عيونهما حرباً. مد زاندر يده الأخرى ليغطي عنقها بأنامل خفيفة ورقيقة، لكنها مهدّدة تماماً. شجّعها قائلاً بصوت رفيع: «قوليها، عزيزتي! هيا!».

زاندر يظن أنها تخفي عنه أمر اتخاذها عشيقاً. أدركت نيل ذلك، فأحست بالانتصار يغمرها. رطّبت شفتيها، ولم تعلم كيف تدبرت أن تبقي كذبتها مكتومة. استمرت عيونهما بالتحدي لبضع ثوان أخرى مشدودة خانقة. بدا الأمر حماسياً، إذ علمت نيل أنها تمتلك القدرة على تشتيت غروره، بمجرد كلمة واحدة هي «نعم».

تحركت أطراف أنامل زاندر الطويلة فوق عنقها، فلامست نبضها. أحست نيل أنها بحاجة إلى التنفس، فيما أخذت ضلوعها تؤلمها بسبب الضغط الذي تمارسه عليها. تدبرت في نهاية الأمر أن تجذب نفساً قصيراً متوتراً، فتدخل الهواء إلى رئتيها، قبل أن ترتجل مرتعدة: «إذا أردت أن تخنقني فافعل ذلك، أنا لست في حالة جسدية سليمة كي أمنعك».

سادت لحظة أخرى من الجمود المشدود الذي يخطف الأنفاس. بعدئذٍ بدا زاندر يزلق أنامله مجدداً، فحبست نيل أنفاسها وأحست بنوع

www.elromancia.com

مختلف من الحماس ينفجر، حين رمت نظرة إلى أعماق عينيه الغامضة التي تدور في دوامة، فرأت ما رأته داخلهما دوماً. لطالما تاق زاندر إليها، ولطالما علمت نيل بذلك. بغض النظر عن السبب الذي دفعه إلى الزواج منها، لاشك أن الدافع الإضافي الذي جعل الصفقة تستحق العناء هو ذلك التوق الشديد إليها.

غمغم زاندر: «أعطيني ولو تلميحاً صغيراً عزيزتي، بأنك منحت نفسك لشخص آخر، وستمضين بقية أيامك نادمة على ذلك».

بدا الأمر مغوياً جداً... يكاد لا يقاوم هذه المرة. عاد التحدي إلى عيني نيل، فبدأت تقول: «أنا...».

عناق زاندر أوقف ما كانت على وشك أن تتفوه به مهما يكن. صعقتها الصدمة بقوة، وقبض عليها الذهول الصرف فطعنها تماماً. لم يعانقها زاندر مرة منذ ليلة زفافهما. فمنذ تلك الليلة صار غاضباً جداً، وقاسياً جداً بسبب إحباطه. لكن الأمر مختلف الآن. مع أن الغضب ما زال موجوداً، لكن جاء عناقه دافئاً وعميقاً ومغيظاً بشكل كبير. أما الأحاسيس الممتعة التي ترتبت عليه، فغذّت في ذهن نيل العديد من الأحلام المتململة اليائسة. استرخت نيل بين يديه، وقد استشعرت أحاسيسها بعطره النظيف الدافئ الثمين، وباحتكاك بشرته الخشنة ببشرتها الناعمة الرقيقة. تراجع زاندر لحظة أحس بتجاوب نيل تجاهه. بدت عيناه شديدتي السواد، فلم تتمكن من قراءتهما وهو يراقب الارتعاشة الخفيفة لفمها. نظر بعمق إلى الارتباك الذي يدور في دوامة واضحة في عينيها الخضراوين، ثم ابتسم.

غمغم بصوت حريري أبح: «أنقذتك من نفسك للتو. ألست محظوظة لأن لديك زوجاً يهتم بك كما أفعل؟».

عبست نيل لدى سماعها تعليق زاندر، وما لبث هذا الأخير أن أزاح أنامله عن عنقها، وفك أنامله الأخرى من بين خصل شعرها الحريري، بينما ظلت نيل عالقة في ارتباكها، إلى أن تذكرت ما كانت على وشك أن تقوله قبل هذا العناق. ارتعشت نيل، وقد أخافتها

السهولة التي سمحت بها لنفسها أن تشتّ، فأخذ الكره ينسكب داخل مجرى دمائها. قالت: «ما زلت أنوي أن أهجرك، ما إن أخرج من هنا».

نهض على قدميه، ووجه لها نظرة باردة من فوق أنفه الطويل المتعجرف، وقال:

- ما زال بيننا عقد علينا أن نتممه.

رفعت نيل ذقنها نحوه، وتمنت له عيناها الخضروان الموت. قالت: «أنا وقعت ذلك العقد تحت الإكراه».

أومأ زاندر موافقاً، ثم ذكرها قائلاً: «أنا عرضت عليك أن نتفاوض من جديد، لكنك رفضتِ عرضي. بالتالي يبقى العقد بيننا على حاله. إن قرضاً بقيمة خمسين مليون جنيه لإخراج والدك من أزمته، هو مبلغ كبير نيل. ألديك المصادر الكافية كي تردي لي المال؟».

هو يعلم أنها لا تمتلكها. تابع يقول: «لكنني لا أشير إلى الأموال. أنا أتحدث عن الشرط الآخر، الذي يتضمن حمايتي لاستثماري هذا من خلال إنجاب ابن يرث ثروة والدك».

قالت: «لن أسمح بذلك».

عاد زاندر إلى السرير لينحني فوقها مجدداً. تجاهل انتفاضتها الدفاعية، وبدأ يكدس الوسائد خلف ظهرها، ثم قال: «كنت صبوراً جداً معك حتى الآن، عزيزتي...».

- آه، بالطبع! كانت لديك أمور... أكثر إثارة للاهتمام كي تفعلها.

صحح لها زاندر: «حين تزوجنا لم تكوني سوى فتاة جميلة جريحة مسلحة، وما من رجل يرضى بأن يفرض نفسه بالقوة عليك. لكن ظهور رجل آخر على الساحة يقول لي إنني ربما كنت صبوراً جداً معك».

أمسك بها من كتفيها، وحثها بلطف كي تستلقي إلى الوراء. سمّرتها عيناه في مكانها بقساوة وقلة رحمة، وهو يقول لها: «انتهت المهلة الممنوحة لك لتنضجي، نيل! أنا أريد زوجة حقيقية. إذا تنكرتِ

للعقد الذي أبرمناه، سوف أجردك ووالدك وصديقك الحميم من كل قرش تملكونه».

- وهل ستسبب لنفسك فضيحة شائنة تتضمنك أنت وعشيقتك وخيانتك البائسة؟

تقوس حاجبا زاندر الأسودان بشكل ساخر، وقال: «أتظنين أن ظهور فانيسا المفاجئ على الساحة يمنحك سلاحاً تستخدمينه ضدي؟ سأطلعك على سر صغير...».

مرر إصبعه فوق ذقنها. ثم أعلمها بنعومة قائلاً: «فانيسا لم تغادر الساحة مطلقاً. أنا بكل بساطة كتوم جداً».

بدا الأمر أشبه بتلقيها ركلة بعد أن سقطت على الأرض. تنفست نيل بثقل قائلة: «آمل أن تحترقا كلاكما في الجحيم».

- لكنك ما زلت تتوقين إلي، حسبما تطلعني نظرات عينيك المرتبكة هذه.

ابتسم زاندر ابتسامة كئيبة، وتابع: «لو أنك لست مصابة بالكدمات والضربات إلى هذه الدرجة، لبرهنت لك على الفور كم تتوقين إلي».

- أنا...

لمح زاندر الكذب قادماً من جديد، وكذلك الرفض القاطع لثقته بنفسه، فانقض على نيل بعناق جديد. رفعت نيل يديها لتدفع صدره وتبعده عنها، لكن زاندر لم يذهب إلى أي مكان، وما لبث عناقه أن أطلق شرارات أيقظت كل خلية من خلايا جسدها، فأخذ تتلوى في مكانها. سُمع قرع على الباب، فانسحب زاندر إلى الوراء كالرجل الملدوغ. بدت عيناه كفحمتين سوداوين حين لفحتاها بنظرة حارقة، أما نيل فبدت عيناها الخضراوان مليئتين بالصدمة الصاعقة لافتقارها للسيطرة على ذاتها.

- يجدر بك أن تستفيقي من أوهامك عزيزتي، قبل أن تخسري كل شيء.

أطلق زاندر تهديده هذا نحوها، فيما نضح صوته بمزيج من التوق

والغيرة. ابتعد عنها، قبل أن تتمكن نيل من تركيب أي نوع من الأجوبة، فاستقر واقفاً على قدميه إلى جانب السرير. لم ينظر إليها مجدداً إلى أن مشى بخطوات واسعة نحو الباب. أمسك بالمقبض، ثم توقف مكانه، واستدار نحوها. إنه ما يزال غاضباً، حتى إن عناقه بدا مليئاً بالغضب. تركها مستلقية هناك وهي تشعر بالارتعاش حتى أعماقها بسبب تجاوبها معه.

- منافق!

سمعت نيل نفسها تهمس بذلك عبر حلقها الذي تسدّه الدموع التي توشك على الانهمار. جعلته تلك التهمة يستدير، ويرشقها بنظرة وامضة قاسية، ليعلق بعدئذٍ بشراسة: «وبدائي أيضاً».

تابع يحذرها بصوت حاد: «انسي أمر عشيقك، فأنت لن تريه مجدداً على الإطلاق».

تلك النبرة المحذرة في صوته جعلت نيل تستقيم في السرير، وتطالبه مذعورة: «م... ماذا فعلت به؟».

اسودت عينا زاندر بشكل خطير، وقال: «لا شيء... حتى الآن. قدره مرهون بالمستقبل، حيث سأحظى بالمزيد من الوقت لأكتشف مدى عمق العلاقة بينكما».

احمرت نيل خجلاً بسبب الايحاء القابع خلف ذاك التعليق. هل يظن أن مارسيل هو من علّمها التجاوب مع العناق كما فعلت للتو؟ انشقت شفتاها كي تنطقا بإنكار للأمر، ثم انغلقتا من جديد. فكرت بغضب أنها ستدعه يتعذب وهو يتخيلها بين ذراعي رجل آخر غيره، تماماً مثلما أمضت هي السنة المنصرمة بأسرها تتخيله مع فانيسا الساقطة!

- سوف أسافر خلال الأيام القليلة المقبلة، لكنني سوف أعود يوم السبت كي آخذك من هنا.

جعلتها المعلومة الأخيرة تلك تومض بعينيها إلى الأعلى مجدداً، أما زاندر ففتح الباب وغادر من دون أن ينطق بكلمة أخرى، مفسحاً

www.elromancia.com

المجال للشخص الذي قرع الباب منذ قليل بالدخول إلى الغرفة.

كان هذا أحد حراسه الشخصيين، أما تحيته المؤدبة فأفسدتها النظرات القاسية المرتسمة على وجهه. وضع الرجل شيئاً ما على الخزانة المجاورة للسرير قائلاً: «سمح السيد باسكاليس أن تحصلي على هذه».

ثم غادر الغرفة.

- منذ متى تقف خارج الباب؟

ردّ جايك ماذر: «منذ وصولك إلى هذا المستشفى».

حدقت نيل إلى الباب وهو ينغلق خلف بنية جايك ماذر الضخمة. إنها تحت الحراسة من دون أن تعلم ذلك حتى! إنها في السجن... فهي محاطة بالحراسة ومعزولة عن العالم الخارجي. انطلقت ارتعاشة عبر جسدها. بدا الأمر أشبه بعودتها إلى روزمير، لكن الحالة أسوأ هذه المرة.

سمح السيد باسكاليس...! أدارت نيل رأسها لتنظر إلى ما تلطّف زاندر بالسماح به، فرأت رزمة مرتبة من الأوراق وصحف الشائعات والمجلات. مدّت يدها وتناولت أولى الأوراق الموضوعة في الرزمة. ما إن فكّت ثناياها حتى رأت الصفحة الأمامية: «زوجة رجل الأعمال اليوناني تحاول قتل نفسها بعد أن ظهر متباهياً مع عشيقته».

تناولت نيل صحيفة أخرى وأخرى. ملأت أخبارها معظم الصفحات، وكذلك صور سيارتها المهشمة. قلبت الصفحات بسرعة لتتجنب رؤيتها، إذ بدأ الشعور بالغثيان يسبح في داخلها. لم يكن اسم مارسيل مذكوراً في أي مكان، ما أطلعها تماماً على ما يفعله زاندر. هو لا يريد أن يقال إن زوجته كانت ستهجره من أجل رجل آخر حين اصطدمت سيارتها بتلك الشجرة. إنه يفضل أن يقال إنها كانت تحاول... الانتحار.

الانتحار! من أين أتوا بهذه الكذبة الكبرى؟ هل نشر زاندر هذا الخبر بنفسه؟

إنها تكرهه! آه، يا إلهي... إنها تكرهه! لا عجب أنه عزلها تماماً عن العالم الخارجي. إنه لا يريدها أن تبوح بالحقيقة. تهجره من أجل رجل آخر... آه! كم تتمنى لو أنها نجحت في إتمام ذلك. كانت لتدون عنواناً رئيسياً خاصاً بها:

- زوجة رجل الأعمال اليوناني اللعوب تهجره من أجل رجل فرنسي!

www.elromancia.com

٣ - رحل من جديد!

وقف زاندر في مدخل الباب يراقب نيل التي لم تلحظ وجوده، فيما كانت أناملها المرتعشة تصارع لتقوم بالعملية المعقدة لإغلاق أزرار قميصها الصغيرة. كان قد طلب تسليم نيل هذه القميص الحريرية البيضاء بالإضافة إلى البذلة الكتانية الزرقاء التي جعلت جسدها النحيل يبدو مذهلاً، وأرسل أحدهم ليصفّف لها شعرها على شكل جديلة سميكة لامعة تصل حتى منتصف ظهرها. بدت نيل شاحبة جداً، على الرغم من أن الكدمات كادت تختفي تماماً عن وجهها. لكن بدا واضحاً لزاندر أنها ما زالت تواجه صعوبة في إنجاز المهمات اليومية.

لم تتعافَ نيل تماماً، إلا أن الأطباء أكدوا له أنها سليمة وقادرة على السفر. والآن، هذا جل ما يهمه فعلاً: أن يبعدها من هنا إلى مكان لا تلاحقها فيه الصحافة، بالإضافة إلى منعها من التواصل مع عشيقها عند أول فرصة تسنح لها. بدأت الدماء تغلي في عروق زاندر عندما فكّر بمارسيل دوبوا المراوغ. اختفى هذا الرجل الفرنسي. لعله أبدى بعض العقلانية في تصرفه هذا، لكن هذه العقلانية لم تظهر عندما قرر أن يتودد لزوجة ألكساندر باسكاليس.

زوجة... ! كاد زاندر يضحك من هذه التسمية، إلا أنه لم يجد أثراً للضحك في داخله. اتخذت عيناه المحجوبتان برموشه لمعاناً إجرامياً عندما راقب نيل وهي تجاهد لإقفال هذه الأزرار اللؤلؤية الصغيرة. هل أقامت زوجته علاقة مع هذا الرجل الفرنسي، فسمحت له أن يصل إلى ما لم يصل إليه زاندر؟ وهل أطلع على الأسرار التي قد تكشفها امرأة حساسة مثل نيل، في ما يتعلق بالخواء والفراغ اللذين يغلفان

زواجهما؟

استدارت نيل في تلك اللحظة، فلاحظت وقوفه هناك. تدخلت طاقته البدائية على الفور عندما بدأت نيل تحرك نظراتها صعوداً من حذائه نحو سرواله القطني الباهت اللون مروراً بالقميص القطنية العادية التي تلتصق بصدره. لم تنظر أي امرأة أخرى إلى زاندر بذلك الأسلوب وتلك النظرات. هو يعلم أنها غير قادرة على منع نفسها عن ذلك، ما جعل فكرة منحها لهذه النظرات إلى رجل آخر تبدو أكثر استحالة. عندما وصلت نيل إلى كتفيه المكسوتين بالسترة الكتانية السوداء غير الرسمية، لم يقوَ زاندر على منع تحرك عضلة صغيرة مدركة لما يجري. وعد زاندر نفسه أن يمنح هذا الإدراك مادة فعلية حقيقية في وقت قريب جداً. سوف يمحو كل ذكرى لذاك الرجل الآخر، وسوف يعرّفها إلى شغفه الحامي بكل ما أوتي من قوة وتصميم.

وصلت نظرات نيل إلى وجه زاندر أخيراً، ففقد هو نظراته الفتّاكة، ومنحها ابتسامة بطيئة متساهلة، تعاملت معها نيل بإشاحة بصرها عنه. نيل ليست غبية، فآخر مرة جاء فيها زاندر إلى هنا، عمل على كسر الحاجز بينهما، وما ابتسامته هذه إلا تذكير لها بذلك.

استفسر بنوع من التحدي الرقيق: «هل أنت جاهزة لتأتي معي؟».

تذمرت نيل قائلة: «أنا لا أملك أدوات تبرج. نسيت أن ترسلها لي».

- لست بحاجة إلى التبرج، فبشرتك الجميلة لا تحتاج إليها.

رفعت نيل ذقنها، وسمّرته بنظرة جليدية من عينيها الخضراوين، قائلة: «هذه مسألة رأي. رأيت الصحفيين المنتظرين في الخارج. مشاهدتهم لي وأنا أغادر هذا المكان ملطخة بالكدمات الزرقاء والسوداء، لن تساعد قضيتك، زاندر».

لاحظت نيل أن ابتسامته بدأت تتلاشى وهو يقول: «وأي قضية هي هذه؟».

- السيطرة على الموقف. ألا تريدني أن أبدو مجنونة بحبك ومشعّة

أمام آلات تصوير الصحفيين.

تشدّق زاندر وهو يتقدم أكثر داخل الغرفة بمشيته الرشيقة: «أخذ لسانك يكتسب نبرة لاذعة لا تلائمه. هل أنت قادرة على تدبر أمر الزر في قميصك، أم أنك بحاجة إلى مساعدة؟».

غاص ذقن نيل نزولاً، وحرّكت أناملها بسرعة لتغلق الأزرار، ثم قالت: «يمكنني أن أتدبر أمري. ادعاؤك أنني ميالة إلى الانتحار لا يجعلني غير مفيدة على الإطلاق».

تناول زاندر سترتها عن السرير، ووضعها حول كتفيها النحيلتين، بعد أن أمسكها بشكل مناسب تماماً كي تزلق ذراعيها داخل الكمّين، من غير أن تضطر إلى إجهاد نفسها.

- جعلوني أبدو امرأة غبية تنقصها الشجاعة.

- وأنا بدوت زير نساء عديم الرحمة.

- ذلك أفضل من الظهور كرجل غير قادر على إبقاء زوجته سعيدة... هممم؟

استدارت نيل كي تواجهه بهذا التحدي اللاذع. ضاقت عينا زاندر والتمعتا نزولاً نحوها، ثم قال: «هل تتعمدين تحريضي كي أبرهن لك أنك مخطئة؟».

تذكرت نيل عناقه منذ بضعة أيام، فأحست أن عضلات معدتها ترتعش بقلق. أنكرت قائلة: «لا!».

أخفضت عينيها في محاولة لصدّه، فيما أخذ زاندر يسوّي قماش السترة في مكانها بأنامله الطويلة.

في تلك اللحظة تأرجح الباب وانفتح، فدخل إلى الغرفة الطبيب الذي يشرف على علاج نيل. تصافح الطبيب وزاندر كما يفعل الأصدقاء القدامى، ثم أخذا يناقشان وضعها كما لو أنها ليست واقفة هناك معهما.

حسناً! ما الجديد في هذا؟ منذ أن دخل زاندر إلى حياتها، أخذ ينظمها حسبما يريد. بدءاً من تقدّمه الغريب لها، وصولاً إلى العقد

الذي ناقشه مع والدها لا معها. أما الزواج الذي تم في الكنيسة المحلية، فنظم من قبل فريق عمله الفعّال. لماذا إذاً لا يناقش وضعها الصحي مع الطبيب الذي اختاره بنفسه على الأرجح في المستشفى الخاص الذي نقلها إليه من دون موافقتها؟ المرة الوحيدة التي أصغى فيها زاندر إليها كانت خلال ليلة زفافهما، حين رفضت نيل أن تجعل زواجهما حقيقياً. كان بإمكانه أن يغير رأيها، وأن يغويها كي تضعف أمامه، لكن ما فعله هو الرحيل. عاد زاندر إلى حياته السابقة كما لو أنها ليست موجودة فيها، باستثناء تلك الزيارات القليلة للحفاظ على المظاهر.

بعد مرور دقيقتين بدأا يسيران على طول الرواق. أمسك زاندر ذراعها بقبضة قوية، أما صمته العابس فبدا منذراً بالسوء. دخلا بعد ذلك إلى المصعد، وانغلق الباب خلفهما. أسندها زاندر إلى الجدار، ووقف إلى جانبها، فبدا كأنه يطل من فوقها وهما ينطلقان إلى الأسفل. عندما انفتح الباب مجدداً، أمسك بذراعها، ثم قادها خارج المصعد.

أظهرت نيل ذهولاً ودهشة وجيزين عندما أدركت أنهما لم يصلا إلى بهو مدخل المستشفى بل إلى مرآب سفلي للسيارات. أحست بارتياح كبير لذلك، فزاندر تغلب على الصحفيين المتربصين أمام المستشفى. رأت سيارة البنتلي السوداء أمامهما مباشرة، ورأت جايك ماذر واقفاً بتأهب بالقرب من الباب الخلفي المفتوح.

غرقت نيل بارتياح في الجلد الناعم، فانغلق الباب خلفها، ثم انفتح باب آخر، ووصل زاندر إلى جانبها. بعدئذٍ تحركت بهما السيارة خلال لحظات.

بعد مرور دقيقة أخذ زاندر يتكلم على هاتفه الخليوي. ارتدى مظهره الجانبي قناع القوة الخاص به وهو يتكلم باللغة الإيطالية، ثم أقفل الخط وانتقل إلى اتصال آخر باللغة اليونانية. أطلقت نيل تنهيدة صغيرة، وأغمضت عينيها سامحة لصوته أن يغمرها ببساطة...

عادت وفتحت عينيها مجدداً بدهشة عندما انفتح الباب. وجدت

www.elromancia.com

نفسها ترمش باتجاه زاندر، الذي كان منحنياً فوق السيارة ويهمّ بفك حزام الأمان لها. لا بد أنها غطّت في النوم! شعرت نيل أنها فاقدة الحس بالاتجاه، فلم تفعل شيئاً سوى السماح لزاندر بمساعدتها للخروج من السيارة. تطلب الأمر بضع ثوان إضافية ليسجّل دماغها حقيقة أنها ليست واقفة خارج روزمير.

استفسرت نيل:

- ما الذي يجري؟

- لا شيء.

أدارها زاندر حول نفسها ببرودة، لتتمكن من رؤية الطائرة الخاصة البيضاء المتوقفة على بعد بضع ياردات، ثم قال: «نحن ذاهبان إلى الديار. هذا كل ما في الأمر».

- جواً؟ لكن المسافة إلى روزمير بالسيارة تبعد حوالى الساعة فقط...

صحح لها زاندر قائلاً: «بل إلى اليونان. أنا مضطر لأن أكون في أثينا صباح يوم الإثنين، وإذا ظننت أنني سأدعك بمفردك في روزمير كي تخططي لهروب آخر مع ذلك الفرنسي، فأنت مخطئة».

اليونان! كررت نيل ذلك، وتوقفت متجمدة عند مدخل الطائرة. فقالت رافضة: «لا! أنا لا أريد أن أذهب...».

- لا تحدثي جلبة، عزيزتي!

دفعها زاندر برفق مستخدماً كف يده. وقبل أن تتدارك نيل الأمر، كان زاندر قد أدخلها بسرعة إلى الطائرة وانغلق الباب خلفهما.

حدّقت نيل مذهولة بمحيطها الفاخر، واستدارت فجأة كي تعترض، فاندفعت مباشرة نحو صدر زاندر. حاولت أن تقوم بخطوة دفاعية إلى الوراء، لكن زاندر لف ذراعيه القويتين الداعمتين حولها. تنفست نيل باعتراض، وقد بدت خائفة، فقالت: «أرجوك...!».

- ماذا؟

أصبح صوت زاندر أكثر عمقاً. نظرت نيل إلى الأعلى فرأت

الشرارات الغامضة تتقد في عينيه، فحاولت أن تقول شيئاً وهي منقطعة الأنفاس، لكن زاندر بادرها بعناق مباغت، ما جعل أنفاس نيل ترتعش. أرادت أن تنسحب إلى الوراء، لكنها عوضاً عن ذلك ظلت ملتصقة به، ومجدداً لم تستطع إلا أن تتجاوب مع عناقه. ازداد عناقه عمقاً، وقربها زاندر أكثر منه. تعلقت نيل به وهي تشعر بالدوار، وأخذت أنفاسها تتسارع مع ازدياد حدة عناقه. استطاعت أن تشعر بنبضات قلبه غير المنتظمة، كما استشعرت بالارتعادة الخفيفة تسيطر عليه. بدا عناقه غامراً وشديد الحماسة وأحست نيل بوميض من التوق المرتعد يجذب عضلاتها...

قاطعهما صوت الأزيز المفاجئ لمحركات الطائرة، فابتعدا عن بعضهما من دون إنذار ما جعل نيل تحدق إلى الأعلى نحو وجهه وهي تشعر بالدوار. لاحظت مقدار التوتر في وجه زاندر، فيما اشتعلت في عينيه نار مفترسة، فأطلقت نيل شهقة مرتعدة مكبوتة.

أمسك زاندر بكتفيها من دون إنذار، فأدارها وأنزلها على المقعد الأقرب إليه. بعدئذٍ استدار مبتعداً بحركة سريعة أبقت عيني نيل مثبتتين عليه بذهول. إنه فعلاً يريدها... إنه يتوق إليها بشدة! حين استدار زاندر فجأة حول نفسه لينظر إليها، بدت عيناه شديدتي السواد، وما إن ألقى نظرة واحدة إلى التعابير المرتسمة على وجه نيل، حتى زمجر بشتيمة ما موجهة إلى نفسه، ثم عاد فركع أمامها بعبوس ليحكم إقفال حزام الأمان المخصص لها. تعلقت عينا نيل بملامحه المشدودة، ولم تتنفس إلا عندما نهض زاندر ليعود إلى مقعده في الجانب الآخر من الممر، ثم ربط حزام الأمان حوله.

أطلقت محركات الطائرة أزيزاً آخر، ثم انطلقت إلى الأمام. تكلم زاندر بصوت خشن في الأجواء المشحونة قائلاً: «إذا سمحت يوماً لأي رجل آخر أن يلمسك مجدداً، فسوف أقتلك».

يقتلها... وربما يقتل مارسيل...؟! أهذا ما تفعله الغيرة بالرجال، فتحولهم إلى وحوش بدائية قاتلة غاضبة؟

www.elromancia.com

ارتفعت الطائرة في الجو وانطلقت أكثر إلى الأعلى فأخذ الضغط داخل المقصورة يطنّ في رأس نيل. رفعت أناملها المرتعشة فلمست كدمة فوق أنفها ما تزال تؤلمها، سمعت همسة غاضبة عبر الممر، فأنزلت نيل أناملها وأعادتها إلى حضنها. فوجئت بزاندر يتحرك بسرعة الضوء، إذ فكّ حزامه ثم جاء ليربض أمامها مجدداً. وضع أنامله الطويلة على الكدمة التي لمستها نيل للتو، ثم أعلن بغضب: «إنك ساخنة ومتألمة. أعتذر بسبب... قلة تفكيري وعدم مراعاتي لوضعك».

بدا لها كلام زاندر غريباً جداً الآن، فتدبرت أن تقول بأنفاس مرتعدة: «أنا على ما يرام».

تحركت أنامله نحو أحد خديها الحاميين وقال: «إنك لست كذلك. أنا عاملتك بخشونة، وأنت الآن تظنينني غبياً غير متحضر. هل سببتُ لك الألم في أي مكان... في أضلاعك المكسورة؟».

حاولت نيل أن تبتلع ريقها، فوجدت نظراتها ترتفع لتصطدم بعينيه. أمضت نيل أشهراً عديدة وهي تصدّ ما تشعر به تجاهه، أما الآن فقد أخذ ذلك يدق بقوة في داخلها. همست بغير ثبات قائلة: «دعني أعود إلى المنزل في روزمير».

جاء صوت زاندر خشناً وشرساً حين قال: «لا! من الآن فصاعداً سوف تذهبين إلى حيث أذهب. أنا أريدك معي».

لم تعد عيناه غامقتين ومليتين بالشغف، بل أصبحتا بلون بني داكن جداً، وبدا أنهما تدوران في دوامة من المشاعر، شتتت الأنفاس التي حاولت أن تستنشقها نيل. اندفعت تقول: «ألكي تتمكن من حماية استثمارك؟ بإمكان حراسك الشخصيين أن يؤدوا هذه المهمة في إنكلترا».

هب زاندر واقفاً على قدميه، وهو يقول: «هذا ما ظننته، لكنك برهنتِ لي أنني مخطئ».

ليس هنالك من تلومه على هذا إلا نفسها. أشاحت نيل بنظرها

بعيداً عنه. آه! لم تشعر أنها عديمة الحيلة إلى هذه الدرجة طيلة حياتها...

حطّت بهما الطائرة في أثينا حيث لاقتهما موجة حر حارقة، كادت تمتص من نيل ما تبقى من قوتها عندما انتقلا إلى مروحية تنتظرهما. إن قضاء ثلاث ساعات ونصف الساعة على متن الطائرة يسبب الكثير من التوتر والضغط. بدأت نيل تشعر أنها متعبة جداً إلى درجة أنها بالكاد استطاعت الجلوس باستقامة. سألته ما إن استدارت بهما المروحية فوق المحيط الأزرق المتألق: «إلى أين نحن ذاهبان الآن؟».

- إلى جزيرتي الخاصة.

ردّ بلا مبالاة توحي أن كل اليونانيين يمتلكون جزيرتهم الخاصة. أما نيل التي أصبحت شديدة الارهاق، فلم تقوَ على منع نفسها من ترطيب شفتيها بطرف لسانها، بعد أن شعرت بجفاف قاس كاد يؤلمها.

ظهرت الجزيرة أمامهما على شكل دائرة بنية صغيرة تطوف بمفردها في المحيط الأزرق. رأت نيل شاطئين رمليين أبيضين، بالاضافة إلى تلة تعلوها أشجار الشربين في الوسط. رأت فيلا جميلة مؤلفة من طابقين، جدرانها مطلية باللون الأبيض، كما تستقر بركة السباحة بين الشاطئين الرمليين.

حطت بهما المروحية في مكان قريب من البركة. قفز زاندر خارجاً، فاضطر إلى أن ينحني فيما مشى نحو الجهة الأخرى من المروحية ليفتح الباب لنيل. مدّ يده ليساعدها على الهبوط، إلا أنها تعثّرت، فأسرع بها ليبعدها من تحت شفرات المروحية. ألقى نظرة عابسة نحوها، ولاحظ الارهاق الذي يكدّر وجهها الشاحب، فسارع إلى حملها عن الأرض.

- يمكنني أن أمشي...

وافقها زاندر باختصار: «إذا كنت مضطرة إلى ذلك. لكنك لستِ مضطرة».

استسلمت نيل متنهدة لأنها لا تتمتع بالطاقة الكافية لتجادله. تدلّى

www.elromancia.com

رأس نيل فوق كتف زاندر، فيما احتكت أنفاسه بوجهها وهو يحملها متخطياً بركة السباحة المتلألئة، ليسير صعوداً فوق مجموعة من الدرجات العريضة نحو المنزل. انفتح أمامهما باب زجاجي عريض جاهز لاستقبالهما، حيث انتظرتهما امرأة قصيرة القامة ترتدي ثياباً باللون الأسود، كي ترحب بهما بابتسامة دافئة من وجهها المتجعد.

قالت المرأة شيئاً ما باللغة اليونانية، فاجابها زاندر باللغة نفسها، وبنبرة قصيرة ومقتضبة. فقدت المرأة المسنّة ابتسامتها، فاستدارت لتسرع إلى الداخل أمامهما، وهي تقذف جملاً طويلة من فوق كتفها باتجاه زاندر. بدا لنيل أنها تؤنبه، تماماً كما لو كان ولداً صغيراً، وبدا لها أن زاندر يتقبل ذلك من غير اعتراض، سامحاً للمرأة أن تتقدمهما وتقودهما عبر بهو بارد صعوداً على الدرج. دخلا غرفة جميلة ذات جدران مطلية باللون الأزرق الباهت. انسدلت ستائرها البيضاء المتماوجة فوق النوافذ الطويلة حتى الأرض. وضع زاندر زوجته فوق حافة السرير الناعم المغطى بغطاء أزرق باهت اللون، ثم أصدر أمراً ما فأسرعت المرأة مبتعدة، وتركته راكعاً أمام نيل التي كان رأسها ثقيلاً جداً، فلم تقوَ على رفعه عن كتف زاندر.

همس زاندر قائلاً: «كانت الرحلة مرهقة جداً بالنسبة لك. أنا أعتذر».

فكرت نيل: مجدداً؟ لكنها قالت: «أنا فقط أود أن آوي إلى الفراش».

لو أن الظروف مختلفة لقفز زاندر فرحاً أمام هذا التصريح المشوق، لكن الآن بالذات من الواضح جداً أنها مرهقة ومستنزفة تماماً، أما هو فيشعر بالقلق عليها ويحس بالذنب، لأنه فرض عليها هذه الرحلة قبل أن تستعيد قوتها. مدّ زاندر يده ففك أزرار السترة الصيفية الزرقاء الخفيفة، ثم أزلقها بحذر من فوق كتفيها ورماها جانباً. أما القميص الحريرية البيضاء ذات الأزرار اللؤلؤية الصغيرة فبدا التعامل معها أصعب من موقعه هذا. عبس فيما عملت أنامله على فك أزرار

القميص. ازداد عبوسه أكثر بسبب إذعان نيل الصامت له. مرّت عشر ثوان قبل أن يدرك زاندر أنها غطّت في النوم فعلاً.

لاحظ أن نيل ما تزال تعاني من كدمات سيئة جداً. كاد لا يصدق أن الطبيب تجرأ على القول إنها سليمة، ويمكنها أن تسافر! بدت إحدى جهتي قفصها الصدري كتلة من اللون البنفسجي الباهت الممزوج بالأصفر. حدّق زاندر برعب مؤلم نحو الخطين اللذين خلّفهما حزام الأمان المشدود على صدرها ساعة وقع الحادث. أحدهما خط امتد بشكل مائل عبر جسدها بدءاً من كتفها الأيسر نحو الجهة اليمنى من خصرها، حيث تقاطع مع الخط الآخر الذي بدا واضحاً فوق وركيها.

بأية سرعة جنونية لعينة تراها كانت تقود السيارة حين اصطدمت بتلك الشجرة، فسببت لنفسها هذه الكدمات المريعة؟ هل كان الأمر متعمداً؟ سرت الدماء باردة في عروقه عندما فكر بهذا الأمر، فصرف الفكرة على الفور. أخذ الشعور بالذنب ينتفخ كالبالون في صدره، بسبب الأسلوب القاسي الذي تعامل به مع نيل على متن الطائرة

سمع زاندر أحدهم يمشي بهدوء خلفه. غمغمت ثيا صوفيا قائلة: «آه... يا للطفلة الجريحة الصغيرة! أي نوع من الرجال أصبحت عليه أليكساندر، كي تجعلها تسافر طوال هذه المسافة وهي بهذه الحالة؟».

أطبق زاندر فمه، ثم انحنى واحتضن نيل بين ذراعيه بقدر ما استطاع أن يتدبره من العناية. أعطى تعليماته بفظاظة قائلاً: «اسحبي الأغطية إلى الوراء، ثيا».

بعد عشر ثوان أعاد عروسه المجروحة لتستلقي تحت الأغطية الباردة لسرير زواجهما.

وقف زاندر مستقيماً للمرة الثانية، وتراجع إلى الوراء، كي يسمح لثيا بأن تثني الأغطية برفق وتعيدها فوق جسد نيل الواهن، فيما استلقى شعرها في جديلة سميكة إلى جانب أحد خديها. لم تبدُ يوماً شاحبة إلى هذه الدرجة، أو سريعة العطب إلى هذا الحد.

تضرع زاندر بكآبة أن يمنحه الله القوة، فيما سُرّ لأنه الوحيد الذي

www.elromancia.com

يعلم بأمر الخطة التي أعدّها لجميلته هيلين. تتضمن هذه الخطة الإقامة في الجزيرة النائية، وبعض الإغواء بالإضافة إلى هذه الغرفة وهذا السرير...

حسناً! سوف يضع خطته هذه على الرف حالياً. إنه أحد القرارات السريعة العملية التي يألفها كثيراً، وهو يسميه: الانسحاب التكتيكي!

* * *

نامت نيل فيما علا صوت شفرات المروحية من جديد، إلا أنها لم تسمع الضجيج الذي أحدثه إقلاعها. لم تكن لدى نيل أي فكرة على الإطلاق أن ثيا صوفيا جلست على كرسي إلى جانب السرير طيلة فترة نومها، حيث أخذت تعمل بهدوء على التخريمة اليدوية بأناملها الخفيفة الحركة. في هذه الأثناء قامت إحدى الخادمات بإفراغ ملابس نيل ووضعها في الخزانة والأدراج بهدوء تام، فيما غرقت الغرفة ببطء في لون ذهبي بفضل أشعة شمس ما بعد الظهر. لم تتحرك نيل إلا عندما سمعت قرقعة الآنية الخزفية، ما جعلها حلقها الجاف ومعدتها الخاوية يطالبانها بأن تلحظ الأمر.

فتحت نيل عينيها. تطلب الأمر منها بضع لحظات طويلة كي تتذكر أين هي، ثم بضع لحظات إضافية كي تراقب ناعسة تلك المرأة المسنة التي ترتدي الثوب الأسود، وهي تحدث جلبة حول الطاولة المجاورة للنافذة عبر الغرفة. استدارت المرأة المسنة، وقالت: «آه، ها قد استيقظت أخيراً!».

هتفت المرأة بذلك وهي تعبر الغرفة، فيما تهلّل وجهها الأسمر اللون المجعّد بابتسامة حنونة. عرّفت المرأة عن نفسها قائلة: «اسمي هو صوفيا ثيودورا باسكاليس. أنا عمة والد أليكساندر. يمكنك أن تناديني ثيا صوفيا، وأنا سوف أناديك هيلين. يا له من اسم إغريقي عريق».

أهو كذلك حقاً؟ لم تفكر نيل من قبل بمصدر اسمها. تابعت ثيا صوفيا قائلة: «بالطبع، لو كان أليكساندر هنا، لقام هو بالتعريف

الرسمي بيننا، لكن... أهلاً بك في جزيرتنا الجميلة وفي منزلنا الجميل هيلين».

وجدت نيل وجهها يحتضن بين يدي المرأة في مبادرة دافئة ودودة وحنونة، وما لبث أن أفلت مجدداً.

- شـ... شكراً لك. أنا سعيدة جداً بلقائك، ثيا صوفيا.

ردت نيل بلباقة، إذ من المستحيل ألا ترد الابتسامة للمرأة اللطيفة.

- آه! أنا المسرورة برؤيتك هنا أخيراً.

تراجعت المرأة المسنة إلى الوراء كي يشع وجهها بابتسامة تدل على الرضى الكبير، ثم استدارت لتمشي عائدة إلى الطاولة المجاورة للنافذة. وعدتها المرأة قائلة: «سوف نصبح صديقتين جيدتين. أليس كذلك؟ سوف يعجبك المكان هنا. عندما يقرر ذاك الصبي الغبي أليكساندر تصحيح أولوياته فيعود إلى هنا، سوف تنجبان العديد من الأطفال في هذا السرير، كما تقضي تقاليد آل باسكاليس، وسوف نصبح جميعاً سعداء».

مرّ الجزء المتعلق بالأطفال من كلام ثيا صوفيا مرور الكرام في ذهن نيل. فجأة قالت بنبرة مرتعشة: «زاندر... أليكساندر... هل...؟».

أعلمتها عمته بمقت قائلة: «ألقى نظرة واحدة على جسدك المليء بالكدمات ثم فرّ على عقبيه. لا يمكنك أن تصدقي أن رجلاً ضخماً وقوياً مثله قد يكون شديد الحساسية، لكن هذا ما حدث».

أضافت السيدة وهي تهزّ كتفيها: «بالطبع! إن ضميره المذنب سوف يوبخه، فقد تمت تربيته ليقوم بحماية من يحبهم، وفي هذه الحالة، معك أنت، لقد فشل. سوف يعود عندما يتقبّل...».

توقفت نيل عن الإصغاء، وأخذت تزيح الأغطية بعيداً عن جسدها. تدفق اللون الأحمر الحامي إلى وجنتيها، لتعودا فتشحبان مجدداً عندما أدركت أن أحدهم نزع عنها ملابسها.

- من... من نزع عني ملابسي؟

www.elromancia.com

- أليكساندر، بالطبع!

- ثم غادر...

قرقعت الأواني الخزفية الصينية محتكة ببعضها. جلست نيل مستقيمة في السرير بخفة، ثم رفعت ركبتيها إلى الأعلى نحو ذقنها كي تتمكن من معانقة نفسها. شعرت أن الدموع تحرقها. إنها دموع الألم... دموع الغضب.

زاندر أحضرها إلى هذه الجزيرة لكي يقوم بإغوائها. لم يعد لدى نيل أي مجال للشك بذلك الأمر، لكنه ما إن ألقى نظرة واحدة إلى جسدها البائس حتى أحبطت خطته، لذا فعل ما يفعله دوماً: رحل!

لقد هجرها، فتركها على جزيرته الصغيرة برفقة هذه السيدة اللطيفة المسنة جداً، بينما عاد هو إلى حياته الكثيرة الانشغالات، واضعاً مهمة إغواء زوجته على الرف مجدداً.

- هل أنت جاهزة لتناول كوب جيد من الشاي الإنكليزي الآن...؟

٤ - زيارة مفاجئة

خطت نيل حافية القدمين على الرمال. أسقطت كتابها ونظارتيها الشمسيتين على الأرض عند قدميها، وخلعت قبعة القش ذات الحافة العريضة، فيما وقفت تنظر إلى الخليج الصغير الذي اكتشفته خلال أسبوعها الأول هنا، ومنذ ذلك الحين جعلته المكان الخاص بها. تطلّب منها الوصول إلى هناك أن تتسلق صعوداً ثم نزولاً على تلّة تغطيها الأشجار. بدت الرمال تحت قدميها ناعمة وحامية، أما البحر فبدا ناعماً كالزجاج، يتوهج باللون الأزرق. فيما الأجواء حارة ومطلقة السكون إلى درجة أن المرء يكاد يسمع دبيب النملة. تلاعبت ابتسامة ساخرة فوق فم نيل، فيما انحنت كي تضع القبعة فوق الكتاب والنظارتين الشمسيتين. تمهلت كي تغترف بيدها قبضة مليئة بالرمال الدافئة، ثم استقامت مجدداً وثبتت نظرات عينيها الخضراوين على قبضتها متفكّرة، فيما سمحت للرمال بالمرور من خلال أناملها ريثما تقرر ما الذي تنوي أن تفعله.

أحدهم يقوم بمراقبتها، وهي تعلم تماماً من هو. كانت نيل قد سمعت صوت المروحية وهي تحوم في الأعلى وهي في طريقها إلى هذا المكان. كما عرفت كيف وجدها زاندر بهذه السرعة. لابد أن يانيس الفظ المتمرس في مهنته، والموجود على الجزيرة برفقة حارسها الشخصي الأخير، أطلعه على المكان الذي يجدر به أن يبحث فيه. تساءلت إن كان قد طرأ لزاندر فكرة أن أوامره في مراقبتها طيلة ساعات اليقظة والنهار، تعني أن يانيس غالباً ما شاهد ما يشاهده هو الآن بالذات، من حيث هو واقف تحت ظل إحدى الأشجار المحيطة

www.elromancia.com

بالخليج الصغير.

علمت نيل منذ اللحظة التي سمعت فيها وقع قدميه على الدرب المظللة بالأشجار خلفها أن لا مجال أبداً لأن تستدير، وتدعه يعلم أنها تعرف بوجوده هناك. ذلك لا يتلاءم مع أهدافها، لأنها على وشك أن تظهر له بالتحديد ما الذي دأب على رفضه باستمرار طوال السنة الماضية. سوف تظهر أمامه من دون الندوب، التي أدار لها ظهره وذهب إلى أثينا، مفضلاً سحر فانيسا الخالي من الشوائب.

بدأت أنامل نيل ترتعش، مع ذلك أخذت تفك عقدة وشاحها الكبير. أخذ قلبها يضخ الدماء بكثافة نوعاً ما، حين تركت القماش القطني الهندي الأبيض الناعم ينزلق بعيداً عن جسدها، فيحطّ برفق فوق قبعتها. التمعت بشرتها السمراء الذهبية بنعومة تحت الوشاح، فقد تعهدتها بالعناية لتحظى بهذا اللون، وطلتها بطبقة من الزيت الواقي الذي يوفر لها درجة حماية مرتفعة. شعرت بالرضى التام عن نفسها. لابد أن الشخص الذي وضّب لها ملابسها في إنكلترا ذو مزاج رومنسي، لأنه انتقى لها كل ما اشترته لشهر عسلها الذي لم يحصل. لباس السباحة هذا ذو القطعتين هو من الملابس التي اشترتها لترتديها أمام عريسها الذي كان يفترض به أن يكون بصحبتها في شهر العسل ذاك. حسناً! مت غيظاً يا أليكساندر باسكاليس! قالت نيل ذلك في سرها، فيما رفعت وجهها إلى الأعلى نحو الشمس. هنا تقف النسخة غير المعطوبة للمرأة التي أدرت لها ظهرك منذ أسبوعين! بتلك الفكرة المتمردة تحركت نيل، وتمطت ببطء. ظلت على وقفتها هذه لبضع لحظات، ثم عادت فأرخت جسمها، وبدأت تركض بخفة نحو البحر...

وقف زاندر تحت ظل شجرة، وراقب استعراض نيل الصغير. إنه شبه متأكد من أنها تشعر بوجوده هناك. إذاً، ما الذي تراها تفكر به وهي واقفة هناك تنخل الرمال من خلال أناملها؟ أتراها تتساءل ما الذي سيفعله لو رمت بوجهه قبضة من الرمل؟

يعلم زاندر أنها غاضبة منه. لاشك أنها تشعر أنه رماها وهجرها حين تركها هنا، لكن أي خيار آخر كان أمامه حينها؟ لديه زوجة لم تصبح زوجة حقيقية بعد، ولديه سرير زواج لم يصبح بعد سرير زواج حقيقي، وعمته تتوقع منهما تماماً أن يتشاركا فيه. إن لعب دور الزوج المحب الودود الذي يستطيع كبح مشاعره البدائية تجاه هذه المرأة، ليس خياراً ينوي زاندر اتخاذه. إذا ما تشارك سريراً واحداً مع نيل، لن يتمكن من إبعاد يديه عنها، على الرغم من كدماتها.

استديري لتنظري إلي عزيزتي! حثّها زاندر بصمت. امنحيني تلك النظرة التواقة البطيئة بعينيك اللتين تلهبان مشاعري. لا أبالي لو دفعت الثمن بتلقي الرمال في عيني! لكن نيل لم تستدر. استند زاندر إلى الشجرة فيما حاول أن يستحث الحورية الصغيرة لتستدير. راقبها بعينيه المزمومتين في مواجهة الشمس، فيما فكت نيل عقدة الوشاح، ثم تركت قطعة القماش الهندي الأبيض الناعم تنزلق بعيداً عن جسدها، لتسقط فوق قبعتها. كاد قلب زاندر يتوقف عن الخفقان. لم يصدق ما يراه بعينيه. في الواقع، رفض أن يصدق ذلك. لا بد أن أشعة الشمس تتلاعب بنظره. قرر زاندر ذلك وهو يراقبها تتمطى بحركة مرنة، حيث رفعت ذراعيها إلى الأعلى.

- يا إلهي...!

لربما لم تكن تعلم بوجوده... لعلها تلعب دور الحورية على هذا الشكل لأنها اعتقدت حقاً أن لا أحد يراها! عندها فقط تذكر يانيس... يانيس الذي كلفه أن يراقب كل تحركات نيل، خشية أن تفكر بالهروب مجدداً. أخذت موجة من التملّك البدائي الحامي تندفع داخل زاندر، جعلت رأسه ينطلق في جولة استكشافية حوله. بدأت عيناه اللامعتان ذات الأهداب السوداء تمسحان المنطقة بحثاً عن أماكن قد يراقبها منها الحارس الشخصي بصمت من دون أن تراه. لا بد أن الرجل الآخر رأى زوجته وهي ترتدي ثوب السباحة ذاك...

بعد ذلك خرجت نيل من الفسحة أمام زاندر، فتحول انتباهه مجدداً

إليها، إذ بدأت تركض نزولاً نحو البحر تاركة شعرها الجميل يتطاير خلفها، وما لبثت أن اختفت تحت المياه البلورية بعد أن غاصت بنعومة ورشاقة. وقف زاندر هناك وهو يشعر بالحرارة تنتشر في أنحاء جسده.

سبحت نيل تحت سطح الماء إلى أن شعرت أن رئتيها كادتا تنفجران. هزّت رأسها إلى الأعلى، فاستنشقت نفساً عميقاً، ثم عادت فانطلقت باتجاه حافة الخليج الصغير، يرتفع الصخر في هذا المكان بعلو عدّة أقدام. لطالما اعتقدت نيل أنه مكان رائع للغطس، لكنها لم تجد حتى الآن طريقاً للوصول إلى الحافة الصخرية في الأعلى. قامت نيل باستدارة جميلة كما في سباقات السباحة، ثم أخذت تسبح في الاتجاه المعاكس. إنها تحب السباحة، ولطالما أحبتها منذ صغرها. شاركت في سباقات باسم مدرستها، ونالت عدّة ميداليات ذهبية. أما في كندا، فلطالما سببت الرعب لوالدتها وهي تسبح في نهر كاناناسكيس. كما اعتادت قبل زواجها زيارة المسبح المحلي المخصص للعموم، لكن الأمر تغير بعد أن تزوجت من زاندر، حيث وجدت بركة سباحة خاصة في روزمير، ولم تعد مضطرة إلى مغادرة المنزل من أجل السباحة. حرصت نيل على عدم الالتفات حيث يقف زاندر، على الرغم من معرفتها أنه هناك يراقبها.

كانت نيل في منتصف طريقها إلى الخليج الصغير، عندما ضرب زاندر المياه بساعديه، فسبح تحتها وأطبق يديه حول خصرها. أطلقت نيل صرخة مرتفعة حادة، وكادت تغرق حين استنشقت المياه المالحة إلى داخل رئتيها. لكن زاندر عاد ورفعها إلى الأعلى خارج المياه.

- أيتها الغاوية، العديمة الحياء القليلة الرحمة!

زأر زاندر بذلك، ثم أنزلها إلى الماء من جديد إلى أن صار وجهها مقابلاً لوجهه. كانت نيل ما تزال تسعل. شهقت: «آه، يا إلهي! فاجأتني حتى الموت».

عض زاندر على شفتيه قائلاً بغضب: «أنا من فاجأك؟ ما الذي تظنين نفسك فاعلة بحق الجحيم؟».

تعلقت نيل بكتفيه المشدودتين، إذ لم يكن أمامها ما تتعلق به سواهما، ثم نظرت إلى عينيه المشتعلتين بالسخط، قبل أن تعود فتخفض بصرها. لاحظت بارتعاب أن ثوب السباحة الذي ترتديه يلتصق بشدة بجسدها. فوجهت نظرات عينيها الواسعتين نحو عيني زاندر المتوهجتين، وفتحت فمها كي تقول شيئاً ما، لكن زاندر أسكتها بقوة بعناق حمّله شغفه الغاضب الذي دفعه ليغطس متسللاً عبر المياه إلى أن استطاع أن يقبض عليها. ذلك العناق لا يشبه أي شيء اختبرته نيل من قبل، إذ بدا حامياً عميقاً ومشحوناً بمشاعر بدائية أذهلتها. انغرست أظافر نيل في كتفي زاندر، أما أصابعه فبدت أشبه بالملزمة القابضة على خصرها. لم تساعدهما حقيقة أنهما ما يزالان يلهثان من سباحتهما الحماسية، إذ راح قلباهما يدقان بقوة راعدة، وهما يمسكان بجموح بعضهما.

بزمجرة غاضبة تركها زاندر، وابتعد عنها، فغاصت نيل تحت سطح الماء، وحين استجمعت ما يكفي من العقلانية كي تندفع عائدة إلى سطح الماء، كان زاندر يسبح عائداً نحو الشاطئ. إنه الرفض الأسوأ والأكثر دماراً بين كل المرات التي رفضها فيها زاندر! ظنّت نيل لبضع لحظات مريعة أنه سوف يغمى عليها. لو كان بمقدورها، لاستدارت لتسبح باتجاه عرض البحر فقط كي تبتعد عن الرفض الذي ألهب أعماقها. لكن زاندر كان قد اعتصر قوتها وسلبها إياها، كما لو أنه فيروس قاتل عديم الرحمة، وتركها برفقة هذا الإحساس البدائي الذي بدا جديداً تماماً بالنسبة لها.

راقبته نيل وهو ينهض من الماء. بدا وسيماً، عريض الكتفين، طويل القامة، وذا بشرة سمراء برونزية رائعة. تحركت عضلاته المتناسقة واسترخت في تناغم رشيق. لم ينظر زاندر إلى الوراء، واستطاعت نيل أن تشعر بموجات الغضب التي يبثها نحوها ونحو المحيط الهادئ خلفها، فكرهت نفسها لأنها تجاوبت معه.

تطلب الأمر كل ذرة من قوة الإرادة التي استطاعت استجماعها

www.elromancia.com

حتى تجبر نفسها على اللحاق به. غاصت تحت الماء في محاولة لتبريد الحماوة في وجهها وجسدها، قبل أن تسمح لنفسها بالعودة إلى السطح مجدداً، ثم سبحت بضربات مترددة جداً لتعود إلى الشاطئ.

كان زاندر قد ارتدى سروالاً ناعماً ضيقاً قبل أن تصل هي إلى الشاطئ. حين سمع صوت المياه تحت قدميها وهي تمشي في المياه الضحلة، انحنى نزولاً، فحمل وشاحها وقذفه نحوها. استقر الوشاح الأبيض فوق الرمال الرطبة عند قدمي نيل، فيما تناول زاندر قميصه فجرّها فوق بشرته. فكّر زاندر بالاعتذار منها، لكنه قام بهذا الدور من قبل مرّات عدة، ما جعل الأمر يبدو من دون معنى. على أي حال، إنه ليس آسفاً. إنه غاضب ويشعر بالتوق إليها.

- لن تستعرضي جسدك بعد اليوم في ملابس مستهترة كهذه، بالكاد تشبه لباس السباحة.

خرجت الكلمات من فم زاندر مقتضبة، وحين سمعها أدرك أنه يبدو أشبه بوالد يعترض على تصرفات ابنته، فأطلق تنهيدة مندفعة جعلته يدور حول نفسه. كانت نيل تحاول عقد الوشاح بأناملها المرتعشة، أما شعرها الجميل فبدا مبللاً وملتصقاً برأسها. لم تبدُ مطلقاً أكثر خضوعاً ولا أكثر كآبة مما تبدو عليه الآن. سمع زاندر نفسه يضيف قائلاً: «عندما نتوصل إلى إقامة علاقة حقيقية، سنفعل ذلك في خصوصية تامة. لست أدري كيف تمكنا من البقاء فوق سطح الماء ونحن متعانقان».

- أنا قادرة على السباحة.

تشدّق زاندر بتكاسل قائلاً: «ليس ونحن متعانقان، عزيزتي».

تدبّرت نيل أمر العقدة، وأحس زاندر أنها حبست الدماء في عروقها، إذ بدت مشدودة جداً. أما وجنتاها فتلطختا بلون زهري. النظرة التي رمقته بها نيل بدت كفيلة بإذبال غروره. لكنها لم تفعل.

- يا لها من ثقة زائدة! ألا يقال دوماً إن أولئك الذين يتباهون بأنفسهم، يخيبون الظن دوماً؟

هزأت نيل به وهي تتسلل بالقرب منه لتلتقط بقية أغراضها.

أكّد لها زاندر بثقة وبصوت أجش: «أنا لن أخيب ظنك».

- حسناً! إذا كان بمقدورك الانتظار حتى يحل الظلام كي تبرهن لي ذلك، فيمكنني أن أدّعي دوماً بأنك شخص آخر، حينها ربما لن تخيب ظني.

تفوهت نيل بتعليقها الحاد هذا، ثم وضعت القبعة على رأسها ومشت متجهة نحو الدرب المؤدي إلى المنزل.

قال زاندر لنفسه وهو يراقب نيل تمشي مبتعدة: إن رجلاً أقل ثقة منه بنفسه قد يتفاعل تجاه إهانة مماثلة، فيلحق بها ويجرها على الرمال ليجعلها تتراجع عن كلماتها الغبية تلك، أما هو فالتقط جوربيه وحذاءه ولحق بها بخطى مسترخية، وهو يخطط لانتقامه بأساليب أكثر دهاءً.

أحست نيل به إلى جانبها، فدفعت بنظارتيها فوق عينيها، وزادت في سرعة خطاها. علّق زاندر: «تربيت على هذه الجزيرة. عندما كنت صبياً صغيراً اعتدت أن أمشي على هذا الدرب كل صباح لأسبح في الخليج، قبل أن يتم نقلي بالباخرة إلى البر الرئيسي كي أحضر المدرسة. القفز من أعلى الصخور تجربة مبهجة منعشة، فالغوص جيد في ذاك المكان، وكذلك صيد الأسماك... لا أفترض أن الجزء المتعلق بصيد الأسماك قد يهمك بأي حال».

- أكنت تصطاد الأسماك؟

تفوهت نيل بالكلمات من دون تفكير، ثم غضبت من نفسها لأنها كانت عازمة على ألا تقول أي شيء على الإطلاق. سخر منها زاندر قائلاً: «أتظنيني جئت على هذه الأرض وأنا مليء بالغرور والقوة؟».

فسّر لها قائلاً: «كنت أصطاد الأسماك خلال فترات ما بعد الظهر. وذلك عندما يتم إرجاعي إلى هنا بعد انتهاء نهاري المدرسي، أما حارسي الشخصي الدائم الوجود إلى جانبي فكان رفيق لعبي الوحيد».

ها هو الآن يحاول الحصول على تعاطفها من خلال رسم صورة مؤثرة تلين القلب لولد صغير وحيد محميّ ومعزول عن العالم، بسبب

www.elromancia.com

سلطة والده الضخمة وثروته. تابع زاندر كلامه: «والداي كانا دوماً مسافرين إلى مكان ما ليقوما بأمور هامة، لذا قلّما كنت أراهما. ثيا صوفيا هي من ربتني وعلمتني أصول اللياقة، وقيم الحياة الأساسية. أما صيد الأسماك فعلمني كيف أحيا بمفردي إذا ما اضطررت إلى ذلك. لطالما شعرت بالقلق من أن شيئاً مريعاً ما قد يحدث للذين يعيشون هنا على الجزيرة معي، وقد أترك هنا بمفردي لكي أرد الخطر عن نفسي. كنت أعلم أن لوالدي أعداء نافذين قد يقررون استخدامي طلباً للانتقام. قبل أن أبلغ من العمر ست سنوات كنت قد اخترت كل الأماكن المناسبة للاختباء تحسباً لذلك».

- هل هنالك أي هدف من إخبارك لي بكل هذا؟

هي لن تشعر بالأسف تجاه ذاك الصبي الصغير القلق... لن تفعل!

صرّح زاندر ببرود: «أنت تظنين نفسك الوحيدة التي عاشت حياة غريبة ومأساوية، لكنك لست كذلك. أنا أيضاً عشت هذا النمط من الحياة، لذا يمكنني أن أدرك ماهية الشخص الذي أنت عليه في داخلك».

أطبقت نيل أناملها المشدودة على كتابها. حاولت جاهدة ألا تطرح السؤال الذي كان يستفزها لتطرحه، لكنه خرج من فمها على كل حال، إذ قالت: «وأي شخص هو هذا؟».

- إنك شخص يخفي ذاته الحقيقية خلف سلسلة من القواقع المبنية بحذر كشكل من أشكال الدفاع عن النفس ضد الآلام والمخاوف والرفض التي تواجهك بها الحياة، مثلي تماماً.

ردت بكلمات لاذعة وبصوت مرتفع قائلة: «يا له من هراء! اعفني من المزيد من هذه الثرثرة السيكولوجية التحليلية، زاندر. لا فكرة لدي إلى أين تريد الوصول بها، ولا أريد أن أعرف».

اقترح زاندر قائلاً: «إلى فهم أعمق لبعضنا البعض. ما رأيك بذلك؟».

- بأي هدف؟ ألكي تتمكن أخيراً من جذبي إلى سريرك قبل أن تطير

إلى أراضٍ جديدة... أو قديمة.

رد زاندر بكلام لاذع: «لطالما كنت طريدة سهلة عزيزتي. لكنني تدبرت أمر تجنب أخذ ما كان دائماً موجوداً هناك أمامي لآخذه».

توقفت نيل وهي تغلي على مهل. كانت القبعة والنظارتين الشمسيتين تخفي تعابير وجهها عن زاندر، لكن هنالك أساليب أخرى لارسال لغة الجسد. قالت: «أظنك تنوي إذلالي».

أنكر زاندر ذلك بقوة قائلاً: «لا! كنت أحاول أن...».

تابعت نيل سيرها مجدداً لكن بخطى أسرع، أما أنفاسها فأخذت تخرج بتوتر من بين أسنانها المطبقة، فيما اندفعت برجليها صعوداً نحو آخر جزء من التلة.

وصل زاندر إلى جانبها مجدداً، فقال: «هلاّ أصغيتِ إلي؟».

- أتريدني أن أصغي إليك وأنت تخبرني أنك تزوجتني لأنك رأيت فيّ رفيقة روحك الملائمة؟ أي رفيقة يمكنك أن تقربها ثم تتركها حين تشاء، أما هي فلا تتذمر لأنها معتادة على الرفض، وعلى هذه العزلة المهترئة التي تفضل أن تحيطها بها؟

جرش زاندر على أسنانه قائلاً: «أنا تزوجتك لأنني وجدت نفسي أمام خيارين، إما أن آخذك إلى سريري من دون أن أضع الخاتم اللعين في إصبعك، وإما...!».

ترددت أصداء نوبة الغضب المزدرية التي أطلقتها نيل، فوصلت إلى الأشجار في الأعلى، إذ قالت: «أنا كنت مجرد صفقة عمل!».

استدارت نحو زاندر بسخط، فداست بقدمها على حصاة حادة، جعلتها تطلق صوتاً متألماً: «آخ!».

سألها زاندر بصوت خشن: «ما الذي فعلته؟».

فركت نيل عقب قدمها بيدها، وقالت: «لاشيء».

ثم أطلقت كلامها الحاد نحوه بسخط قائلة: «كما أننا لم نتشارك قط السرير نفسه! لم نتشارك حتى في غرفة النوم نفسها!».

تشدق زاندر: «حسناً! ذلك على وشك أن يتغير».

www.elromancia.com

قررت نيل أنها لن تصغي إلى المزيد، فأنزلت قدمها إلى الأرض لتستدير وتبدأ بالسير مجدداً، لكن جسدها ورجليها راحت ترتعش من شدة الغضب العارم وبتأثير أمور أخرى، بما أن عينيها ما تزالان تشاهدان هذا الرجل الطويل المتعجرف ذا الشعر المشعث المبلل والقميص الرطبة. وصلت نيل إلى قمة التلة. حدقت نزولاً نحو الجانب الآخر منها، فاستطاعت أن ترى في الأسفل من خلال الأشجار سقف المنزل المغطى بالقرميد الأحمر، كما رأت المروحية متوقفة في مكانها بالقرب من بركة السباحة اللماعة الزرقاء. بدا المنظر بأكمله جميلاً؛ جنة من السكينة التامة، وملاذ ليس له مثيل.

فاجأها زاندر مجدداً. فتسللت يداه حول خصرها، ثم أدارها لتصبح مواجهة له. استقر حذاؤه في مكان ما مقرقعاً بسقوطه، أما الكتاب الذي كانت تحمله نيل فسقط بالطريقة نفسها. بعدئذٍ سقطت قبعتها ولحقت بها نظارتاها الشمسيتان. علقت الأنفاس في حلقها، عندما أطبق زاندر ذراعيه حولها، فعانقها وهي منقطعة الأنفاس.

جالت يدا زاندر على كتفي نيل وظهرها، فأحست نيل بالدوار والتخدير. انفجرت المشاعر بينهما من دون تحذير، كما لو أن لقاء حامياً يؤدي إلى التالي. بعد مرور بعض الوقت انسحب زاندر من العناق، فيما تصلب وجهه بنارٍ حارقة. قال بصوت أجش: «أرأيت نيل؟ أنا أكثر من متشوق لإتمام علاقتنا الزوجية. هل كنت تفضلين لو قمنا بالأمر منذ أسبوعين في السرير حيث كنت مستلقية جريحة وضعيفة؟ أم هل كان بإمكاننا أن نجعل الساعات تمر سريعاً خلال رحلتنا بالطائرة إلى هنا؟ أم دعينا نعود إلى الوراء، إلى ليلة زفافنا حين بدوت مشتتة جداً إلى درجة أن رجلاً متوحشاً فقط كان ليحاول أن يقيم معك علاقة غرامية؟».

تابع زاندر متكلماً بعصبية: «لن تستديري وتبتعدي عني!».

امتدت يدا زاندر فقربتاها منه أكثر. ألح قائلاً: «هل تفهمين الآن ما أحاول أن أقوله لك؟ انظري إلينا عزيزتي! نحن لسنا عدوين. نحن

شخصان يتمتعان بشغف كبير تجاه بعضهما البعض».

- فقط حين يتوفر لديك الوقت كي تشعر على هذا النحو.

تكلم زاندر بصوت خشن قائلاً: «حسناً! أنا أشعر على هذا النحو الآن!».

جعلتها هذه الصراحة الواضحة تدفع بنفسها لتبتعد عنه، فيما بدت عيناها كبيرتين خضراوين مصدومتين.

فجأة سمع صوت شفرات مروحية فوق رأسيهما، ما أنقذ نيل من مهمة الدفاع عن نفسها. نظر كلاهما إلى الأعلى، ثم تلفظ زاندر بشتيمة ثقيلة. تذمر قائلاً: «لدينا زائرة».

- من؟

أطلقت نيل سؤالها فيما راقبا المروحية تندفع نزولاً من جانب التل، ثم تحوم لتتوقف إلى جانب المروحية الأخرى.

مرت لحظة لم يحصل فيها أي شيء، لحظة من الصمت المطلق، جعلت نظرات نيل تعودان إلى وجهه. لم يبدُ زاندر سعيداً. حتى إنه أبدى تكشيرة، وقال: «والدتي».

٥ - تحدٍّ!

والدته...!

غرق قلب نيل حتى عقبي قدميها الحافيتين. غابرييلا باسكاليس، الجميلة المذهلة التي تبدو دائماً مميزة، قادمة لزيارتهما، فيما نيل تبدو على هذا الشكل: مبللة، متسخة ومشتتة إلى حد كبير!

حمل صوت نيل ارتعاشة وهي تقول: «هل كنت تعلم بقدومها إلى هنا؟».

تنهد زاندر قائلاً: «قالت لي إنها قادمة، فطلبت منها ألا تزعج نفسها. علمت أنها سوف تتجاهلني... حسناً! أملت أنها ستصغي إلي ولو لمرة واحدة...».

أطلقت نيل نظرة فتاكة نحوه، وقالت: «ألم تفكر بأن تحذرني مسبقاً؟».

- كنا منشغلين بـ... أمور أخرى، فنسيت.

استدارت على عقبيها، وبدأت تمشي بخطوات واسعة نزولاً إلى الجانب الآخر من التلة، تاركة زاندر يطلق شتائم متنوعة، وهو يجمع أغراضهما المبعثرة.

تعلم نيل أن الأم وابنها لا ينعمان بعلاقة دافئة. فما إن يتقابلا ويتعانقا، حتى يبدآ بقذف بعضهما بتعليقات شائكة مبطنة، ثم يتعانقان ويفترقان مجدداً حتى المرة القادمة. حين يكون الابن والأم سوياً يبدو الأمر أشبه بالوقوف في حقل من الألغام. المرات النادرة التي التقت خلالها بزاندر ووالدته سوياً، هي تلك المناسبات الرسمية التي كان زاندر يجرّها لحضورها من حين إلى آخر حفاظاً على المظاهر، فيما

كانت فانيسا في الخلفية المظلمة بانتظار عودة عشيقها.

أحست نيل أن جلدها صار بارداً حين فكرت بذلك. فجأة غمر سفح التل صوت ابتهاج، جذب انتباه نيل نزولاً نحو المنزل. لاحظت أن المروحية استقرت إلى جانب الأخرى، أما غابرييلا فواقفة الآن إلى جانب بركة السباحة وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما، فيما أسرعت ثيا صوفيا نحوها وهي تصفق بيديها ابتهاجاً. قامت غابرييلا بمعانقة ثيا صوفيا، وبدا عناقهما ودوداً صاخباً، فاجأ نيل بمقدار ما فاجأها تجاوبها مع زاندر في أعلى التلة. ما كانت لتصدق أبداً أن غابرييلا قادرة على ذلك، لو لم تشاهد الأمر بأم عينها.

أحست نيل بالحريق السخيف للدموع التي تخز عينيها، وذلك بعدما غابت المرأتان المتعانقتان عن ناظريها تحت سقف المنزل. بدا لها أن من الغباء أن تشعر بالأذية بسبب هذا العرض العلني للعاطفة من قبل والدة زاندر تجاه عمته، لكن هذا هو بالتحديد الشعور الذي أحست به. غابرييلا لم تعانقها بهذه الطريقة مطلقاً، ولم ترحب بها يوماً بذراعيها المفتوحتين.

عندما وصلت نيل إلى جوار بركة السباحة، كانت المرأتان قد رحلتا. توجهت مباشرة نحو مرشة المياه التي احتلت زاوية من الفناء، ففتحت صنبور المياه وبدأت تغسل قدميها. شعرت بعقب قدمها يخزها بسبب اصطدامه بالحجر الحاد، لكن ما إن أوشكت على رفع قدمها لتتفحصها حتى لاحظت أن زاندر أصبح على بعد بضع خطوات خلفها، فركزت كامل انتباهها عليه. كان زاندر قد جمع أغراضهما عن الشاطئ، فأخذ يضعها الآن على إحدى الطاولات. بدا طويلاً غامضاً وجذاباً بشكل غير مريح بسبب شعره المبلل اللامع وقدميه الحافيتين.

أشاحت نيل بنظرها حين استدار زاندر نحوها. تصلبت بشكل جنوني عندما تسللت يداه حول خصرها. ظهرت قدم سمراء طويلة إلى جانب قدمها، لكي يتمكن زاندر من مشاركتها في المياه المنسابة عليهما. حذرها وهي تحاول الابتعاد عنه: «نحن مراقبان، حبيبتي».

www.elromancia.com

هذا الكلام هو كل ما احتاج إلى قوله حتى يوقف محاولتها الفرار.

علّق زاندر بصوت أبح بملاصقة أذنها: «أنت ترتعشين تماماً!».

- أنا أرتعش لأنني غاضبة منك. انظر إلي زاندر! جسدي مبلل ومغطى بالملح، وأنا الآن مضطرة إلى الدخول لمقابلة والدتك بهذا المظهر المزري. كان يجدر بك أن تحذرني. كان بمقدوري أن أجد الوقت الكافي لأستحم ولأغير ملابسي قبل وصولها... هي تعلم... أليس كذلك؟

أضافت بغير سرور: «... ما تقوله الصحف عنا؟».

- هل يزعجك ذلك؟

- ذلك يزعجك أنت أيضاً، وإلاّ لما أحضرتني إلى هنا، وأخفيتني عن الأنظار.

استشعرت نيل بتجهم جديد فيه، حين مدّ يده من فوق كتفيها كي يغلق صنبور المياه. أنكر قائلاً: «أنا لم أحضركِ إلى هنا حتى أخفيك عن الأنظار».

- بل فعلت. مثلما كنت تفعل طيلة العام الماضي.

- ألهذا ظننتِ أنك ستجعلينني أستفيق، وألاحظك من خلال تورطك مع رجل آخر؟

- أليس هذا غروراً من قبلك، أن تظن أنني كنت أحاول الاستحواذ على اهتمامك؟

حاولت نيل مجدداً أن تبتعد عن زاندر، لكنه لم يسمح بذلك. استلقت يده المنبسطة بخفة لكن بحزم فوق خصرها، كي يبقيها محتجزة أمامه. استنشقت نيل نفساً قصيراً متوتراً، ثم صرّحت قائلة: «أنا كنت سأهجرك، وكنت أنوي، بل آمل ألاّ أراك مطلقاً مرة ثانية».

- منذ بضع دقائق فقط أظهرت أكثر من مجرد الرغبة برؤيتي نيل، ولا أتذكر أنك استدرت وابتعدت عني. في الواقع...

- كان ذلك مجرد... إغواء.

- وأنت تعرفين الكثير عن الموضوع. أليس كذلك؟

لم تجبه نيل. أشاحت ببصرها لتحدق ببركة السباحة اللامعة، وقالت: «كنا نتكلم عن والدتك».

- إنها هنا لتناقش مسألة عائلية ما.

- حسناً! لعلها ستكون لبقة بما فيه الكفاية كي تقلّني من هذه الجزيرة حين تغادر.

- أتظنينني أسمح بذلك؟

أومضت عيناها الخضراوان، وقالت: «أتود أن تكرر لي ذاك الجزء المتعلق بعدم إخفائي عن الأنظار».

تقدم زاندر منها أكثر، ثم أخفض رأسه وعانقها ببطء ونعومة وبشغف كاف كي يستحثها على التجاوب معه. غمغم عندما رفع رأسه مجدداً: «لهذا السبب أنت هنا عزيزتي. لكي ندفع هذا الزواج إلى الانطلاق. بعدئذٍ دعينا نرى إذا كنت ما تزالين ترغبين بالرحيل».

استطاع زاندر أن يقول كلامه هذا بتلك النبرة المميزة المؤثرة لأنها تجاوبت معه. استطاع أن يقول ذلك لأن أنامل نيل كانت ملقاة على بشرته السمراء. اللعنة! إنها فعلاً تتوق إليه كما يتوق إليها. أفلتها زاندر، ومشى بخطوات واسعة. تركها واقفة هناك، مدركاً أنه ربح تلك المعركة الصغيرة من دون أن يضطر إلى الدفاع كثيراً عن نفسه. انتظر في برودة البهو، وراقب بعينيه المحجوبتين وصول نيل بدقة من خلال الباب المفتوح. شعّ نور الشمس من خلفها، فبدت أشبه بحورية بحر واقفة أمام فكّي قرش نهم، وزاندر هو ذلك القرش.

بدأت نيل تسير إلى الأمام. وأخذ ذهن زاندر يمثل مشهداً صغيراً مغرياً وهو يراقبها. أطبق حاجبيه سوياً بعبوس عندما أصبحت قربه، فأعطاها التعليمات قائلاً: «اذهبي ورتبي مظهرك ريثما أسلّي... ضيفتنا».

- لكن والدتك ستعتقد أن من غير اللبق ألاّ...

فقال: «ثقي بي! سوف يتحسن شعورك إذا أخذتِ وقتك لتغيري ملابسك».

علا وجنتي نيل احمرار خجل، إلا أنها مرت بالقرب منه وقالت له: «أنت أيضاً لا تبدو مرتباً جداً».

كشّر زاندر وقال: «لكن الفرق يكمن في أنني لست آبه لما يظنه الآخرون حين ينظرون إلي».

فكرت نيل وهي تهم بصعود الدرج أن زاندر لا يأبه لرأي الناس، لأنه يبدو رائعاً جداً. لكن لو أن نيل نظرت خلفها، لقبضت على زاندر وهو يقفل أزرار قميصه بسرعة، ثم يمشط شعره بأنامله الطويلة. أما التعابير المرتسمة على وجهه فتغيرت من اللامبالاة إلى التجهم.

آخر ما توقعه زاندر هو أن تدعو والدته نفسها فجأة إلى هنا، في حين أنه طلب منها ألاّ تأتي. مع ذلك، وبما أنها جاءت إلى هنا، لديه بعض الأمور الخاصة التي يحتاج إلى مناقشتها معها. إنها أمور يفضل أن يزيحها من دربه قبل أن يتابع إغواء زوجته الجميلة. تأهبت أعصاب زاندر بمجرد تفكيره بتلك المخلوقة الفاتنة التي قابلها في الخليج منذ ساعة. بحسب ما أشارت له هذه الساحرة الفاتنة، فإنها كانت تنوي أن تهجره لأجل رجل آخر منذ ثلاثة أسابيع. إنه رجل ما انفكّت نيل تحاول الاتصال به بواسطة الهاتف من مكتب زاندر هنا، وذلك منذ أن وصلت إلى هذه الجزيرة. لكن يبدو أن نيل اكتشفت مثلما اكتشف زاندر نفسه ومجموعة الأشخاص الذين جيّشهم للبحث عنه، أن مارسيل دوبوا اختفى فعلياً عن وجه الأرض. نيل ما تزال تحاول التواصل مع الجبان الحقير، مع أنها تجاوبت معه كامرأة كانت تكبت أحاسيسها لفترة طويلة جداً. هل أيقظ ذاك الرجل مشاعرها إلى درجة أنها بعد مرور ثلاثة أسابيع من دونه، صارت تشعر بالنهم الكافي لأن تسمح لأي رجل بالحصول عليها؟ غرز الغضب المرير أسنانه الحادة في زاندر، لمجرد تفكيره بأن رجلاً آخر أخذ ما هو ملكه.

فتح باب غرفة الاستقبال بسرعة، ثم خطا إلى الداخل، فاشتم عطر والدته، ورأى عمته تتوهج ابتساماً لأن الشخص المفضل لديها جاء للزيارة. من المخزي أنه لا يشارك عمته الشعور نفسه. قال زاندر:

«حسناً، أمي! دعينا نختصر الحديث. لدي أمور أهم تشغلني من إصغائي إلى مشاكلك العملية اليوم».

- أظنك كنت تهتم بأمورك للتو، عزيزي.

تشدقت والدته وهي تلقي نظرة سريعة صعوداً ونزولاً نحو حالته المشعثة على الرغم من محاولة زاندر ترتيب هندامه. تابعت: «أنا من كنت أفكر وأنا قادمة بالمروحية إلى هنا، أن زاندر أخيراً سوف يعلم كيف يشعر المرء حين يتخبط الزواج على الصخور...».

هزّ زاندر رأسه قائلاً: «إن زواجك لم يتخبط، بل أنت خرّبته».

- إذا كنتما تريدان أن تتشاجرا، فسوف أدعكما.

قالت ثيا صوفيا ذلك، وتوجهت نحو الباب وقد فقدت ابتسامتها المشرقة. أضافت بعبوس قبل أن تخرج: «ألا ترغبان بمعانقة بعضكما قبل أن تمزقا بعضكما البعض إرباً؟».

بعد مرور خمس عشرة دقيقة نزلت نيل عن الدرج مجدداً، وقد أخذت أسرع حمام في التاريخ، أما شعرها المغسول حديثاً فجففته قليلاً بالمنشفة، ثم تركته على سجيته فيما اندفعت تبحث عن شيء ملائم لترتديه. إن الشخص الذي وضب لها أغراضها في إنكلترا اختار تقريباً كل الملابس التي اشترتها لشهر عسلها، فقد اشترت هذه الملابس وليس في ذهنها سوى زاندر والعلاقة الرومنسية، لذا اضطرت نيل أن ترتدي أحد الفساتين القصيرة المنزلقة عن الكتف، وهو فستان من اللون الفيروزي كان سائداً خلال الموسم الماضي. ترددت أمام باب غرفة الاستقبال، ومرّرت أناملها المتوترة نزولاً على فستانها الذي يصل حتى ركبتيها والذي يتلائم مع لون عينيها. سوف يبدو قديم الطراز بالنسبة إلى حماتها التي تعتبر سباقة في مجال الأزياء والموضة.

استغرق الأمر نيل حوالى الثانيتين فقط لتدرك أنها خطت داخل ساحة معركة. كان زاندر مستلقياً على أحد الكراسي، فيما أطلق شرارات غاضبة باتجاه والدته. أما غابرييلا فجلست قبالته وهي تعطي الانطباع البارد بأنها لم تلحظ تلك الشرارات. أدار زاندر رأسه لينظر

إلى نيل، فأحست باحمرار خديها، إذ ضاقت عينا زاندر ثم تباطأتا فوق شعرها الذي ما يزال رطباً بأطرافه الملفوفة بشكل لولبي والتي تلامس ظهرها.

- آه، هيلين... ها أنتِ!

أدارت نيل نظرها نحو حماتها حين سمعت صوتها الناعم، أما غابرييلا فنهضت بلباقة ورشاقة على قدميها، وقالت: «تبدين رائعة، عزيزتي».

ابتسمت غابرييلا وهي متوجهة نحو نيل، أما تعابير وجهها فلم تكشف شيئاً وهي تقلّب عينيها نزولاً نحو فستانها، لكن النقد بدا واضحاً فيهما. نيل واثقة من ذلك. أضافت غابرييلا: «تبدين فاتنة، نظيفة ونضرة كما هو حالك دوماً».

تبادلت المرأتان القبلات في الهواء كالعادة، وحاولت نيل ألاّ تتشنّج بسبب الجزء المتعلق «بالنظافة والنضارة». نظرت المرأة إلى نيل بدهاء، وقالت لها: «... طول شعرك يزداد قرابة الإنشين في كل مرة أقابلك فيها. أتعلمين؟ بلمسة أحد مصففي الشعر الذين أعرفهم في ميلانو، سيصبح أكثر...».

قاطع زاندر كلامها وهو ينهض واقفاً على قدميه، فقال: «دعي شعر نيل بحاله. يعجبني كما هو بالضبط».

وبخته والدته قائلة: «لا تكن فظاً عزيزي! أنا أقترح فقط أن تمنحني أسبوعاً مع هيلين في ميلانو، وسوف أحولها إلى...».

تدخل زاندر قائلاً: «دعي نيل بحالها. أنا معجب بها تماماً كما هي».

وافقت والدته قائلة: «حسناً! بالطبع أنت معجب بها، لكن...».

- أنت مميزة، حبيبتي!

وضع زاندر فمه فوق خد نيل وتكلم مباشرة مطيحاً بما أرادت غابرييلا قوله من كلام. نصحها قائلاً: «لا تصغي إليها. أنا لست بحاجة إلى عبدة أخرى للأزياء في هذه العائلة».

اعترضت والدته قائلة: «أنا لست عبدة للأزياء. آه! اذهب وارتدِ بعض الملابس الجافة».

ذهب زاندر مطيعاً، لكنه تمهل لفترة كافية كي يؤكد لنيل أنه سوف يعود قبل وصول ثيا صوفيا مع المرطبات لهم جميعاً. أغلق الباب خلفه تاركاً نيل وغابرييلا بمفردهما!

ملأت غابرييلا الفراغ، إذ قالت: «كنا نتجادل حين دخلتِ إلى هنا. أنا واثقة من أنك لاحظت ذلك. يحب أليكساندر أن تجري الأمور كلها على طريقته الخاصة، لكن لا يمكنه أن يحصل على هذا دوماً».

تساءلت نيل، إن كان الجدال متعلقاً بها، كما أن الشائعات الشنيعة المتعلقة بزواجهما بدت محتملة أيضاً.

وجدت نيل نفسها تقول: «الرجال الأقوياء يتصرفون على هذا النحو».

اختبرتها غابرييلا متفكرة: «أتظنينه قوياً؟ أنا أظنه متعجرفاً لاعتقاده أنه يجدر بي أن... آه! دعينا لا نتكلم عن الأمر».

قطعت غابرييلا ما كانت على وشك أن تقوله، ثم حثّت نيل قائلة: «أخبريني عن الحادث الذي تعرضتِ له، وكيف تتعافين. إنه موضوع أكثر إثارة للاهتمام...».

تحدثت نيل مع غابرييلا في التفاصيل القليلة التي وجدت أنها مستعدة للبوح بها بخصوص الحادث الذي تعرضت له. توقعت من التعابير المرتسمة على وجه غابرييلا أنها بالكاد سمعت عن تلك التفاصيل. وصلت ثيا صوفيا بعد ذلك، فلانت الأجواء المشدودة. رسمت غابرييلا على وجهها ابتسامة حقيقية، وقامت لتأخذ الصينية الثقيلة من المرأة الأكبر سناً. جرى بين المرأتين شجار ودّي صغير، ربحته ثيا. لم تستغرب نيل الأمر، فهذه الأخيرة تربح دوماً.

قالت ثيا صوفيا:

- دعيني أفعل ما أريده غابرييلا، لابد أن أشعر أنني مفيدة، وإلاّ

فمن الأجدر بي أن أقبع في سريري بانتظار أن يأخذني الله.

سخرت غابرييلا من كلامها هذا، فيما ذهبت لتجلس، أما المرأة الأكبر سنّاً فعبرت الغرفة لتضع الصينية على الطاولة. قالت غابرييلا: «ما أنت بحاجة إليه ثيا هو أن تخرجي من نفسك. متى كانت آخر مرة غادرتِ فيها هذه الجزيرة الصغيرة؟».

- أنا لا أتذكر متى غادرت هذا المكان آخر مرة.

- إذاً، إنه الوقت المناسب تماماً كي تغادري. بما أن أليكساندر يرفض السماح لي بتغيير شكل زوجته، سوف آخذك أنتِ إلى ميلانو ثيا، وسوف نمنحك تغييراً كاملاً لمظهرك، يجعلك تتوقفين عن هذا الكلام. لا! لا تجلسي هناك هيلين. تعالي واجلسي بالقرب مني.

- يا لك من مخلوقة آثمة!

تكلمت صوفيا بعد سماعها ما أمرت به غابرييلا، فيما نفذت نيل بوداعة ما طلبته منها هذه الأخيرة. تابعت صوفيا: «لو أن ابن شقيقي ما يزال حياً لسجنك في غرفتك لأنك تتكلمين معي على هذا النحو».

تنهدت غابرييلا بحيرة: «آه! مضت أربع سنوات، وما زلت أفتقد لديمتري».

- كنت في الثالثة والعشرين من عمري حين خطفت الحرب مني غريغوريوس، وجعلتني أرملة، لكنني ما زلت أفتقده مع مرور كل يوم.

هذه أخبار جديدة بالنسبة لنيل: ثيا صوفيا كانت متزوجة!

استدارت غابرييلا لتضم نيل إلى الحديث متابعة: «كان ليعجبكِ زوجي عزيزتي. أليكساندر يشبهه تماماً. إنه منحوت من الصخر وشديد الحماية بطبيعته، لكنه متملك وغيور إلى درجة أنه بالكاد كان يدعني أبتعد عن ناظريه. مع ذلك، ما الذي فعله؟ مات خلال لحظتين قصيرتين فيما كنت خارج الغرفة!».

- ما هذا الحديث عن الموتى؟

مشى زاندر داخل الغرفة وتدخل بالحديث، فيما كان يرتدي سروالاً باهت اللون مع قميص بيضاء نظيفة.

قالت والدته بحزن: «والدك كان حبي الوحيد الثابت».

- لعله كان كذلك، لكنكِ...

تابع زاندر كلامه باللغة الإيطالية الحادة التي جمّدت الحديث فعلياً، وجعلت وجه غابرييلا يصير شاحباً.

تعافت ثيا صوفيا أولاً، فانفجرت في هبة من الثرثرة، فيما ناولت الآخرين فناجين القهوة الصغيرة المليئة بالقهوة القوية. أما نيل فأحست بالحيرة تجاه ما يمكن أن يكون زاندر قد قاله هذه المرة ليدمر والدته. أطلقت غابرييلا نحوه نظرة كره، فردّها لها زاندر بتجهم. رمت نيل نحوه نظرة قاسية، بعدئذٍ استدارت نحو غابرييلا، وقالت: «تبدو الرحلة إلى ميلانو مثيرة للاهتمام. أنا لم أذهب إلى هناك قط، كما أنني أرغب بأن أقص شعري... قصيراً».

بدأت عينا غابرييلا تشعّان، إذ علمت ما الذي تفعله نيل. بدا الأمر ناجحاً، فقد تحرك زاندر في كرسيه. اقترحت نيل: «لعلني أستطيع أن آتي معك. سيكون من الممتع إنفاق الكثير من المال على ملابس جديدة وأشياء مختلفة، ومظهر جديد...».

تدخل زاندر عابساً ليقول: «حاولي أن تتعافي كلياً قبل أن تقومي بأي مخططات».

ردّت نيل قائلة:

- لقد تعافيت.

صار زاندر الآن ينظر إليها بعينين ضيقتين، متوهجتين بشرارات تحذيرية، أطلقها نحوها الآن. تابعت نيل: «حظيت بأسبوعين كاملين تحت رعاية ثيا صوفيا اللطيفة، ما ساعد على شفائي».

تدخلت ثيا صوفيا، فانحنت لتربت على خد نيل بحنان، فيما ناولتها فنجان القهوة، ثم قالت: «بل أنتِ كنت المريضة المطيعة. كان يجدر بك أن تشاهدي كدماتها ورضوضها، غابرييلا».

ثم أعلنت بتأثر قائلة: «لا عجب أن أليكساندر لم يحتمل أن ينظر إلى كدماتها. أين كانت غرائزه الدفاعية حين قادت هذه الفتاة المسكينة

سيارتها الركيكة، واصطدمت بالشجرة؟ أصيبت بالكدمات من هنا إلى هنا».

رسمت ثياصوفيا بيدها خطاً مائلاً في الهواء من جهة اليسار إلى اليمين فوق صدر نيل، ثم أضافت الخط الأفقي الآخر فوق معدتها. لاحظت نيل حاجبي زاندر يتقوسان في عبوس حاد، تابعت عمته قائلة: «هيلين سمّتها حروق حزام الأمان. وأنا أسميها إجراماً. من الذي يرغب بوضع حزام الأمان مجدداً بعد معاناته من أذى كهذا؟».

أشار حفيد شقيقها قائلاً: «فكري بالأذى الذي كان سيحصل لولا حزام الأمان ثيا. نيل فقدت زائدتها الدودية كما كسرت أضلاعها، وخرجت بأذى خفيف نسبياً من هذه الحادثة إذا أردتِ الحقيقة».

- بينما أنت كنت في الجانب الآخر من الكرة الأرضية تضع اسمك في الجرائد...

- هذا يكفي، صوفيا...!

أوقف طلب غابرييلا الهادئ كلام صوفيا، أما عينيها السوداوين فانتقلتا من وجه نيل الذي صار شاحباً فجأة نحو وجه ابنها البارد. أما المرأة المسنة فلجأت إلى التمتمة باللغة اليونانية، فيما انهمكت عائدة إلى صينية القهوة. تحرك زاندر في كرسيه، أما نيل فأرسلت نظرة نحوه من تحت أهدابها. كانت نظرات زاندر مثبتة عليها. تحولت الكتلة التي تسدّ حلقها إلى لهيب، إذ قررت الدموع أن تحل محلها. استدارت نيل من فرط يأسها نحو غابرييلا، ثم سألتها بصوت مؤدب: «كم... كم من الوقت تنوين البقاء هنا؟».

راحت حماتها تنظر إليها بتعاطف غامض، آلمها بقدر ما آلمتها كلمات ثيا صوفيا العديمة التفكير. ما إن فتحت غابرييلا فمها لتجيبها، حتى بادر زاندر بالكلام قبلها، فقال:

- إنها لن تبقى هنا.

تجاهلته نيل، ثم قالت لغابرييلا: «من... الجميل لو استطعت البقاء لبضعة أيام».

ثم شجعتها قائلة: «بِ... بمقدورنا أن نتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل...».

تطفل صوت زاندر الكريه مجدداً إذ قال: «أمي لا تملك الوقت للتعرف عليك بشكل أفضل حبيبتي، فهي تعيش حياة مميزة. أليس كذلك أمي؟».

أطبقت شفتا غابرييلا على بعضهما، ثم انفتحتا مجدداً. أرادت أن تتجاهل ابنها المتهكم تماماً كما فعلت نيل. تمتمت معتذرة: «أخشى أنني لست قادرة على البقاء. جئت لمناقشة بعض الأعمال مع ابني».

علق زاندر بنبرة ساخرة: «الأعمال فقط؟».

لم تعد نيل قادرة على تحمل المزيد. وضعت فنجان القهوة، ثم قفزت واقفة على قدميها. أطلقت سهام كلامها نحو الشيطان المتهكم، فقالت: «ما خطبك؟ إن محاولة إجراء حديث مؤدب بوجودك أمر مستحيل. أنت لا تكف عن إطلاق تعليقات ملؤها السخرية والتلميحات. لِم لا تصمت بكل بساطة؟».

صرخت نيل بذلك فانتفضت ثيا صوفيا متنبهة، أما غابرييلا ففتحت عينيها على اتساعهما. تابعت نيل: «أتعلم ما هي مشكلتك زاندر؟ إنك ما زلت ذاك الصبي الحانق الذي كان يسبح بمفرده في البحر. نسيت أن تنضج!».

هب زاندر واقفاً على قدميه قائلاً: «أنا نسيت أن أنضج؟ أين بحق الجحيم كنت خلال السنة المنصرمة؟».

أصبح خدا نيل حاميين الآن، فيما اتقدت عيناها الخضراوان سخطاً، فأجابت بوحشية: «في المكان الذي وضعتني فيه إلى أن قررت أنني اكتفيت من ذلك».

- لذا ظننت أن من الممتع لو قدت سيارتك لتصطدمي بشجرة؟

قذفته بكلامها قائلة: «حسناً! جميعنا نعلم ما كنت تفعله أنت، لأنك ظهرت في الجرائد بشكل بارز. هل تود أن أخبرهما ما الذي كنت أفعله فيما كنت أستمتع بتهشيم سيارتي؟».

- حذارِ نيل؟

هل أخبرهما؟ تحدّته نيل بعينيها الغاضبتين فيما جلست المرأتان الأخريان مسمرتين في مكانيهما. أحست بالدماء تطرق في رأسها بسبب رغبتها بأن تحطّم غرور زاندر الذي لا يطاق إلى فتات. لم يحرك زاندر وجهه قيد أنملة، إذ بقي صلباً، وسيماً وغير مستسلم مطلقاً، كما لو أنه قناع منحوت بلا شوائب. إنه يحذّرها بألا تفعل ذلك.

تغيّر طنين الدماء في رأسها، وصار وخزاً عنيفاً. أصبحت وسامة زاندر أشبه بالمخدّر الذي يغنّي داخل عروقها ببساطة. انشقّت شفتا نيل المرتعشتين، أما التعابير الصلبة كالحجر المرتسمة على وجه زاندر فبقيت ثابتة، ولم تتبدل، على الرغم من معرفته أنها على وشك أن تقول ما لديها... لابد أنه علم!

فجأة سقط صوت آخر ببرودة وهدوء داخل التوتر المشدود كأوتار آلة موسيقية.

- هيلين، عزيزتي! هل كنت تعلمين أن عقب قدمك ينزف دماً؟

٦ - ليلة زفاف متأخرة

قاطعت نيل تواصل العينين الحيوي مع زاندر، لتنظر مذهولة نزولاً نحو قدمها، حيث كان الدم ينزّ من خفّها ذي الربائط. تذكرت الحجر الحاد الذي داست عليه عند منحدر التلة. ما إن أوشكت أن تشرح الأمر، حتى هجم زاندر وحملها عن الأرض. قذفته نيل بكلامها الغاضب المتفاجئ قائلة: «دعني أيها الوحش!».

زمجر زاندر وهو يهم بحملها خارج الغرفة: «اصمتي!».

- أنا لم أشهد قط ناراً كهذه.

شهقت ثيا صوفيا في الصمت المذهول الذي تركاه في الجو المتوتر خلفهما، ثم تابعت قائلة: «طيلة فترة وجود الصغيرة هنا كانت هادئة ولطيفة كجدول جبلي».

قالت نيل وهي تغلي في داخلها من شدة السخط والغضب: «ألا تشعر بالسخافة الآن؟».

توقف زاندر على الدرج، وقد توهجت عيناه السوداوان، فأسرتا عينيها الخضراوين اللتين تطلقان الشرارات نحوه. بدا فم زاندر مشدوداً من فرط السخط، فأحست بوخز قلق للحماس الخطير يرتج في كل مساحات جسدها تقريباً.

قال: «إنك تحرضينني لسبب ما، وأريد أن أعرف لماذا!».

أطلقت نيل شهقة ذهول، حين شدها زاندر إلى صدره بعنف وعانقها. تمسك زاندر بها بقوة محوّلاً الأمر الجنوني بأسره إلى عناق شغوف جداً.

في غرفة الاستقبال قامت ثيا صوفيا بحركة منتفضة كي تلحق بهما،

www.elromancia.com

قائلة: «إنهما سوف يحتاجان...».

غمغمت غابرييلا بهدوء: «ابقي حيث أنت، ثيا. لا أظنهما سيقدران لك تطفلك الآن بالذات».

ثم تابعت متفكرة: «إن ينبوعك الجبلي الهادئ على وشك أن يتحول إلى تيار جارف عزيزتي. أما ابننا الغاضب ذو المبادئ العالية فهو على وشك أن يتعلم كيف يكون الوضع حين يعلق داخل فيضان هائج خارج عن سيطرته».

- تبدين مسرورة حيال ذلك.

تفكّرت غابرييلا قائلة: «مسرورة؟ أفترض أنني كذلك. إنه لم يغفر لي قط تياري الجارف الخاص. دعيه يتعلم ويفهم كيف أحسست حينها».

قالت ثيا بجفاء واقتضاب: «هذان الاثنان هما زوج وزوجة. أما تيارك أنت فقد حدث خارج الرباط الزوجي، ودمّر العديد من الأشخاص الذين لا يهمك تذكّرهم».

تنهدت غابرييلا قائلة: «نعم».

ترافق كلامها مع نهوضها على قدميها. مشت بتململ نحو النافذة، حيث وقفت تحدق نحو بركة السباحة اللّماعة.

- لقد اكتفيت من هذا المكان.

قالت صوفيا بقلق: «آه! لم أقصد أن أجعلك تهربين من هنا».

قبّلت غابرييلا المرأة الأكبر سناً على خدها، وقالت: «أعلم. لكن ما كان يجدر بي أن آتي أصلاً. أليكساندر حذّرني بالفعل أن لا وقت لديه لمشاكلي، والآن عرفت السبب».

- كانا منفصلين لأسبوعين.

ابتسمت غابرييلا بحزن، ثم قالت: «مضى على انفصالهما أكثر من ذلك، ثيا. هذان الاثنان متزوجان يا عزيزتي اللطيفة، لكنهما لم يصبحا زوجاً وزوجة حقيقيين بعد!».

* * *

استمر عناق زاندر ونيل طوال طريقهما إلى الطابق العلوي ثم إلى غرفة النوم. فكّرت نيل بالانسحاب من العناق حين سمعت صوت انغلاق الباب خلفها بمساعدة قدم زاندر. راقب زاندر الذهول الذي يزيد عينيها الجميلتين عمقاً، فيما حدّقت نيل إلى الأعلى نحوه، واستطاع أن يشعر بتسارع ضربات قلبها تحت كفه. قال لها: «سوف أعانقك حتى تفقدي صوابك... وتقولين لي ما الذي تنوين عليه».

تسارعت نبضات قلب نيل أكثر، فأنكرت قائلة: «أنا لست أنوي على أي شيء!».

لكن خديها بدأا يزدادان حرارة، وهي إشارة أكيدة على أن الساحرة الصغيرة تكذب عليه. قال زاندر: «أتظنينني غير قادر على معرفة النوايا المخفية لدى شخص ما؟ و... لا ترمشي لي بعينيك البريئتين».

حاولت نيل أن تتملص لتحرر نفسها من بين ذراعيه، لكنه لم يسمح لها بذلك، تابعت نيل قائلة: «رحت تهددني منذ أن جئت ذاك اليوم إلى المستشفى!».

رسم زاندر على وجهه ابتسامة أظهرت أسنانه، ثم توجه نحو السرير، فبدأت نيل ترتجف. آه، يا إلهي! صاحت قائلة: «قدمي!».

انتفضت آملة أن يوقفه ذلك، ونجح الأمر. توقف زاندر في وسط غرفة النوم، وغيّر اتجاهه من دون أن يتفوه بكلمة، فحمل نيل إلى الحمام حيث أنزلها على المنضدة الرخامية. داعب شعر نيل وجهه، فيما استقام ليحيد عنها. ظل قلبها ينبض بتسارع، أما الارتجافات الخفيفة فبقيت تهاجم بنيتها النحيلة. أخذ زاندر يكزّ على أسنانه لأنه لم يكن قادراً على أن يقرر إن كانت تلك ارتجافات غضب أم تأثر. إنه لم يختبر موقفاً كهذا من قبل، حيث يضطر إلى تخمين الإشارات المربكة التي تُرسل إليه. لعلها كسبت لنفسها بعض الإمهال بسبب قدمها المجروحة، لكن هذا كل ما ستحصل عليه: فترة استراحة قصيرة. فتح خزانة الأدوية، وبحث عن خرقة نظيفة. وقف زاندر أمامها مباشرة، فلم تحرك نيل ساكناً. مرّر يده بخفّة نزولاً بحثاً عن القدم المجروحة.

www.elromancia.com

أنت لي! فكر زاندر بذلك وهو يراقبها، ثم ترك يداه تتمهلان كي يرسم بأنامله بضع دوائر خفيفة على البشرة الناعمة لذراعيها. انتفضت نيل كما لو أن زاندر أطلق النار عليها. رفعت ذقنها وتلاقت نظراتهما. بدت عيناه غامضتين لا يسبر غورهما، أما عيناها فبدتا مظلمتين ومرتبكتين.

قال زاندر: «قدمك!».

أطبقت أسنان نيل على شفتها السفلى عندما رفعت ركبتها حتى يمسك زاندر بكاحلها. ألقت نظرة واحدة إلى الأسفل، فأدركت أنها قدمت له القدم السليمة. قدمت له نيل القدم الأخرى. أخلعها زاندر الحذاء، ثم أحنى رأسه واستخدم خرقة ليمسح الدماء ويتفحص الجرح.

- حصل لك هذا على سفح التل.

تذكر زاندر ذلك، وأومأت له نيل موافقة.

- لم تنزف قدمي حينها. لابد أن الحمام الساخن الذي أخذته زاد الأمور سوءاً... آخ!

صرخت نيل عندما ضغط زاندر على الجرح بحثاً عن أي أجسام غريبة شائكة. رطّب زاندر شفتيه، ثم قال: «أتشعرين بالألم هنا؟».

- لا! إنه فقط يخزني قليلاً.

- الجروح النظيفة تسبب الوخز.

استبدل زاندر الخرقة برزمة من الفوط المعقمة. أومضت عينا نيل الرائعتان بفضول إلى الأعلى لتحدقا بذقنه الحليق. رطبت شفتيها وهي تدرس ملامح وجهه بذهول، ما أرسل الخدر في بشرة زاندر. مزق زاندر الغلاف الواقي، فأزاله عن ضمّادة صغيرة، ثم انحنى ليضعها فوق الجرح المطهر. لكنه لم يفلتها، إذ عاد وأسر عينيها بنظراته، فيما داعب إبهامه بخفة قدمها الناعمة الرقيقة. تبع ذلك فترة من الصمت. لم يبدُ على نيل حتى أنها تتنفس.

- زاندر...!

خرج اسمه من فمها بنعومة داعبت أحاسيسه. تجاوب زاندر معها، وغمغم بنعومة: «إنك جميلة جداً، أتعلمين هذا؟».

- لست مجبراً على قول...

- عينان رائعتان، شعر رائع، بشرة حريرية ناعمة...

تحركت يداه إلى الأعلى. قال: «وجهك الذي يتخذ شكل القلب يشبه وجه الملاك، أما فمك فيشبه فم الحوريات، كما تتمتعين بخجل يجعل خديك يتوردان كالعذراء، فيما مهاراتك في الإغاظة تشبه قدرات امرأة مستهترة».

- ذلك ليس...

جذبها زاندر بقوة، إلى أن التصقت به. أحسّ زاندر بارتعاشها، وسمعها تكتم شهقة صغيرة كادت تخرج منها، فضيّق عينيه على وجهها الشديد التعبير. وبّخها بتكاسل قائلاً: «هذا يعجبك. أليس كذلك؟».

جرجرت نيل نظراتها بعيداً عنه، فقالت: «لست أدري عما تتكلم».

أوضح زاندر قائلاً: «أنت ترتعشين لأنك تعلمين أنك قادرة على التأثير بي على هذا النحو».

- حسب معرفتي، أنت تتصرف على هذا النحو مع أي امرأة تتواصل معها.

قذفته نيل بكلامها، فيما قامت بحركة مضادة محاولة أن تتراجع إلى الوراء. لكن زاندر أمسكها بيديه وأبقاها ملتصقة به، فارتعشت نيل كما لو أنها عصفورة صغيرة عالقة في الشرك.

- هل ينطبق الأمر نفسه عليك؟

أدركت نيل أنه يعلم ما الذي يحصل معها. كيف عساه لا يعلم في حين أنها تشتعل توقاً إليه؟ انطلقت منها شهقة مكتومة حين أحنى زاندر رأسه وعانقها. أطلقت أنيناً عديم الحيلة، ثم سمحت لذراعيها النحيلتين بأن تتسللا إلى الأعلى وتلتفّان حول عنقه. أحست نيل بعضلات زاندر الصلبة تنثني في كتفيه، كما شعرت بالوعد القوي النابض في جسده عندما شدها إلى صدره.

www.elromancia.com

لم تدرك نيل أين أصبحا، إلا حين أنزلها على السرير. نظرت حولها فيما راودها إحساس بالدوار والضياع حين لاحظت لأول مرة بعد أن استحمت في وقت سابق أن أحدهم قد جاء إلى هنا، فأغلق الستائر فوق النوافذ كي يمنع دخول حرارة شمس ما بعد الظهر الحادة. ما جعل الغرفة تسبح في جو دافئ رقيق، كما لو أنه أُعد خصيصاً لشخصين عاشقين.

قرأ زاندر بتكاسل كل تعبير مرّ على وجهها، فقدم لها ابتسامة ساخرة. تجمّد الهواء تماماً داخل رئتيها؛ هو من فعل هذا! عندما صعد زاندر إلى الطابق العلوي ليستحم، جعل هذه الغرفة جاهزة. مشّط خصلة شعر حريرية شاردة بعيداً عن خدها الذي شحب فجأة، وقال: «أمضيت سنة كاملة وأنا أتخيلك مستلقية هنا، وشعرك الجميل منتشراً على الوسادة حولك».

فأصرّت نيل بصوت مرتعش قائلة: «لن تفعل ذلك».

حدقت نيل فيه. كل ما فيه ينطق بالقوة التامة، ويقول إنه رجل انطلق في مسار لن يحيد عنه. صدمها الحذر الحقيقي بوضوح مخيف، فجذبت نفساً مشدوداً، وذكّرته قائلة: «و... و... والدتك. نحن...».

تشدّق زاندر قائلاً: «لست بحاجة إلى إذن منها كي أختلي بزوجتي، عزيزتي».

تحرك زاندر نحوها، واستقرت أنامله حول وجهها المرسوم على شكل القلب، ملامِسة خديها الشاحبين وذقنها المرتعش. غمغم بنعومة بالغة: «آن الأوان، يا جميلتي هيلين. آن الأوان كي تواجهي قدرك، لأنه هنا...».

قدرها! حدّقت نيل به. إنه جدي تماماً. شعرت بالرعب حين تحركت يده نزولاً على عنقها وفوق كتفها. قالت بصوت مخنوق: «توقف عن هذا!».

التمعت عينا زاندر السوداوان بنوع من الاستمتاع البارد الذي

جعلها تشعر بالصقيع، فيما أسر رسغيها بإحدى يديه، ثم قال بتجهم: «انتهت اللعبة الصغيرة التي كنت تلعبينها معي».

شهقت نيل وهي تشعر بالصدمة، وقالت: «لماذا أنت غاضب».

فقال: «لم أفعل أي شيء منذ أن تزوجنا إلا معاملتك باحترام، أما أنت فبادلتني بهجري لأجل رجل آخر. فقط اشكري حظك الجيد لأنك لم تنجحي في القيام بذلك يا جميلتي هيلين، وإلا ما كنت على وشك أن تحظي بأليكساندر باسكاليس العاشق، بل كنت ستنالين أليكساندر باسكاليس الآخر... الرجل الذي يجعل الرجال العظماء يرتعدون خوفاً!».

نخزته نيل بتهور قائلة: «وكيف تعلم أنني لم أفعل ذلك خلال الأسبوع الذي غادر فيه هيوغو فانس، وذلك قبل أن أقرر أن أغادر إلى الأبد؟».

أخذت تحدق إلى صدره الأسمر الممتلئ بالعضلات فيما انطلقت ارتعاشة تحذيرية عبر جسدها.

- لكنك لم تفعلي. أليس كذلك؟

بدا هذا تحذيراً جدياً مندفعاً. ربما وضع زاندر للتو القناع الذي يجعل الرجال الأقوياء يرتعدون، لكنها تمتلك في داخلها آثار سنة كاملة من عدم الإنصاف، وهي بحاجة إلى التعبير عنها.

- أنت... تركتني بمفردي... ليلة زفافنا.

ذكّرته نيل بذلك، فيما بدأت تقاوم مجدداً كي تنهض على قدميها، لكن زاندر أحبط محاولتها. تابعت نيل: «رفضت أن تدافع عن نفسك... أنت لم تزعج نفسك حتى بالكذب علي! اضطررت إلى العيش مع ذلك الرفض زاندر وليس معك. عدت بكل بساطة إلى حياتك السابقة، ولم تأبه لما تركته خلفك!».

راحت الدموع تهددها بالانهمار، فجعلت فمها الناعم يرتعش، فيما تحولت عيناها إلى بركتين خضراوين عميقتين من الألم. تابعت: «حسناً...! أنت تركتني خلفك برفقة... حارس شخصي على مدى

www.elromancia.com

أربع وعشرين ساعة، كي يقوم بالاهتمام بي بدلاً منك!».

ردّ زاندر بنفاد الصبر: «كان هناك لأجل سلامتك».

صرخت نيل قائلة: «بل ليتحكم بزوجتك التي تشبه الدمية! أنت قلت إننا متشابهان. حـ... حسناً! أخبرني، زاندر هل كنت ستعيش كما عشت خلال السنة الماضية من غير أن تفعل ذلك؟».

- لكنني أكرر... أنت لم تفعلي، أم بلى، نيل؟

حملقت بحرارة إلى وجه زاندر الذي بدا بارداً كالقناع، ما ذكّرها بتلك الصخرة التي تحدثت عنها والدته. إنه مصقول، صلب، وسيم ومخيف جداً إلى درجة سببت لها الارتعاد. مع ذلك فإن التراجع الآن بالذات خيار هي ليست مستعدة لاتخاذه. سمعت نفسها تجرؤ على تحدّيه قائلة: «أتظن نفسك الوحيد القادر على التكتم عن عشيقاتك؟ ألأنك لم ترغب بي، ظننت أنه يجدر بي أن أعتقد أنني لست مناسبة لأي شخص آخر؟».

ارتسمت على وجهه تعابير مخيفة جداً لا يمكن تفسيرها. إنه يكبرها بأحد عشر عاماً، وفي تلك اللحظة بالذات أحست نيل أن كل سنة من تلك السنوات تفتح خروقاً داخل رأسها.

اندفع زاندر أخيراً يقول: «أتقولين لي... إنك اتخذت لنفسك عشاقاً منذ أن تزوجت بي؟».

قالت بصوت مرتجف: «هل سأصبح أقل شأناً بنظرك لو قلتُ نعم؟ لعلني غير ملائمة أبداً لك؟».

علمت نيل وهي تتفوه بكلامها أنها تقف على حافة الهاوية. أحست بالخوف يخزها أكثر مما أحست به طيلة السنة الفائتة وهي تحب رجلاً احتجزها داخل فقاعة زجاجية دُونت عليها ملاحظة: «عذراء! الملكية الحصرية لأليكساندر باسكاليس». أما هو فتابع بابتهاج علاقته مع عشيقته كما لو أن ذلك أمر لا بأس به على الإطلاق. لكن الهدف الأساسي الذي تصبو إليه الآن هو أن تكتشف هل سيرغب زاندر بوجودها هنا لولا عفتها؟

علم زاندر أنها تحاول التملص. لم تخدعه بهاتين العينين الجميلتين الوامضتين، فبالرغم من كل شيء هو قادر على معرفة التحدي عندما يقذف نحوه. أما ما لم يقدر على فك رموزه، فهو إن كانت الساحرة الصغيرة المتهورة تتكلم على هذا النحو لأنها أرادت أن تضرب الحقيقة على رأسه بقوة، أم لأنها تريد إغاظته واختبار مشاعره. ماذا لو كانت تلك هي الحقيقة؟ هل يردعه ذلك عن إقامة علاقة زوجية كاملة معها؟ بالطبع لا! ذلك لا يُحدث أي فرق في المشاعر البدائية القوية النابضة في دمه بالنسبة إلى هذه المخلوقة التي احترمها أكثر من أي شخص آخر طيلة حياته... اللعنة! نعم، ذلك يحدث فرقاً هنا. نيل تخصُه وحده، إنها ملكه، فهي تلبس خاتم زفافه في إصبعها الأبيض النحيل. أحبته نيل حباً جماً في ما مضى، إلى درجة تجعله يرفض أن يصدق أنها قادرة على إقامة علاقة مع أي رجل سواه، لكنه يخشى أن تكون قد فعلت ذلك خلال نوبة من التمرد.

أصبحت الأجواء ثقيلة جداً بسبب صمته المطول، حتى إنه كاد يتذوق طعم ذلك السكون على لسانه. حرك يده بين خصلات شعرها، فأفلتت نيل شهقة مكتومة أخرى من فمها المرتعش. نظر زاندر إلى شعرها المنتشر فوق الوسادة كالهالة النحاسية المصقولة، ثم نقل نظراته إلى وجهها المصقول على شكل القلب. تساءل أي امرأة هي نيل؟ أهي العشيقة التي تتمتع بالخبرة أم البريئة المخدوعة التي هجرها زوجها ليلة زفافهما، ومنذ ذلك الحين تنتابه أحلام حامية بخصوصها؟

عاد زاندر، وثبت نظرات عينيه على عيني نيل. أطلق تنهيدة خافتة... آه! آن الأوان كي يكتشف ذلك. صرّح بصوت أبح: «الجواب هو... لا».

وقبل أن تفلت من نيل الشهقة المكتومة التالية، أسرها زاندر في عناق جديد.

أحست نيل بنفسها ترتخي كالريشة. علقت الأحاسيس بكل خلاياها العصبية، وجعلت كل عضلة تمتلكها تتمدد في تجاوب

www.elromancia.com

حقيقي، فانهارت تحت قوة عناقه الجارف.

- أنت لي!

قال زاندر ذلك بكلام خشن فظنّت نيل أنه ما يزال غاضباً. فتحت عينيها، وتوقعت أن ترى فظاظة وقساوة على وشك أن تصداها مجدداً، لكنها وجدت نفسها تغرق في أعماق عينيه المليئتين بالعاطفة. همست قائلة: «نعم».

تقبل زاندر ذاك الجواب الرقيق المتنهد برضى تام. عادت يداه إلى كتفها، لتشدها نحوه مجدداً. علم منذ لحظة دخولها إلى غرفة الاستقبال أن هذا النهار لن يمضي إلا وقد جعلها زوجته الحقيقية. قال بخشونة: «أسلوب نظرك إلى الرجل قد يوقعك في المشاكل يوماً ما».

- أنا لا أفعل هذا إلا معك أنت.

بعد هذا الاعتراف الصريح بدأ زاندر تنفيذ خطة الإغواء الحقيقي لعروسه. سوف يقودها إلى عالم غامض ويجعلها تكتشف أحاسيسها الحقيقية برفقته، لكن هناك أمر يجب أن يتأكد منه أولاً.

- نيل...!

نطق زاندر باسمها بصوت أبح، ثم تابع يسألها مستفسراً: «أنا بحاجة لأن أعرف إن كانت هذه هي المرة الأولى بالنسبة إليك».

أجابته نيل بنعومة: «بالطبع هي كذلك».

وابتسمت...

تلك الكلمات كانت آخر ما تمكن كلاهما من النطق به، إذ جرفتهما مشاعرهما إلى عالم ساحر مليء بالشغف والوعود الصاخبة...

بعد مرور فترة من الوقت استلقيا في السرير ساكنين بسعادتهما التي اكتشفاها حديثاً. غمغم زاندر قائلاً بتكاسل: «أظن أنني... لم أخيب أملك».

فكرت نيل أنه واثق من نفسه. أتراه يعلم كم تحبه على الرغم من كل محاولة قامت بها لصد هذا الإحساس؟ لكن... ألديه فكرة أن

العلاقة الحسية وحدها ليست كافية بالنسبة إليها؟ بالطبع لا!

لهذا السبب قررت أن تمنحه هذا القدر على الأقل من الرضى، فقالت: «أنت لم تخيب ظني، أما الآن فجل ما علينا أن نفعله هو الانتظار لنرى إذا كنت أنا سأخيب ظنك...».

قبض على حاجبي زاندر عبوس، وسألها: «ماذا تعنين؟».

أوضحت نيل بلطف: «أن أحمل بطفلك».

انقلب زاندر مبتعداً عنها، ثم أنكر قائلاً: «لم تكن تلك نيتي».

- أحقاً؟

جلست نيل، وما لبثت أن نهضت واقفة على قدميها بأناقة، ومشت نحو الحمام على رجليها اللتين كانتا شديدتي الارتعاش وواهنتين، تاركة خلفها ذلك السؤال الصغير عالقاً في الهواء.

www.elromancia.com

٧ - من دون وداع

راقبها زاندر وهي ذاهبة باتجاه الحمام. تساءل بتجهم كيف تمكنت نيل من إغوائه للدخول في ذاك الفخ الحريري. تذكر أنه لم يستخدم أي وسيلة حماية كي يقيها من خطر الحمل، وذلك ليس بهدف محدد يعمل على تحقيقه، على الرغم من أنه سمح لنيل أن تعتقد بأن هذا هو هدفه. لأول مرة في تاريخه الطويل مع النساء وجد زاندر نفسه عالقاً في شباك الشعور الذي جعلته نيل يحس به.

- يا إلهي!

تنفس زاندر بعمق، فتحولت أنفاسه إلى تنهيدة، فيما ارتمى فوق السرير. أدار رأسه ونظر نحو باب الحمام المغلق. تساءل عما ستقوله نيل لو دخل إلى هناك فأعلمها أنها لم تكن الوحيدة التي شعرت بالذهول من هذه التجربة في هذا السرير. فكر بأسى أن هذه ليست إحدى أفضل أفكاره. إن اعترافاً كهذا لن يغير حقيقة أن زوجته الساحرة لم تعد عذراء، لكن نظرتها المتهكمة تجاهه ما زالت على حالها. اللعنة! ما عساه يقول لها ليجعلها تصدق أنه لم يكن يحمل لها نوايا متعمدة، لكنه بكل بساطة فقد صوابه؟ هذه المرأة الجميلة التي غادرت سريره للتو، تجاوبت معه بكل جوارحها حتى أذهلته. إنها ليست أي امرأة... إنها امرأته هو... زوجته!

أدار زاندر رأسه فوق الوسادة، وحدّق نحو السقف حيث انعكست أشعة الشمس المتسللة من بين الستائر، ثم أطلق تنهيدة عميقة تنم عن الرضى لأن هذه الكلمة الأخيرة غمرته بشعور جيد. كما أن وقعها جميل عليه. أخيراً أصبحت نيل زوجته في الواقع الحقيقي. لِمَ عساه

لا يسعى إلى تمتين ذاك الاتحاد بإنجاب طفل؟ لِم عساه لا يربط هيلين الجميلة المتهكمة به بشكل حازم، كي لا تحاول هجره مجدداً؟ ذكرته تلك الفكرة بعشيقها الفرنسي. تجهم وجه زاندر، وغمرته موجة من الحر، فيما تحركت الغيرة القارصة في صدره. من هو بحق الجحيم ذاك الرجل الذي ظن نفسه قادراً على الاصطياد في أرضه، فحاول أن يخطف منه زوجته؟ ما هو الشيء الذي يمتلكه ليجعل نيل راغبة جداً بالذهاب معه، ويجعلها تخطط لهروبها طيلة أسبوع كامل قبل أن تهشم سيارتها؟ طرأت له فكرة بدت أسوأ من سابقتها، فجعلته يتحرك بتململ على السرير. هل أحس ذاك النذل الحقير بالجُبن في اللحظة الأخيرة، ما جعل نيل تقود السيارة بسرعة هائلة لتداوي قلبها الجريح؟ أتراها أحبت ذلك الرجل؟

أتراها سمحت لزاندر أن يقيم علاقة حميمة معها لأنها تفكر أنه ما عاد للأمر أهمية الآن؟ أقنع زاندر نفسه بأن الأمر لا يهم، فالرجل الفرنسي لم يحصل عليها. بل أليكساندر باسكاليس من فعل ذلك. لقد تحقق زواجهما أخيراً. مهما كان ما سيحصل بعد هذا النهار، فالشيء الوحيد الذي لن يتغير قط هو أن نيل باتت ملكاً له الآن.

استلقى زاندر مجدداً مستنداً على الوسائد، فيما التمعت خلف أجفانه الذابلة، نظرة عابسة تدل على التفكير والمحاسبة. زوجته المتهكمة يجب أن تعتاد على الأمر، لأنه سوف يبقيها منشغلة جداً، فلا تتوق مطلقاً إلى الرجل الفرنسي الذي فطر فؤادها. أرخى جسده بعد أن اتخذ قراره ذاك، فيما قامت أشعة الشمس المتسللة من خلال الستائر بتخديره بحرارتها. ... سوف يجعل نيل تقع في غرامه مجدداً... إنه قادر على ذلك، فهي أحبته مرة في ما مضى، وسوف يجعلها تحبه مجدداً...

عادت نيل إلى غرفة النوم وهي ملتفّة بمئزر الحمام، كي تجد رجل أحلامها ممدداً على السرير، ويغطّ في النوم. ارتعشت عضلات معدتها حين رأته مسترخياً على السرير. توقعت أن يقتحم زاندر الحمام

www.elromancia.com

فيحاول إقناعها بأنه لم يتعمد أن يجعلها تحمل الآن بالذات. حسناً! بالطبع، لم يفعل. حتى هذه البلهاء هيلين باسكاليس قادرة على أن تعرف متى تتحكم رغبات الرجل به بدلاً من ذكائه.

فكرت نيل بكآبة، دوّني ملاحظة لديك يا عزيزتي فانيسا: هذا الرجل يتوق إليّ بقوة شديدة، حتى إنه لم يلجأ إلى وسيلة حماية كما يفعل حين يكون معك في السرير. الآن هو نائم على سريري وما زالت رائحة عطري على بشرته الذهبية الدافئة. أنت خرجت من اللعبة فانيسا، وأنا دخلت الآن، ولا نية لدي على الإطلاق بالتراجع. ما لدي هنا هو ملكي وسوف أحتفظ به!

استغرقها الأمر سنة بأكملها حتى تدرك أن عليها أن تقاوم للحصول على ما ترغب به، عوضاً عن الاختباء في مكان بعيد، كما لو كانت ظلاً ما بانتظار أن يتذكر زاندر أنها ما تزال حية. حسناً! إنها الآن برفقته، ولا نية لديها بأن تتخلى عنه. زاندر عالق تماماً في شباكها. هي تعرف هذا بكل خلية من كيانها الأنثوي. لن تمر فترة طويلة قبل أن يجد زاندر نفسه مربوطاً بسلاسل مشدودة نحوها، ولن يعود قادراً على أخذ أنفاسه. توجهت يدها بشكل غريزي لتغطي معدتها. تساءلت، هل ستثمر علاقتهما هذه حملاً مباشراً... طفلاً... الوريث التالي لآل باسكاليس! موتي بغيرتك يا فانيسا، لأن هذا الشيء الوحيد الذي لن تحصلي عليه قط، فمنذ الآن أنت لست سوى عشيقة سابقة.

عشيقة سابقة! كررت نيل لنفسها، فيما تحركت بهدوء نحو السرير، لكن صوتاً قادماً من خلف الستائر حوّل انتباهها، فعبرت الغرفة نحو النافذة. نظرت إلى الأسفل، ورأت يانيس يؤدي إحدى وظائفه اليومية، حيث يقوم بتنظيف بركة السباحة. لكن شيئاً آخر لفت انتباهها. وقفت نيل للحظات قصيرة وهي عابسة، محاولة أن تقرر ما هو الشيء المختلف في الخارج. ثم انقدت عيناها عندما وقع بصرها على مروحية زاندر التي وقفت بثبات على قاعدتها الإسمنتية... بمفردها. أطلقت شهقة مكتومة، إذ فجأة تذكرت الأصوات التي سمعتها وهي مستلقية

بين ذراعي زاندر. كانت تلك أصوات مروحية والدة زاندر وهي تغادر الجزيرة!

- آه!

أحست نيل بدوي من الرعب يطن في أذنيها، ما إن تذكرت أنهما تركا غابرييلا بمفردها في الطابق السفلي. استدارت بسرعة نحو السرير: «زاندر...!».

اضطرت إلى وضع إحدى ركبتيها على السرير كي تصل إلى كتفه حتى تهزّه بإلحاح طارئ. ألحت نيل قائلة: «استيقظ! والدتك رحلت! يجدر بك أن تتصل هاتفياً حتى تعيدها إلى هنا. أنت...».

تسللت ذراعه الطويلة الممتلئة بالعضلات، فشبكت نيل وقلبتها على السرير، فيما غمغم زاندر ناعساً: «همم... كنت أحلم بك».

- هلاّ أصغيت إلي؟ أمك رحلت!

اشتدت ذراعه لتقرّبها أكثر منه، ثم قال: «أعلم. سمعت المروحية وهي تغادر. ألم تسمعي؟».

احمرّ وجه نيل خجلاً لأنها لم تدرك من قبل أن ذلك الصوت هو صوت المروحية. قالت بقلق: «يجدر بك أن تذهب وتدعوها لتعود. لابد أنها تشعر بالإهانة المريعة لترحل بهذا الشكل».

- لا أحد يمكنه أن يهين والدتي.

أخذت يد زاندر تداعب كتف نيل، ثم انزلقت متجهة نحو عنقها.

تماماً مثل ابنها! عبست نيل بسبب الأسلوب البارد الذي استخدمه زاندر ليقول هذا، وقالت: «لا تكن فظاً!».

- تفوح منك رائحة الصابون.

تلعثمت نيل وهي تقول: «استحميت للتو، وأنت بحاجة...».

أكمل زاندر قائلاً: «... إليك مجدداً».

أضاف عبارته تلك، فيما شدها نحوه ليطالبها بعناق جديد.

تلعثمت نيل باعتراض مشوش: «همم... لا تفعل هذا! والدتك... علينا أن... ما الذي تفعله؟».

غصّت نيل حين غاصت يده لتشدها من خصرها. رد زاندر بنعومة: «احرصي على ألا تخيبي ظني عزيزتي».

ثم ضحك عندما اتسعت عينا نيل بصدمة. أكمل بنعومة وهو يجذبها نحوه أكثر: «الاتفاق هو اتفاق».

علقت نيل في فخّها الخاص! علمت ذلك ما إن عاد زاندر إلى الجزيرة للمطالبة بالحصول على عروسه. فعل ذلك بإطلاق العنان لمهاراته إلى درجة تخطت إلى حد بعيد أي أفكار جاءت بها مخيلتها يوماً. إنه مذهل حقاً! دأب زاندر على سحق كل محاولة لجعله يتكلم عن أي موضوع جدي بواسطة المغازلة والعناق. لا يكلفه الأمر سوى النظر إليها لتشعر بالتوق إليه على الفور، ويحصل على مبتغاه بكل بساطة.

- تعالي إلى هنا!

ما إن يقولها بتلك النبرة الخشنة التوّاقة، حتى تذهب نيل إليه كالحمل الوديع. سبحا سوياً في بركة السباحة وفي المحيط. علّمها زاندر كيفية الوصول إلى قمة الصخور التي تطوق الخليج الصغير، حتى يصبحا قادرين على الغوص في المياه البلورية الصافية في الأسفل، كما علّمها كيف تصطاد السمك من فوق تلك الصخرة.

خلال تلك الأوقات عاشا علاقة زوجية حميمة كأي زوجين سعيدين. لم يبدُ أن زاندر يكتفي منها، أما نيل فتعلمت كيف تستخدم القدرة التي تمتلكها عليه، فاستعملتها بمكر عديم الرحمة.

- عرفت أنك ستكونين خطيرة حالما تكتشفين قدراتك الحقيقية.

تذمّر زاندر في وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام بعدما أمضيا طيلة النهار بالمزاح وإغاظة بعضهما البعض، إلى درجة جعلتهما يقتربان من الهاوية وهما يستسلمان لعواطفهما. جعلته نيل يتعلق بكل كلمة غزل وكل نظرة من عينيها، حتى أصبح عبدها المتيم.

مرّ الأسبوع الأول في انسجام تام، كذلك الأسبوعين الثاني والثالث. راقبتهما ثيا وهي تبتسم، ثم تستأنف حياكة شال من الخيوط

القطنية الرقيقة. راحت تعمل بغبطة صافية، جعلت نيل تحمّر خجلاً.

هذا ما أرادته دوماً. أليس كذلك؟ عبست نيل فيما انحنت لتلتقط قطعة من الخشب دفعتها الأمواج إلى الشاطئ، فيما انجرف ذهنها إلى مكان آخر. شكّت في أن تكون حاملاً، لكن الوقت ما زال مبكراً جداً كي تسمح للشكوك بالنمو كثيراً في رأسها، مع أن دورتها الشهرية المنتظمة كالساعة تأخرت مدة ثلاثة أيام. ظنت نيل أنها راغبة في الحمل بطفله، لكنها اكتشفت الآن أنها ما عادت تريد ذلك. ليس بعد... ليس وهما ما يزالان مختبئين على هذه الجزيرة الصغيرة بعيداً عن العالم الواقعي، حيث تحس أنها عشيقة تطلق العنان لنفسها أكثر من إحساسها بأنها زوجة.

أطلقت نيل تنهيدة جعلت ذقنها يرتفع إلى الأعلى كي تتمكن من التحديق نحو الأفق الأزرق. لا يقدر زاندر على الاختباء هنا لفترة أطول، فهو بحاجة إلى قضاء المزيد من الوقت في مكتبه المجهز بكامل المعدّات الحديثة هنا، حيث يهتم بأعماله. أما نيل فلديها أمور خاصة بها تحتاج إلى التعامل معها. لو كان بمقدورها أن تصل إلى جهاز هاتف لا يتم تتبع الاتصالات الواردة منه...

مارسيل! إنها قلقة عليه. هي بحاجة لأن تعرف كيف حاله وما الذي يفعله. أتراه يحس بالذنب والأسى، أم أنه غاضب جداً منها وهو لم يعد يهتم لكونها قلقة عليه؟ لابد أن يغادر زاندر هذا المكان حين يجده. هل ينوي أن يأخذها برفقته هذه المرة، أم ستبقى سجينة سواء كان ذلك خلف بوابات روزمير أم هنا في هذا المكان الجميل؟

راح زاندر يتملص من السؤال في كل مرة تطرحه عليه نيل. هذا شهر عسلهما، حسبما سمّاه زاندر. إنها فترة يستمتعان خلالها بأوقاتهما من دون التفكير بما سيجلبه لهما الغد. لكن... حتى شهر عسل مثالي كهذا، لابد أن ينتهي في وقت ما.

أطلقت نيل تنهيدة أخرى. راقبها زاندر فيما وقف قرب النافذة، وقد ضغط الهاتف على أذنه. نيل ترتدي وشاحاً أزرق اليوم، وتحت

www.elromancia.com

الوشاح هناك لباس سباحة مؤلف من قطعتين ذو ألوان متناسبة مع الأزرق، فيما رفعت شعرها إلى الأعلى فلفّته في إحدى تلك العقد التي تبرع بها، والتي تجعل زاندر يشعر دوماً برغبة بأن يجذبها إلى الأسفل ليحرر شعرها. تخيل نفسه وهو يفك هذه العقدة الأنيقة على شعر زوجته الدافئة الفاتنة. زوجته ! حالما فكّر زاندر بالكلمة غمرت جسده موجة من الحرارة. هو يريد أن يكون في الخارج برفقتها لا واقفاً هنا يتكلم عن الأعمال عبر الهاتف. رد بكلمات لاذعة على محدثه، إذ قال: «أعلم أنه يجدر بي أن أحضر. أنا فقط سألتك إن كانت هنالك أي طريقة لتأجيل الموضوع أسبوعاً آخر».

لا مجال! عرف ذلك من قبل أن يقترح الأمر حتى. إن التفكير بالأمنيات أمر غير مجد في العالم الحقيقي. هذه هي مشكلته، فهو ونيل وهذا الانسجام الرائع بينهما لا ينتمون إلى العالم الحقيقي. أبقاها خلال العام المنصرم محتجزة آمنة داخل بوابتين حديديتين، بانتظار أن تنمو وتنضج، قبل أن يحاول إصلاح الفوضى التي أصبح عليها زواجهما. لكنه بسبب ثقته المتعجرفة بنفسه لم يلاحظ أنها نضجت، وأخذت تغلي كرهاً بسبب أسلوب معاملته لها. لو أنها لم تهشم سيارتها، لرحلت منذ فترة طويلة مع ذلك الرجل الفرنسي، قبل أن يدرك هو أي شيء. أما أسلوب اختفاء الرجل تماماً، فجعل الدماء تبرد في عروقه. لاسيما حين فكر بإمكانية اختفاء نيل معه بهذا الشكل.

رد زاندر قائلاً: «ماذا بشأن ذاك الموضوع الآخر؟».

ازداد عبوسه عندما سمع رداً غير مرض عبر الهاتف، فقال: «لا يعقل أن تنشق الأرض وتبتلع رجلاً ما، من دون أن يترك أي أثر وراءه، لوك. أنا بحاجة إلى إيجاده. أريدك أن تجده وتستجوبه. أنا بحاجة لأن أعلم ما كانت نواياه الحقيقية تجاه زوجتي!».

رشق زاندر كلامه من جديد رداً على ما قاله لوك موريل: «ماذا لو كان الأمر نوعاً حذقاً من الاختطاف؟ سوف أستمر بالتفكير أنها في خطر إلى أن أحصل على الأجوبة اللازمة... لا! لن أدع أمنها في

أيدي الحراس الشخصيين مجدداً. ما كانت فائدة هيوغو فانس؟ هيلين هي زوجتي أنا ومسؤوليتي أنا».

أقفل زاندر الخط وهو يشعر بالكآبة، مدركاً أنه يتصرف بشكل غير منصف بل غير منطقي. لكن بأي شكل آخر بحق الجحيم قد يتصرف مع امرأة كنيل، لا يمكن التنبوء بتصرفاتها؟

أمضى زاندر ثلاثة أسابيع برفقتها بصورة مستمرة، وأغرق نفسه بين أحضانها لمرات كثيرة لم يعد يهتم لأن يعدّها! لكن هل أصبح يعرف ما الذي يجعلها تشعر بالرضى؟ إنه لا يعرف شيئاً أكثر مما عرفه منذ سنة ماضية حين اعتقد خطأً أنه وضع عليها رقعة دوّن عليها: «ملكية خاصة». قلبت نيل الأدوار لصالحها تلك المرة، ثم فعلت ذلك مجدداً عندما حاولت أن تهجره من أجل الرجل الفرنسي المراوغ. حسناً! تمكن هذه المرة من اختراق دفاعاتها الجسدية اللعينة، لكن لا يمكنه أن يعتمد على العلاقة الحسية وحدها، فهو ما زال لا يثق بها، ولا بتلك النظرة الملتمعة التي يلمحها في عينيها من حين إلى آخر. لعلها تحب الشعور الذي يجعلها تحس به، لكن هل تراها تحبه...؟

تساءل زاندر فجأة، ما الذي تفعله نيل بقطعة الخشب تلك التي حملتها الأمواج؟ إن أسلوب مداعبتها لها تكاد تكون مغرية. أتراها تتخيل أنها زاندر... أم شخص آخر؟ الغيرة... الشك... لم يحب زاندر هذا الشعور الذي انتابه! استدار مبتعداً عن النافذة وهو يحس بانقباض مروع لكل عضلة في جسده، فيما تساءل ما الذي سيفعله بحق الجحيم. إنه مضطر للذهاب إلى لندن، وهو لا يريد أن يصطحب نيل معه. هل تراها ستتقبل ذلك؟ لا مجال مطلقاً لأخذها معه! فكر زاندر بذلك فيما بدأ يجمع الأوراق المرمية على مكتبه.

أظلم وجه زاندر، فيما مشى بخطوات ثابتة داخل البهو. رأى نيل تخبئ قطعة الخشب بالقرب من الباب المفتوح، توقف فجأة ليأخذ أحد قرارته الواضحة، والتي تجعله عادة يحس بشعور أفضل تجاه نفسه. أعلن باختصار: «نحن بحاجة لأن نتكلم».

www.elromancia.com

- أحقاً؟

اتسمت نبرة نيل بالدهشة، فيما مشت متجهة نحوه. تشدّقت ممازحة: «حسناً! ذلك يبدو تغييراً».

لاحظت على الفور أنه يرتدي اللون الأبيض. يحب زاندر ارتداء قمصان الموسلين الواسعة الشديدة البياض، كما يحب ارتداء السراويل الكتانية البيضاء التي تربط عند الخصر بحبل معقود. تمنّت لو أنها تتمتع بقدرة أكبر على التحكم بذاتها. عندما توقفت أمام زاندر، رفعت وجهها لتنال عناقاً، لكن العناق لم يصل. ركّزت نيل نظرات عينيها على وجهه الوسيم الصلب، وأدركت أنه عابس، فتلاشت ابتسامتها. طالبها زاندر مشككاً: «ما سبب هذه الابتسامة؟».

ردت نيل قائلة: «حسناً! كانت لأجلك، لكنني سحبتها. لِم التجهم؟».

قام زاندر بحركة تدل على نفاد الصبر، ثم قال لها فجأة من دون مقدمات: «أنا مضطر لأن أذهب إلى لندن اليوم».

لندن! انقدت عينا نيل، وقالت: «حسناً! لا داعي لأن تبدو متجهماً جداً بخصوص ذلك. سوف أذهب لأوضب أغراضي، ويمكننا أن...».

- لا! سوف تبقين هنا.

بدا الرفض الذي قذفها به زاندر أشبه بلغم أرضي انفجر. انطلق ذقن نيل إلى الأعلى مجدداً، فيما تواصلت عيناها الخضراوان تماماً مع عينيه البنيتين العابستين. لم تدلِ بأي تعليق لمدة عشر ثوان كاملة مشدودة، مع ذلك لابد أن لغة جسدها وصلت إليه، لأنه شعر بالتوتر في كل عضلة من عضلات جسده. اختصر زاندر الكلام قائلاً، وكأنما ذلك يبرر كل شيء: «إنها الأعمال. يمكنني أن أعود إلى هنا خلال يومين. ما من داع لأن نغادر كلانا».

- ألا تريد أن تحصل على حقوقك الزوجية قبل أن تغادر؟

لم يكن كلامها دعوة، بل في الواقع أشبه بالصفعة الباردة على

الوجه. فكر زاندر بتثاقل، يا لتلك الساحرة المغيظة! أجابها بنبرة جافة: «ليس إذا كنت تريدين تحويل الأمر إلى عقاب».

ثم تجهم لأنه شعر بالوخز الذي يدعوه إلى قبول العقاب، إن كان ذلك كل ما سيحصل عليه.

- إلى اللقاء إذاً!

قالت نيل ذلك فجأة، واستدارت حول نفسها مبتعدة عنه. طعنه الشعور بالصدمة. ألا تأبه نيل بشكل أو بآخر إن أخذها معه أم لا؟

- نيل...!

نطق زاندر باسمها بنبرة خشنة. تقدم خطوة إلى الأمام ليقبض على ذراعها، فاشتعل الانفجار. تراجعت نيل إلى الوراء، فيما اتقدت عيناها الخضراوان الآن بسبب السخط والكره القارصين. أطلقت كلامها اللاذع قائلة: «ما الذي تريده مني زاندر؟ هل تتوقع مني أن أبتسم بسرور فيما ألوح لك مودعة؟ هل تظنني أحب أن أعلم أنني سجينة هنا، وأنني لا أستطيع مغادرة هذه الجزيرة إلا بناء لأوامرك؟».

عبس زاندر بكآبة قائلاً: «هذا لأجل سلامتك».

- أنت تعني: لأجل راحة بالك.

- لدي أعداء! ما الذي يؤكد لي أن الرجل الفرنسي ليس واحداً منهم قبل أن أحدد مكانه؟

اتسعت عينا نيل من فرط الصدمة، وسألته: «أتعني... أنك فعلاً تبحث عنه؟».

بدت عينا زاندر محجوبتين حين قال: «رجالي يبحثون عنه».

قام بحركة أخرى مشدودة متوترة بيده، ثم قال: «قدرك يكمن في ما لديه ليقوله دفاعاً عن نفسه».

رجال زاندر لم يجدوا مارسيل! استنتجت نيل ذلك من كلامه، ولم تقوَ على إخفاء الارتياح الذي بدا على وجهها. لاحظ زاندر ذلك الارتياح، فازداد وجهه قساوة، وقال: «أنت تعرفين أين هو!».

أرادت نيل أن تستدير مجدداً لكن قبضة يد زاندر على ذراعها

www.elromancia.com

أدارتها لتعود فتواجهه. فاعترضت بغضب قائلة: «لا تسئ معاملتي!».

هتف زاندر قائلاً: «أخبريني أين هو».

سألته نيل بدورها: «أين هي فانيسا؟».

- حديثنا الآن ليس بخصوص فانيسا!

- حسناً! أنا أجعله كذلك!

قذفته بكلامها اللاذع قائلة: «هذا مقابل ذاك زاندر. أخبرني عن عشيقتك وأنا سأخبرك عن...».

- لم يكن أبداً عشيقك.

علق زاندر بذلك قبل أن تنطق نيل بآخر كلمة من جملتها.

لكنه لم ينكر أن فانيسا عشيقته! أقرت نيل قائلة: «ليس جسدياً بل عاطفياً. كيف تعرف إذا ما كنت أحبه؟ إنك لا تعرف شيئاً عن الحب حتى لو قفز عليك وعضّك!».

جذبها زاندر نحوه بسبب السخرية الباردة في صوتها، فاستقرت نيل بقوة في ملاصقة صدره. قبض زاندر على العقدة الحريرية التي تمسك بشعرها، واستعملها ليجذب رأسها نحوه ويعانقها.

لكن نيل ظلت عازمة على عدم الاستسلام له، فيما بدا هو على القدر نفسه من التصميم بأن يجعلها تستسلم. تطفل على شجارهما صوت سُمع من مكان ما، فرفعها زاندر وحملها مطلقاً زمجرة غاضبة، ثم أخذها إلى مكتبه. ركل الباب خلفهما، فيما مشى بخطوات واسعة عبر الغرفة لينزلها على الأريكة الجلدية الطرية.

- توقف عن هذا!

شهقت نيل وقد جعلتها لمساته تنشج، لأنها وجدت نفسها تتجاوب معه على الرغم من أنها كرهت نفسها بسبب ذلك. تنفس زاندر بتوتر قائلاً: «لماذا؟ أليس هذا عاطفياً بما فيه الكفاية؟ أتظنينني أشعر على هذا النحو تجاه أي شخص آخر؟ أتظنين أنك قد تشعرين بمثل هذه الأحاسيس تجاه لمسات رجلك الفرنسي؟».

أظهر زاندر أنه لا يريد جواباً على سؤاله، من خلال أسلوبه في

معانقة نيل. إنه يشعر بالغيرة من مارسيل! إنه يفعل هذا بسبب الأعماق الحارقة لنوبة غضبه المملوءة بالغيرة. إذا ما قاومته نيل سوف يجبرها على التجاوب معه من دون أي مقدمات، ثم سيكره نفسه على ذلك لاحقاً. أطبقت نيل أناملها في شعر زاندر، فجذبت رأسه إلى الوراء كي تتحرر من عناقه. أخبرته بارتعاد: «أظن أنني حامل».

راقبت الصدمة التي جمّدته كلياً، وقد شحب لون وجهه تماماً. خلال الصمت الوجيز الذي تلا ذلك، لم يستنشق أي منهما نفساً مسموعاً. ارتعش جسد نيل عندما ابتعد زاندر عنها بالقوة، فاستقر على قدميه بالقرب من الأريكة، فيما أدار ظهره لها.

فكرت نيل بمرارة وهي تجلس مستقيمة، أن لا شيء يفيد في إطفاء الحرارة مثلما تفعل الصدمة الجيدة.

سمعت نفسها تضيف بنبرة قاطعة: «آسفة على إفساد وداعك».

انتفض رأس زاندر كما لو أنها ضربته. لم يشعر أبداً بمثل هذه الصدمة والاهتزاز من قبل، لذا خرج من الغرفة ببساطة من دون أن يقول أي كلمة. من جهتها، لم تقو نيل على الحراك. اعتقدت أن العلاقة بينهما أصبحت عميقة ودائمة، لكنها الآن غيّرت رأيها. إنها نزوة خافتة خالية من المشاعر، تجرأ زاندر على أن يسميها عاطفة. بدأت نيل ترتعش فيما أحست بالبرد الشديد فجأة. كرهت نفسها... ومقتت زاندر...

على الجانب الآخر من الباب تجمّد زاندر مجدداً، وأغمض عينيه، فيما انقبض وجهه في قناع مشدود من مقت الذات. لم يشأ أن يصدق أنه فعل ذلك للتو. لم يشأ أن يتذكر النظرة المتألمة المرتسمة على وجه نيل وهي تقول ما قالته. حامل! انتفض زاندر. ما الذي فعله هنا؟ كيف تراه سمح لهذه الثلاثة أسابيع بأن تغوص إلى هذا العمق؟

مارسيل دوبو! وصل الاسم إلى رأسه كما لو كان تعنيفاً سوداوياً. صرف زاندر الفكرة قائلاً لنفسه إنه لن يقبل أي أعذار. ليس هنالك من عذر لعين يبرر ما فعله. تحركت يده المرتعشة داخل شعره. بعدئذٍ توجه

www.elromancia.com

وهو يشعر بالكآبة نحو الدرج.

كانت نيل تحاول إيجاد القوة لتقف عندما بدأ الهاتف على مكتب زاندر بالرنين. فكرت بتجاهل الأمر، لكن شيئاً ما أقوى من المنطق جذبها كالمغنطيس نحو الهاتف، فرفعت السماعة...

عندما تتشتت حياة المرء، يمكنها أن تتحول فجأة إلى شظايا. فكرت نيل بفراغ في ذلك عندما غمغم صوت نسائي ناعم قائلاً: «زاندر، عزيزي! هل يمكننا أن نتحدث؟».

طقطقت سماعة الهاتف حين أعادتها نيل إلى مكانها. غدا وجهها شاحباً كالشبح عندما استدارت ومشت نحو الباب، ثم إلى خارج الغرفة وإلى خارج المنزل.

كانت قطعة الخشب التي وجدتها ما تزال حيث تركتها. لم تدرِ لما التقطتها، لكنها احتضنتها أمام جسدها، فيما استدارت حول المنزل، وسلكت الدرب الذي يؤدي إلى أعلى التل.

٨ - على حافة الهاوية

بعد مرور ساعتين ارتدى زاندر بذلته الرسمية استعداداً لرحلته إلى لندن. تخلّى عن محاولته إيجاد نيل سيراً على القدمين، فقرر أن يبحث عنها من الجو. بدا فمه مشدوداً بالتوتر، أما وجهه النحيل فبدا متجهماً وصارماً. انطلق تاركاً ثيا القلقة واقفة بالقرب من بركة السباحة، وهي تلف يديها على بعضهما. كانت ثيا قد وبّخته في وقت سابق، إذ قالت له: «لِم تشاجرت معها؟ إنها فتاة طيبة أليكساندر. لن ترهقك رحلة إلى لندن كي تقابل أباها».

اخترقه الجزء المتعلق بكونها «فتاة طيبة»، أما حقيقة أن ثيا سمعت سهواً ما يكفي كي تقوم باستنتاجاتها الخاصة، فهو أمر لم يساعد مشاعره المكبلة بالشعور بالذنب. فكّر زاندر بذلك بينما تحركت شفرات المروحية.

أصغت نيل إلى صوت المروحية وهي تطير فوقها، بينما ربضت على صخرة مخفية تحت الظلال الوارفة للشجرة الملاصقة لها. جلست بالقرب من المكان الذي يغوصان منه في الماء.

إنه راحل... سيتركها بالرغم من كل شيء! لم تعرف نيل لما ظنت أنه سيغير رأيه الآن بعدما أعلمته بشكوكها حيال وجود الطفل، لكنها فكرت بذلك الاحتمال. اغرورقت عيناها بالدموع العديمة الحيلة. أحست بالبرد على الرغم من حرارة النهار القوية. لعل الأعمال الطارئة في لندن هي في الواقع أمور طارئة متعلقة بفانيسا. لاعجب أنه أحس بالغضب الشديد عندما أعربت عن رغبتها في الذهاب معه. أي رجل قد يرغب بإحضار زوجته معه وهو ينتظر لقاء عشيقته القديمة العهد؟

www.elromancia.com

كرهته نيل على معاملته لها بهذا الشكل، كما كرهت نفسها لأنها وقعت تحت تأثير سحره، في حين أنها تعرف أن فانيسا موجودة دوماً هناك، قالت لنفسها: «واجهي الأمر! أنت من تختبئ كالعشيقة، فيما تحظى فانيسا بدور علني جداً!».

اندفع زاندر حول الرأس الصخري مستخدماً بمهارة أدوات التحكم بالمروحية، فاستدار كي يصير مواجهاً للجزيرة، ثم بدأ يبحث عن الخليج الصغير. لابد أن تكون في مكان ما هنا! قال ذلك لنفسه بكآبة. أين تراها ذهبت بحق الجحيم؟ حجبت نظارتاه السوداوان أشعة الشمس الساطعة عن عينيه، فتفقد المياه أولاً كي يراها، فلم يجد أي أثر لحورية بحر شقراء تسبح بمفردها في الأسفل. حوّل انتباهه نحو الشاطئ. لقد تفقّد للتو الناحية الأخرى من الجزيرة، كما تفحّص الدروب التي تتخلل الأشجار ولم يجد لها أثراً.

وجّه زاندر لنفسه شتائم لئيمة لأنه عرّفها على مجموعته الخاصة من الأماكن المخصصة للاختباء، التي كان يستخدمها أيام صباه. بدا الأمر من الأعلى شبيهاً بالبحث عن فراشة في الغابة. إن لم يجدها في وقت قريب سوف يصاب بالهلع. في الواقع استطاع للتو أن يشعر بالهلع ينشب مخالبه في مشاعره الداخلية، وينطلق بقوة داخل صدره. ماذا لو كانت قد قررت السباحة؟ ماذا لو كانت مجنونة بما فيه الكفاية كي تنطلق بخط مباشر نحو عرض البحر؟ أدار زاندر المروحية نحو عرض البحر، فتفحصت عيناه المحيط الأزرق بحثاً عنها. لا تكن غبياً! قال زاندر ذلك لنفسه. نيل ليست مجنونة! تفوه بشتيمة أخرى وهو يستدير بالمروحية ليعود فيواجه الجزيرة، ثم يعدّها للبحث على طول الشاطئ. لعلها تكرهه الآن بالذات، لكن ذلك لن يدفعها إلى المخاطرة بنفسها أو بابنهما الذي لم يولد بعد. ابنهما... طفلهما! ما يزال زاندر يجاهد كي يتقبل الصدمة. جميلته هيلين سوف تنجب له طفلاً، أما هو فلم يشعر بالبؤس الشديد حيال أي شيء من قبل كما يفعل الآن.

ما الذي فعله؟ الغيرة ليست شعوراً مألوفاً لديه، فالنساء هنّ من

يشعرن بالغيرة عليه، وليس العكس. النساء! كرّر زاندر ذلك، ثم أطلق ضحكة غاضبة مزدرية. صحّح لنفسه، بل امرأة واحدة. إنها امرأة استثنائية تتداعى بين ذراعيه كلما عانقها، مع ذلك هي لا تنفك تدافع عن حبيبها الفرنسي اللعين!

ما الذي يفعله زاندر هناك؟ تساءلت نيل وهي تراقبه يحوم، ثم ينتقل بالمروحية إلى مكان آخر، ليحوم مجدداً. فجأة أشرق عليها الفهم. لم تعرف لِما لزمها وقت طويل كي تستوعب أنه يبحث عنها. عانقت قطعة الخشب وضغطت عينيها بشدة وأغمضتهما متمنية لو أنه يرحل.

سمعته يتحرك مبتعداً على طول الشاطئ كما لو أن طلباتها أوامر. لسبب ما طافت الدموع في عينيها مجدداً. آه! لن تبكي... لن تفعل! قالت ذلك لنفسها بقوة، فيما أصغت إلى الصوت المتلاشي لشفرات المروحية، إلى أن غمر الهدوء الأجواء.

قررت نيل أنها ستغادر هذا المكان يوم غد. هي تعرف تماماً كيف تقوم بالأمر. جل ما يتطلبه الأمر منها هو أن تدّعي المرض، وأن تخيف ثيا المسكينة، حتى تتصل بالإسعاف الجوّي. علمت نيل أنه يمكن تحقيق ذلك لأنها شاهدت حصوله خلال أول أسبوع لوجودها هنا، حيث تم نقل إحدى الخادمات من هنا بسبب مرض مفاجئ. حالما تبتعد عن هذه الجزيرة سوف تختفي تماماً مثلما فعل مارسيل، وليذهب زاندر إلى الجحيم. إنها لا تريد أن تراه مجدداً على الإطلاق. ثم... من دون تحذير، عادت المروحية. وفجأة أحست أنها قريبة جداً. في تلك اللحظة قرّب زاندر الآلة كثيراً من حافة الهاوية، إلى درجة أن نيل اعتقدت أنه سوف يرتطم بها فتتحطم مروحيته. هبّت واقفة على قدميها، وركضت إلى الحافة بسبب فكرة جنونية جعلتها تظن أن بمقدورها أن تجعله يتوقف، أما زاندر فاعتقد للحظة جهنمية أنها سوف تقفز في الماء. غرق جسده في هلع جليدي وهو ينظر نزولاً نحو البحر حيث ظهرت رؤوس بعض الصخور الناتئة الحادة كالشفرات.

- ارجعي إلى الوراء، أيتها الغبية!

سمع زاندر نفسه يزأر بأعلى صوته المتقطع، وكاد يفقد سيطرته على المروحية، وبعدما تصارع مع الآلة وسيطر عليها، عاد ونظر إلى نيل. كانت نيل تتأرجح على الحافة، فيما علقت في دوامة من الهواء الجاف المحمل بالغبار والشظايا المتطايرة. سرعان ما رأى بنيتها النحيلة تهوي فتقع على ركبتيها، فيما حدّقت به في ارتعاب. أطبق زاندر أسنانه بقوة، ثم اندفع مقترباً أكثر ما جعل نيل تتراجع إلى الوراء خطوة وراء خطوة بغير ثبات، إلى أن عادت آمنة بعيداً عن الحافة. بقي زاندر في مكانه يحوم بقرب بالغ الخطورة، حتى انتابه إحساس بأنه هو من سينقلب ويلقى حتفه. ارتعدت نيل عندما أدركت ما يفعله زاندر، لذا بدأت تتراجع وملأها الخوف عليه، بينما صرخت به كي يتراجع!

هذه الحادثة الجنونية لم تستمر سوى بضع ثوان. لكن حين بدأ زاندر بتراجعه، كانت نيل على وشك أن يغمى عليها ارتياحاً. أبقى زاندر فمه مطبقاً بشدة وهو يهم بالالتفاف بالمروحية مبتعداً. لو كان بمقدوره لحط على الشاطئ اللعين حتى يركض إلى الأعلى ويخنق نيل بيديه العاريتين لتصرفها بهذا الغباء، لكن الأغصان المتدلية التي تغطي الشاطئ الرملي الضيق جعلت من غير الآمن أن يحط بالمروحية. أطلق شتيمة، ثم طار بالمروحية حول الجزيرة كي يحط بها قرب المنزل. بعد أن استقرت المروحية، جلس هناك بكل بساطة، فيما العرق يتصبب منه وهو يرتعش بشدّة منعته من الحراك. ماذا لو أنها قفزت؟ ماذا لو أن حركة المروحية أسقطتها عن الحافة؟

خرج زاندر من غرفة القيادة، فأحس أن رجليه فارغتان وهو يمشي. كانت أشعة الشمس حادة، مع ذلك انتابته قشعريرة بسبب الخوف الذي يذهب العقل. ما العمل الآن...؟

إنه يعرف ما العمل. قال ذلك لنفسه بكآبة فيما سار باتجاه الدرب الذي سيأخذه إلى أعلى التلة.

حالما صعدت نيل إلى قمة التل، رأت أن المروحية عادت بسلام إلى منصّتها، فتجمدت خطواتها. ظنّت أن زاندر قد رحل، بل أملت

أن يكون كذلك، أما الآن فاستطاعت أن ترى أنه لم يفعل. نبهتها غرائزها بأن تهرب عائدة إلى الغابة، وأن تجد مكاناً آخر تختبئ فيه.

سرعان ما ظهر زاندر عند منعطف في الدرب. رأت أنه يرتدي سروالاً أسود مع قميص رسمية بيضاء، فيما عقد ربطة عنق رفيعة غامقة اللون حول عنقه الأسمر. توقف فجأة حين رآها. فكرت نيل وهي تكاد تنهار أن زاندر يبدو ذاك الرجل اليوناني اللعوب الرشيق الأسمر بكل ذرة من جسده. أخفضت بصرها، واحتضنت قطعة الخشب بشدة أكبر بملاصقة صدرها، ثم أخذت بضعة أنفاس قصيرة سطحية كي تساعد قدميها على الحراك.

لطالما علمت نيل أن بمقدور زاندر أن يكون قاسياً بارداً وعديم الرحمة، ولطالما شعرت بتلك النزعة المنذرة بالخطر التي تتربص في داخله، لذا من المنطقي أن تحذر منها. لكن حتى خلال تلك المناسبات القليلة التي استشعرت فيها بالخطر، لم تتوقع منه فعلاً أن ينجرف مع الغضب. أما الآن، فهذا ما فعله زاندر مرتين خلال ساعات قليلة. أولاً في الفيلا، ثم هنا على الحافة الصخرية حين قاد المروحية نحوها مباشرة من دون أن يأبه لسلامته الشخصية. الآن ما عادت نيل تعرف ما الذي تتوقعه منه، وهي لا تريد أن تعرف.

لكن ما حصل هو أن قدميها تابعتا المسير بها نزولاً على الدرب إلى أن توقفتا على بعد بضعة أمتار منه. انطلقت شرارات التوتر في ذلك الصمت. أبقت نيل نظرات عينيها مركزة على نقطة ما إلى يمين صدره العريض. أحس زاندر بعضلة ما حول قلبه تنقبض عندما لاحظ الشحوب الذي علا خديها. علم أنه أخافها بالحركة التي قام بها بمروحيته. اللعنة! لقد أخاف نفسه أيضاً! نيل سببت له الرعب، أما الآن فجلّ ما أراد أن يفعله هو أن يضمها بين ذراعيه فقط كي يبقيها قريبة منه. لكن الشجار الذي حصل أفقده الحق في أن يفعل ذلك.

تكلمت نيل أولاً بصوت بارد قائلة: «ظننتك رحلت».

بدا صوت زاندر أبح حين قال: «لا. هل أنتِ بخير؟».

لم تتفوه نيل بأي ردّ، وكأنما الجواب واضح من تلقاء نفسه. إنها ليست بخير! نظر زاندر إلى عينيها الجميلتين وإلى وجهها الجميل، وفكر أنها تبدو كما لو أن نوراً ما قد انطفأ في داخلها. هو من أطفأ النور! أما الآن فما عاد يعرف ما عساه يفعل أو يقول كي يعيد إضاءته.

- ما قصة قطعة الخشب هذه؟

سألها زاندر ذلك بدافع الحاجة لأن يقول شيئاً ما، مهما كان تافهاً. أخفضت نيل بصرها إلى قطعة الخشب تلك بذهول، وكانت تحتضنها على مقربة من صدرها. تراءى لزاندر أنها نسيت أمر وجود الخشبة هناك. تلعثمت نيل قائلة: «لا... شيء. إنها... تعجبني».

هذا جنون! كادا يقتلان منذ عشر دقائق فقط، أما الآن فها هما يقفان في منتصف الطريق إلى أعلى التل، وهما يتناقشان في أمر خشبة ضالة لعينة حملتها الأمواج، في حين أنه يجدر بهما أن...

اقترح زاندر بنبرة ثقيلة مندفعة: «هلاّ ذهبنا إلى الأسفل؟».

أومأت نيل إيجاباً، دافعة بقدميها إلى الحركة مجدداً. عندما أصبحت في موازاته مشى زاندر إلى جانبها. أخذ التوتر يدق بقوة داخل صدره وهما يسيران جنباً إلى جنب من غير أن ينطقا بأية كلمة أخرى. كانت ثيا تقف قلقة بمدخل الباب عندما وصلا إلى المنزل. اندفعت إلى الأمام، فأطبقت على وجه نيل بأناملها في مبادرة تدل على الارتياح، وقالت: «آه... ها أنت! كان أليكساندر قلقاً جداً عندما عجز عن إيجادك. جن جنون هذا الصبي المتهور، وأزعج الجميع بقلب المنزل بأسره رأساً على عقب، ثم بحث عنك في الغابة قبل أن يقفز إلى مروحيته ليبحث عنك من الجو».

وقف الصبي المتهور على مقربة منهما بسكون كئيب، فيما أسرعت نيل بتهدئة المرأة المسنة، قائلة بلطف: «كنت أمشي على الجانب الآخر من الجزيرة».

أومأت ثيا قائلة: «لهذا السبب عجزتِ عن سماعنا ونحن نناديك. الآن يجدر بك أن تسرعي لتغيري ملابس الشاطئ هذه، وإلا سيفقد

زاندر صبره فعلاً ويرحل من دونك».

عبست نيل، وسألت: «أرحل إلى أين؟».

- برفقة أليكساندر إلى لندن، بالطبع!

هتفت ثيا بذلك بانتصار، ثم استدارت نحو حفيد شقيقها، وقالت: «ألم تخبرها أنك غيرت رأيك؟».

قبل أن يتمكن زاندر من الرد، أخذت ثيا تستعجل نيل إلى الداخل، قائلة: «تعالي... تعالي! لقد وضبوا لك حقيبتك. ما أنت بحاجة لأن تفعليه هو اختيار ما سترتدينه أثناء السفر، ثم سوف...».

نظرت نيل من فوق كتفها، وقد ظهرت نظرة ارتباك على وجهها. لم يقل زاندر أي شيء... لا شيء، أما وقفته المتجهمة الغامضة فلم تشجعها على الأسئلة. ما الذي يجري؟ لِم تراه غيّر رأيه؟

- زاندر...!

قاطع زاندر كلامها قائلاً: «افعلي ما تقوله ثيا. يجدر بنا أن نغادر خلال عشر دقائق إذا أردنا أن نصل في الوقت المناسب لرحلتنا الجوية في أثينا».

بعد هذا الكلام مشى مبتعداً بخطوات واسعة.

لابد أن زاندر قرر أن يأخذها معه قبل أن يبدأ بالبحث عنها، لكن... لماذا؟ تمتمت المرأة المسنّة إلى جانب نيل قائلة: «لا يجدر بك أن تنزعجي عندما يطلق العنان لغضبه، يا صغيرتي! إنه يحبك. ذلك يجعله غيوراً ومتملكاً. جميع رجال آل باسكاليس متشابهون. إنه يخشى أن تلتقي برجل وسيم آخر في لندن فتتركيه... كما لو أنك قد تتصرفين بهذه الفظاظة...».

أحست نيل بالاحمرار يلطخ وجنتيها بسبب ثقة ثيا في وفائها لحفيد شقيقها، لأن نيل علمت أنها قد تتصرف بهذه الفظاظة لو سنحت لها الفرصة. هذا الزواج منتو في ما يخصها هي.

رحلتهما نحو مطار أثينا بدت سريعة. لم تزعج نيل نفسها حتى بالنظر نزولاً وهما يطيران فوق الجزيرة. صارت تحب تلك الجزيرة

الصغيرة، لكنها لن تعود إليها مجدداً. أما ندمها الوحيد لترك الجزيرة خلفها هو أنها ستترك ثيا الدامعة خلفها أيضاً.

- سوف تأتين لرؤيتي قريباً.

جعلتها المرأة المسنة تعدها بذلك قبل رحيلها. لكن نيل لم تتحلّ بالقوة كي تقول لها: «لا لن أعود أبداً مرة ثانية».

ما إن همّا بالانتقال من المروحية إلى الطائرة المنتظرة، حتى توقف الناس وأخذوا يحدقون بهما. بدا زاندر كأنه لم يلاحظ ذلك، أما نيل فانتابها شعور بأنه لا يرى أي شيء سوى هدفه التالي، وفي هذه الحالة هدفه التالي طائرته الخاصة المنتظرة على الرصيف. صعدا على متن الطائرة فيما لم يتبقَ لديهما سوى بضع دقائق إضافية كي يصلا في الوقت المناسب، ويحصلا على دورهما بالإقلاع. ما إن ربطا حزاميهما على مقعديهما حتى توجهت طائرتهما نحو المدرج خلال لحظات فقط.

الانتقال تم في جو من الفراغ الصامت. بدا الأمر مريعاً. لم يتكلم أي منهما ولم ينظر أي منهما إلى الآخر، فقد نابت لغة الجسد عنهما. بدا زاندر متجهماً مشدود الشفتين ومنطوياً جداً على ذاته، أما نيل فلم يكن لديها أي شيء تقوله. ارتدت هذه الأخيرة الملابس نفسها التي سافرت بها إلى اليونان، لأنها الملابس الوحيدة المعلقة في الخزانة، كما أنها لم تأبه لما ترتديه وهي مضطرة للنزول إلى الطابق السفلي ضمن المهلة المحددة. أما الفارق الوحيد فهو أنها تركت شعرها مرخياً لأنها لم تجرؤ على هدر الوقت في تجديله، إذ خشيت أن يغادر زاندر الجزيرة من دونها. حين خرجت إلى أشعة الشمس حيث كان زاندر ينتظرها، ألقى نظرة واحدة عليها من خلف نظارتيه الشمسيتين، ثم استدار بكل بساطة ومشى مبتعداً.

كان أزيز التوتر مسموعاً حولهما طيلة الرحلة القصيرة إلى مطار أثينا، ما جعل التنفس يكاد يكون مستحيلاً. أما الآن فجلسا محاطين بذاك النوع من الفخامة في السفر التي يقرأ عنها غالبية الناس العاديون.

مع ذلك فهما أشبه بغريبين على متن رحلة عادية مكتظة، نظراً إلى كيفية جلوسهما متقابلين، بحيث يفصل بينهما الممر، وكل منهما يتجاهل وجود الآخر. حالما استقرت الطائرة في مسارها، وقف زاندر على قدميه. لكن نيل رفضت أن ترفع نظرها نحوه على أي حال.

اختفى زاندر داخل غرفة مكتبه المصممة بناءً على طلبه في مؤخرة الطائرة، ثم قامت مضيفة يونانية باسمة باحضار الشراب المنعش لنيل بناء على تعليماته، حسبما افترضت هذه الأخيرة، لأن أحداً لم يسألها إن كانت تريد أي شيء. تمكنت من قضم بعض الشطائر قبل أن تستسلم وتدفع الصينية بعيداً عنها. أمضت نيل بعد ذلك بعض الوقت تقلّب صفحات بعض المجلات من دون أن تركز على أي صفحة. ثم، في نهاية الأمر ألقت رأسها إلى الخلف فأسندته إلى المقعد، وخلدت إلى النوم. حين فتحت عينيها، وجدت زاندر واقفاً فوقها. قفزت أعصابها على الفور، بحيث فقدت في تلك اللحظة بالذات كل ما كسبته من هدوء في نومها.

تحرك عصب في وجه زاندر فيما رفعت نيل بصرها بحذر نحوه. أزاح نظره بعيداً على الفور، وأعلمها قائلاً: «سوف نحط في مطار هيثرو خلال عشرين دقيقة».

عاد ومشى مبتعداً، فيما ظلت لغة جسده تتحدث بوضوح.

مسيرتهما داخل مطار هيثرو جعلت نيل تشعر كما لو أنهما موضوعان تحت عدسة المجهر. تماماً كما حدث في أثينا، أخذ الناس يتوقفون في حشود فيحدقون بهما. تمنت نيل لو أن بإمكانها أن تختفي ببساطة. أحاط بهما ثلاثة من الحراس الشخصيين الذين تسارعوا للسير حولهما. لابد أن منظرهما بدا شبيهاً بأولئك الأزواج المشاهير الذين تنتشر صورهم في صحف الإشاعات. كرهت نيل ذلك الوضع فأبقت نظراتها منخفضة، كما شعرت بالامتنان لذراع زاندر التي التفت حول خصرها لتحميها. إنه يحافظ على المظاهر الخارجية! فكرت نيل بذلك مجدداً بتكشيرة صغيرة.

كان ريكو ينتظرهما في الخارج مع سيارة البنتلي، وقد أمسك الباب الخلفي ففتحه على وسعه. استُعجلت نيل للدخول إلى السيارة الفاخرة، ولحق بها زاندر ثم أغلق الباب. انطلقوا مبتعدين بسرعة وبفعالية كبيرة، يبدو من الواضح أن زاندر يعتبرها أمراً بديهياً. كادت نيل تضحك لو أنها تحلّت بالقدرة على ذلك لكنها لم تفعل. لم تشعر قط بمثل هذا البرود وهذه التعاسة اللذين أحست بهما الآن. خرجت الكلمات من فمها قبل أن تتمكن من ردعها: «هل تحب فعلاً أن تعيش على هذا النحو؟».

- أستميحك عذراً؟

بدا واضحاً في صوته أنها فاجأته بالكلام الفعلي.

أوضحت له نيل ما قالته: «... كما لو كنت وحشاً يعيش في حديقة للحيوانات، أو النجم في البرنامج التلفزيوني الواقعي. كل ما تفعله تتم مراقبته ومناقشته والتأمل به. الصحافة تحبك. هؤلاء الناس في الخلف يحبونك. تفتح أمامك الدروب بين الحشود المجتمعة لكي تتمكن من العبور بينهم بلا عوائق، فيما يقفون محملقين بك».

تجرأت نيل على توجيه نظرة خاطفة نحو زاندر، ثم تمنّت لو أنها لم تفعل. بدا زاندر جالساً كقطعة من الصخر الصلب. لم تعرف لماذا أغضبها ذلك، لكن هذا ما حصل. تابعت تغيظه: «هل تُجري قرعة أسبوعية لتنتقي من ستخرجه لاحقاً من حياتك؟ هل تنهار الشركات الكبرى بمجرد قيامك باتصال هاتفي؟ أتتخلى عن عشيقاتك وحراسك الشخصيين الذين لا يتلاءمون مع مواصفات الرجل الصلب؟».

نصحها زاندر قائلاً بهدوء تام: «اخرسي، نيل!».

تمنّت نيل لو أن بإمكانها أن تفعل، لكنها ما عادت قادرة على التوقف، فتابعت: «إذا كنت لا أرضي الحشود، فهل سأرحل أنا أيضاً؟ صوتوا لترحيل الزوجة الصغيرة المتذمرة، كي لا يضطر بطلنا الرائع أن يصغي إليها أكثر!».

لاحظت نيل أن زاندر لف يديه في قبضتين في حضنه، وهو يقول:

«لن تصلي إلى أي مكان بهذا الكلام، لذا لا تدعي آمالك ترتفع».

رشقته نيل بكلامها بنبرة لاذعة: «ألأنني قد أكون حاملاً؟ حسناً! لابد لهذا الحدث أن يرفع نسبة المشاهدين. هل ستنجب ابنك ووريثك أمام وميض عدسات آلات التصوير، وربما ستدع عشيقتك تراقب من مكان جانبي فقط من أجل إضافة بعض النكهة؟».

أحنى زاندر جسده بحركة تشبه حركة الثعبان. وقبل أن تدرك نيل ما يحصل، كان زاندر قد أسرها في زاوية مقعدها واضعاً إحدى يديه عند قفا عنقها، فيما ثبّت يده الأخرى على فمها.

همس محذّراً بصوت حاد: «الآن اصغي».

حدّقت نيل نحوه من فوق يده المطبقة على فمها. حدّقت فعلاً... ولأول مرة لاحظت شحوب وجهه، والتوتر الذي رسم أخاديد عميقة حول فمه، لكن عينيه هما اللتين أسرتاها... عيناه الشبيهتان بالبلور الأسود اخترقتاها بحدّة إلى درجة شعرت معها بالألم. لدغها زاندر بكلامه المشدود قائلاً: «أنا أمنحك الحق بأن تسخري مني ومن نمط عيشي. لكنك لن تسخري من نفسك بالأسلوب نفسه، ولن تهيني ابتنا الذي لم يولد بعد!».

أهذا ما فعلته؟ آه، نعم! هذا ما فعلته فعلاً. أقرت نيل بذلك. ارتعشت شفتاها تحت يد زاندر الذي أضاف: «ولا تبكي الآن، فلدي ما يكفيني من دون أن تضيفي أنتِ دموعك!».

تفوه ببضع شتائم باللغة الأجنبية، ثم أفلتها بحركة رشيقة، وتراجع عائداً إلى مقعده.

- لا فكرة لديك عمّا تفعلينه بي.

قال زاندر ذلك بسخط وبنبرة خشنة، فيما جلست نيل مكانها مرتعدة. تابع زاندر: «لا فكرة لديك عن القوة التي تتمتعين بها في استجلاب الشهقات المنقطعة الأنفاس من أفواه الحشود!».

صُدمت نيل بذلك، ورمشت نحوه مذهولة. أدار زاندر رأسه الأسمر، ولاحظ رمشة عينيها المتفاجئة، فتصلب وجهه الرشيق

تهكماً. تابع يقول كما لو أنه يكرهها: «إنك تتمتعين بشعر متموج جامح، كما لو كنتِ حورية خيالية، أما وجهك فيشبه وجه الملائكة، فيما يبدو جسمك رشيقاً وفاتناً بالفطرة. النساء الأخريات ينظرن إليك، ويتمنين لو أنهنّ يمتلكن جزءاً يسيراً مما لديكِ. ليت عيناي لم تقعا عليكِ أبداً، عندها لما كنت أشعر الآن بالتوتر والاحباط اللعينين لعجزي عن القيام بأي شيء بخصوص ذلك!».

- لاشك لدي أنك تحول الأمر بأسره إلى تأثر حسي.

أجابت نيل بذلك، وهي تشعر بالخوف مما قذفه نحوها زاندر من كلام. لم تعد تأبه لصوتها الذي يبدو مرتعشاً، فقالت: «أتمنى أنا أيضاً لو أن عينيك لم ترياني قط. لولا ذلك لما أمضيت العام الأخير من عمري من سجن فخم إلى آخر ينقلني إليه وحش مندفع وراء المال!».

استفسر زاندر بفضول: «ما الذي كنت تفضلين أن تفعليه؟».

- أن أتابع حياتي!

- حياتك مع الرجل الفرنسي... ربما!

رفضت نيل أن تجيبه، فيما أدارت وجهها المتجهم نحوه. فكرت أنها ستدعه يفكر بما يشاء بخصوص مارسيل، مادام الأمر يغضبه!

- أخبريني، نيل! لأنني صدقاً أشعر بالفضول. هل يمتلك خمسين مليوناً كي يخرج والدك من أزمته؟

صرّحت نيل بتعالٍ: «مارسيل ليس مندفعاً وراء المال».

علق زاندر بفظاظة: «إنه فقير معدم ذو قلب حساس، لكنه جبان».

رمقته نيل بنظرة ازدراء قائلة: «أنت لا تعرف عنه شيئاً، لذا لا تدّعِ أنك تفعل».

- هل أنت واثقة جداً من ذلك؟

ألحت نيل قائلة: «نعم! وإلا لجعلت أفراد عصابتك يضربونه، ثم قذفتني بذاك الأمر».

تشدّق زاندر قائلاً: «حسناً! هل ستقولين لي أين هو؟».

هزأت نيل منه قائلة: «لابد أنك تمازحني».

أنكر زاندر قائلاً: «لا! في الواقع لم أكن أكثر جدية من الآن. أين هو نيل؟».

ثم تابع: «وقبل أن تجيبي بتعليق لاسع ما، أظنه يجدر بي أن أحذرك أن حريتك سوف تبقى مقيدة إلى أن تخبريني فعلاً...».

أخذت نيل نفساً سريعاً، وقالت: «ليتني لم أتزوجك قط».

سخر منها زاندر قائلاً: «كما لو أن طالبي الزواج بك كانوا يتوافدون حشوداً متوسلين أمام باب والدك. بحسب ما أعرف، كان الخيار محصوراً بيني وبين رجل قصير بشع في الأربعينيات من عمره، ذي شفتين غليظتين وثلاثة أزواج من الأيدي».

فقذفته بنظرة حادة قائلة: «ما الذي يفترض أن يعنيه كلامك؟».

- لا شيء... انسي ما قلته.

ارتعشت شفة نيل العلوية. قالت:

- زاندر، أنا... أنت...

قاطعها بكلام لاذع: «لا تسألي!».

- أنا... أنا بحاجة لأن أعرف ما قصدته.

حدّق زاندر بتجهم إلى كوبه، وقال: «أنتِ تزوجت بي، وبالتالي هذا لا يعني شيئاً».

صرخت نيل قائلة: «أخبرني!».

غمر وجه زاندر انفجار حارق للانزعاج، فقال: «والدك تمادى كثيراً فوق طاقته، فأخذ يغرق في الديون. كان بحاجة إلى من ينتشله، وليس هنالك العديد من الأشخاص في الخارج الذين يمتلكون خمسين مليون جنيه استرليني ليجازفوا بها في مخاطرة سيئة العواقب. أما أنا فكنت أحد أولئك الأشخاص المستعدين للمخاطرة... مقابل ثمن».

ابنة جوليان غاريت واستثماره يمكن حمايتهما من خلال إنجاب وريث. هكذا سوف يحصل ابنه على ميراث زوجته!

- أنتِ تعرفين هذا، فلِم تسحبين الكلام من فمي مجدداً؟

قذفها زاندر بكلامه الخشن، فقبض التوتر على نيل وظهر الشحوب

www.elromancia.com

على وجهها، لأنه ما يزال يفوت تفصيلاً هاماً: الرجل ذا الشفتين الغليظتين! خلال الأسبوع الذي سبق مجيء زاندر للإقامة في منزل والدها، كان كلايف بنسون ينزل ضيفاً عنده. إنه رجل قصير القامة، بدين، ويبتسم باستمرار. في بداية الأمر تحملت نيل مزاحه الودود تجاهها بدافع اللياقة. لكن الأمر تحول إلى ودّ زائد عن الحد، إذ راح يحاول ملامستها، ما أجبرها على تمضية معظم وقتها برفقة الكلاب، لعلمها أن لوالدها بعض المصالح مع الرجل، وهي لا تستطيع إهانته أو إغضابه.

همست نيل قائلة: «أنت تحاول أن توحي بأن والدي عرضني في المزاد العلني».

رد زاندر قائلاً: «أرجو أن تلاحظي أنني أحاول جهدي ألا أنطق بهذه الكلمات البشعة، عزيزتي».

- لا أصدق أن والدي يفعل شيئاً مريعاً كهذا.

لاذ زاندر بالصمت، إلاّ أن نيل أحست بالغثيان.

- ما كنت لأسمح لـ... كلايف بنسون أن يلمسني ولو بـ... برأس سارية مركب.

تشدق زاندر قائلاً: «كم أشعر بالارتياح لأنني لم أتلق معاملة مماثلة بالرفض. لكن فكري للحظة بما كنتِ لتفعليه لو لم أعرض على والدك رزمة نقود لإنقاذه من ورطته. لولاي لغرقت شركة والدك مع موظفيها وفروعها الأخرى التي لا تحصى. كان والدك غارقاً في الديون من رأسه حتى أخمص قدميه، وكان سيخسر منزله، أما ابنته الجميلة فكانت ستجد نفسها مرمية في الشارع. في تلك الحالة لن يبدو الرجال الأثرياء ككلايف بنسون شنيعين جداً. أليس كذلك؟».

تنفست نيل وقالت بصوت ثخين: «أوقف السيارة!».

بدا زاندر غير مصدق أبداً، فقال: «إننا نسير على الطريق السريع!».

ضحك وهو يلاحظ شحوبها. ازداد صوته خشونة، وقال: «بحق

الله نيل! فات الأوان كي تهربي من...».

- أوقف السيارة!

زعقت نيل، ثم انتفضت يدها لتغطي فمها. حين أدرك زاندر ما هو على وشك أن يحدث، تحرك بسرعة البرق، فانتزع الهاتف الداخلي في السيارة وأمر ريكو بالتوقف. هوت نيل خارج السيارة، فترنحت إلى جانب الطريق، قبل أن تبدأ بالتقيؤ بقوة على الحافة المزروعة بالعشب الأخضر. أسندها زاندر بذراعيه، فأمسك بها مبعداً شعرها إلى الوراء. بدا لها كأن ذراعيه مرسلتين من السماء. لم تأبه حتى إلى أنه اضطر إلى الوقوف هناك ومراقبتها وهي تتقيأ كل ما في معدتها المضطربة. لم تشعر بهذا البؤس مطلقاً من قبل. كل ما قاله زاندر أو لم يقله أخذ ينبض وينتفض داخل جسدها. عندما انتهت نوبة التقيؤ، ثنت ركبتيها، فالتقطها زاندر بصمت، وعاد فوضعها على المقعد الخلفي للسيارة، فيما بقيت قدماها خارجاً على الإسفلت. أخذ زاندر يطلق أوامره بقوة، فيما أحست نيل بحاجة يائسة لاستنشاق الهواء النقي ملء رئتيها، لكنها لم تجرؤ على فعل ذلك خشية أن تصيبها موجة الغثيان مجدداً. راحت ترتعد بقوة حتى عندما ربض زاندر أمامها، وحثّها برفق لترتشف الماء البارد الذي جاء من حيث لا تدري.

- حقيبة يدي!

لم يتوانَ زاندر عن تلبية طلبها. مد يده ببساطة إلى داخل السيارة، والتقط حقيبتها، ثم وضعها بصمت فوق حضنها. تحسّست أنامل نيل قفل الحقيبة، فيما حاولت أن تفتحها. شعر زاندر برغبة في أخذ الحقيبة كي يفتح لها القفل، لكنه لم يستسلم لرغبته. أخيراً انفتح القفل، فأخذت نيل تنقب في داخلها، إلى أن وجدت المغلف البلاستيكي الصغير الذي يحتوي على الفوط الرطبة المنعشة التي تحملها دوماً معها. كان شعرها يتدلى فوق وجهها، وسرّها أنه قام بإخفائه قليلاً. استخدمت الفوطة المرطبة لتمسح وجهها. بعد ذلك تناولت كوب المياه الباردة من يده، وأخذت ترتشف الماء بكميات

قليلة، فيما ظل زاندر رابضاً أمامها، وقد أطبق يديه على شكل قبضتين.

بعد مرور بضع دقائق سألها بصوت أبح: «هل أنت بخير؟».

أومأت نيل إيجاباً، وأعادت له الكوب، لكنها لم تحاول أن ترفع رأسها. أخذت أمور أخرى تصطدم بذهنها، كأصوات هدير السيارات وهي تتجاوزهم على الطريق السريع، والسيارة الأخرى التي تقلّ حراس زاندر الشخصيين الثلاثة، والتي توقفت خلفهما.

لم تستطع نيل أن تتمتع بالخصوصية أثناء نوبة الغثيان والتقيؤ.

- نيل، أنا آسف! أنا لم أقل ذاك الكلام حتى...

كان زاندر يرفع إحدى يديه نحوها.

- لا تلمسني!

تراجعت منسحبة عنه كما لو كانت سلحفاة تنضوي داخل قوقعتها. أدارت رجليها فأدخلتهما إلى السيارة، وجلست بلا حراك، فيما بقي زاندر رابضاً هناك. بقي زاندر على وضعيته هذه لبضع ثوان إضافية، ثم نهض واقفاً على قدميه، ثم انغلق باب السيارة. أما نيل فاستخدمت الثواني القليلة التي تطلبها منه دورانه حول السيارة كي تمشط شعرها بعيداً عن وجهها بأناملها المرتعشة. وصل زاندر إلى المقعد المجاور لها، فأدارت نيل رأسها إلى النافذة الجانبية. اختفى الحراس الشخصيون، ثم علا صوت محرك السيارة، وتابعوا رحلتهم نحو لندن بصمت تام مطلق.

لابد أنها غفت، لأن الشيء التالي الذي أدركته هو توقف السيارة أمام صف من الأبنية اللندنية. سألت نيل: «أين نحن؟».

لكن زاندر كان للتو قد همّ بالخروج من السيارة. حين فتح الباب لها، وقف مكانه بصمت متجهم وانتظرها لتخرج. استنتجت نيل بالتحديد أين هم، فاعترضت قائلة: «لست بحاجة إلى طبيب».

يد زاندر التي قبضت على ذراعها وسحبتها خارج السيارة قالت كل شيء عنه. قادها لتصعد الدرج معه، ثم أدخلها باباً حيث لمحت نيل

عبارة «طبيب نسائي» مدونة على إحدى الصفائح.

- الوقت ما يزال مبكر جداً كي نستشير طبيباً بخصوص...

بعد مرور نصف ساعة كانت نيل تسير إلى الخارج مجدداً وهي تشعر بالارهاق واستنفاد القوى تماماً وتكاد تقترب من البكاء. أما رفيقها فوضع يده على فجوة ظهرها ومشى إلى جانبها. تم التأكد من الأمر. إنها حامل! حصل ذلك منذ حوالى الثلاثة أسابيع بحسب تخمينات الطبيب. ذلك يعني أن زاندر تمكن من تحقيق هدفه من المحاولة الأولى. فكرت نيل بذلك بمرارة.

- المهمة أنجزت!

قالت نيل ذلك، ثم خطت مبتعدة عن تلك اليد المتملكة، ومشت بمفردها نحو السيارة المنتظرة.

www.elromancia.com

٩ - دمع وابتسام

جلس زاندر إلى جانب نيل، فيما انطلقت بهما السيارة قدماً. ليته يعلم ما الذي عليه أن يفعله كي يكسر القبضة اللعينة التي يمسك بها الذنب بضميره! تمكن في يوم قصير واحد أن يمحو ثلاثة أسابيع من الجنة. لم يرغب بالنظر إلى نيل كي لا يرى تعابير الألم التي ظهرت على وجهها حين أكّد الطبيب أمر حملها. رأى زاندر تلك التعابير مرّة من قبل عندما اضطرت نيل أن تطلعه على شكوكها، لأنها علمت أن هذا هو الأسلوب الوحيد الذي تستطيع بواسطته منعه من معاملتها بقسوة.

في حديقة الحيوانات!

يا إلهي! إنها لم تقل له كلمة أصدق من هذه. كيف عساه يقترب من امرأة تنظر إليه بهذه الطريقة؟ كيف يستطيع النظر إلى وجهها بعد أن ضربها للتو بهراوة الحقيقة البشعة المتعلقة بوالدها؟ جاءه الجواب القاسي الحقيقي من داخله: ما كان يجدر بك أن تفعل ذلك. لو أنك تملك نقطة دماء متحضرة واحدة في عروقك، لكان يجدر بك أن تتراجع. جعلت غيرتك الطفولية الغبية من ذلك الرجل الفرنسي تعميك! أدار زاندر وجهه نحو النافذة الجانبية. بعد مرور دقيقة واحدة فقط من هذا الصمت المريع سوف ينفجر!

أحس ببعض الارتياح عندما رأى واجهة المبنى الزجاجي العصري تظهر إلى جانب السيارة. خرج ريكو وفتح الباب له، فخرج زاندر ودار حول السيارة، وهو يحمل النية بأن يساعد نيل على الخروج، لكنها فعلت ذلك بنفسها. أمسك زاندر ذراعها، فأجفلت، ثم عادت

واستقرت، فشكرها زاندر في سره. مشيا سوياً عبر الأبواب ذات الزجاج الغامق اللون، إلى البهو المظلم. لاحظ زاندر أن تشبيه حديقة الحيوانات يظهر أمامه. الزجاج في كل مكان وكذلك حديد التانغستن البارد غير القابل للصدأ، أما الموظفون فتوقفوا عما يجدر بهم إتمامه، كي يستديروا ويحدقوا بهما. أحس زاندر أن نيل أخذت ترتعش، فشدّ أنامله بقوة على ذراعها النحيلة. أطبق أسنانه سوياً بقوة شديدة إلى درجة أنها آلمته، وهو يسير بنيل عبر البهو نحو المصعد الخاص بالإداريين. أغلقت الأبواب. فتم نقلهما إلى الأعلى بسرعة قصوى.

ثم انفتحت الأبوات. اضطرت نيل إلى تقبّل عودة يده على ذراعها. آداب اللياقة اليونانية المتأصلة فيه تتطلب منه أن يمسك بها على هذا النحو، لكن نيل تمنّت لو أنه يسير على بعد عشرة أمتار منها. هي لم تدخل إلى هذا المبنى من قبل، لاقت نظراتها المزيد من الزجاج والحديد، لكنهما مزينان هنا بأطر من خشب الجوز الثمين. لاقاهما المزيد من الوجوه الفضولية، وترددت أصداء التحيات المتمتمة باحترام طوال مسيرتهما في البهو، أما زاندر فلم يقل شيئاً. بدا أشبه بالآلة التي توصل رزمة ما. تحركت يده بعد ذلك من ذراع نيل نحو وسط ظهرها، فيما انحنى إلى الأمام ليفتح باباً ضخماً من خشب الجوز. أحست نيل بأنامله تنزلق وتلتف للحظة وجيزة تأسر الأحاسيس بمداعبة حسية.

حبست نيل أنفاسها، ورفعت نظرها نحوه. لم ترغب بأن تفعل ذلك، لكن الأوان فات. أخذ زاندر ينظر نزولاً نحوها. تجمد كل شيء حولهما... كل شيء! كان الباب ما يزال مفتوحاً جزئياً، وما زال بحر الوجوه خلفهما، فيما زاندر يقف كأنه مشرف عليها من الأعلى. تمنّت نيل لو أنها تكره ذاك الوجه الأسمر. غشيت عيناها بالدموع الغبية، أما فمها فصار يرتعش...

- نيل، لا تفعلي!

ثم استدار وقال كلاماً لاسعاً كالسوط باتجاه بحر الوجوه: «أليس لديكم ما تفعلونه سوى مراقبتي وأنا أحتضن زوجتي؟».

استنشقت نيل نفساً حاداً، وقد صدمها الانفجار الكلامي المفاجئ. ثم دفع زاندر الباب وفتحه على مصراعيه، ليعبراه معاً. وجدت نيل نفسها تقف في مكتب ضخم ذي أطر من خشب الجوز وحائط زجاجي، يتوسطه مكتب من الحديد اللماع. انغلق الباب، فاستدارت نيل حول نفسها. طالبته بصوت ذي نغمة حادة: «ما الذي جعلك تصرخ بذاك الكلام؟».

قال زاندر منزعجاً: «حتى الحيوانات في حديقة الحيوانات تسأم من التحديق بها».

قبض زاندر على يد نيل الآن، وأخذ يجرها خلفه عبر الغرفة نحو باب آخر. شعرت نيل أنها قريبة من الدوار بسبب الصدمات العديدة التي تعرضت لها خلال يوم واحد، فوجدت نفسها تقاوم غصّة الندم وتأنيب الضمير. قالت: «اسمع! أنا آسفة لأنني قلت ذلك».

- تلك هي الحقيقة، فأنا أعيش فعلاً في حديقة للحيوانات.

أخذ الهاتف يرن في مكان ما. ووجدت نيل نفسها تُسحب باتجاه المكتب، حيث وُضعت أكوام من الأوراق والملفات. تناول زاندر الهاتف الموضوع بين تلك الأكوام بيده الأخرى، ثم استهل حديثاً مختصراً باليونانية. حاولت نيل أن تحرر يدها، لكنه رفض إفلاتها. ما إن أعاد السماعة إلى مكانها، حتى بدأ الهاتف يرن مجدداً. أجرى سلسلة من الأحاديث، حيث أدى الاتصال إلى آخر ثم إلى آخر. ما إن انهى زاندر أحد الاتصالات، وقبل أن يستهل الآخر، استنشقت نيل نفساً عميقاً. وقالت: «اسمع! أنت منشغل، وأنا بحاجة إلى...».

أن أستلقي. هذا ما أرادت قوله، لكنها غيرت رأيها لأن الاستلقاء يعني السرير، وهو أمر لم تشأ أن تفكر به الآن. فقالت: «إذا سمحت لي باستخدام الليموزين، سوف أذهب إلى روز...».

بدا الأمر غير مطروح للنقاش، إذ قال زاندر: «ستبقين معي. نحن لن...».

أخذ الهاتف يرن مجدداً، فانتزعه زاندر. أعطى تعليماته بصوت

يشبه العواء، قائلاً:

- أوقفوا المكالمات إلى أن آمر بعكس ذلك.

أجفلت نيل قائلة: «أكره المتنمرين!».

قادها زاندر مجدداً عبر الغرفة، وقال: «هذا كلام قاس. ما زال قدرك متعلقاً ببعض الأمور، لذا ستبقين».

تطلب الأمر بضع ثوان من نيل حتى فهمت ما يقصده، فقالت: «هلاّ توقفت عن قذفي بهذا الكلام؟».

دخل زاندر برفقتها عبر باب آخر، فأسر المكان اهتمامها. لم يكن هذا مكتباً بل غرفة جلوس ذات ديكور جميل ومفروشات رائعة تتناسب مع معايير زاندر التي لا تخطئ وذوقه الراقي.

سألته نيل بفضول: «ما هو هذا المكان؟».

- إنها شقتي.

- أتعني أن هذا هو مكان إقامتك في المدينة؟

بدت نيل متفاجئة جداً. رمقها زاندر بنظرة ذات مغزى، وهو يقول: «هل توقعت شقة مبطنة بالمخمل المخطط من اللونين البنفسجي والأحمر في منطقة سوهو، مخصصة لإقامة علاقات مع نسائي؟».

الجزء المتعلق بالعلاقات مع نسائه استجلب موضوع فانيسا الجميلة مباشرة، فتحول لون وجه نيل على الفور إلى الشحوب. لاحظ زاندر ذلك، فأطلق تنهيدة، ثم قال: «عندما أكون في المدينة أعمل، ثم أنام هنا، ثم أعمل».

شدد على كلمته الأخيرة، وتابع: «لدي أيضاً منزل في الريف، لكن لم يتسنّ لي الوقت كي أنام فيه بعد».

أحست نيل بالضيق فجأة، وبدأت تخوض معركة أخرى مع الدموع، أما الأمر التالي الذي أدركته فهو أن ذراعين قويتين غمرتاها، وشدتاها إلى صدر زوجها.

- غبي...!

لم تكن نيل واثقة تماماً من هو الغبي، هي أم زاندر، لكنها عرفت

أنها تود أن تكون تماماً حيث هي الآن بالذات، ولا بد أن ذلك يجعل منها غبية تماماً.

لم يدم نعيم الراحة طويلاً، إذ قال زاندر بعبوس: «تعالي!».

أدارها ليقودها نحو غرفة نوم، يتوسطها سرير ضخم مغطى باللونين البني والأبيض، ثم حثّها على الجلوس على حافته.

نزل زاندر ليركع أمام نيل قائلاً لها: «أصغي إلي الآن! كان نهارنا جهنمياً، وأنت مرهقة. نصحك الطبيب بأن ترتاحي، لذا ستطيعينه وترتاحين... بمفردك عزيزتي».

أضاف جملته الأخيرة بقساوة عندما توقع مسبقاً الاعتراض الذي أوشك أن ينطلق من شفتي نيل. نظر زاندر إلى ساعة يده، وقال: «لدي عمل علي إنجازه. أمامي جبل من الأوراق لأنقب فيها قبل أن أترأس اجتماعاً خلال أقل من ساعة».

قفز برشاقة على قدميه، ثم أشار قائلاً: «هنالك حمام خلف ذاك الباب، ومطبخ ملاصق للغرفة الأخرى، إذا ما شعرت بحاجة إلى تناول الطعام».

بعدئذٍ ذهب إلى النافذة فجذب الستائر. بدا نشيطاً جداً، ومستعداً للعمل، فيما أن جل ما أرادت نيل أن تفعله هو أن تزحف إلى هذا السرير وتنام. قال وهو يعود نحوها: «خذي قسطاً من الراحة، وكفّي عن تمنّي الأعاجيب».

بعد أن قال ذلك، مشى زاندر بخطوات واسعة خارج الغرفة، فيما رفع رأسه عالياً، تاركاً نيل لترتخي مرهقة على السرير.

* * *

إنها حامل! فكر زاندر بذلك وهو واقف في مدخل الباب. تتبع شلال الشعر الأشقر الجميل المنتشر على الوسادة، إلى أن استقرت نظراته على وجه نيل النائم. هل هو مسرور بذلك؟ إنه لا يعرف.

انساقت نيل إلى الاستيقاظ على وقع قرقعة الآنية الخزفية. ذكّرها ذلك بثيا صوفيا، وتخيلت نفسها على الجزيرة... إلى أن قال لها

صوت متكاسل: «آمل أن تعني تلك الابتسامة أنك تحلمين بي».

فتحت نيل عينيها لتجد زاندر واقفاً قرب السرير. أشرقت الحقيقة عليها بقوة، فقالت: «آه! نحن في لندن. كم الوقت الآن؟».

- حان وقت الطعام.

قال زاندر ذلك بخفة، ثم استدار مبتعداً، وعاد حاملاً صينية بين يديه.

سحبت نيل جسمها صعوداً. تثاءبت مجدداً، ثم فركت عينيها، ودفعت شعرها المشعث بعيداً عن وجهها. قالت بمرح عندما وصلت الصينية إلى حضنها: «لم أكن أعلم أنك تقوم بخدمة الغرف».

- أي شيء لأجلك أنت يا حبي.

أجابها زاندر بالنبرة المرحة نفسها، فيما جلس على حافة السرير. أزاح الغطاء عن طبق فيه عجّة بيض مخفوق فوق شريحة من الخبز الساخن. نظرت نيل نحو الضوء المتسلل جزئياً من خلال الستائر، وسألت متفاجئة: «هل حل الصباح للتو؟»..

ابتسم زاندر وأجابها: «ليس تماماً».

ناولها كوباً من عصير الليمون الطازج، وقال: «نمت لساعات بينما كنت أترأس اجتماعاً جهنمياً. هل أعجبكِ؟».

أضاف زاندر جملته الأخيرة متسائلاً، فيما ارتشفت نيل العصير. أومأت نيل: «إنه لطيف».

ابتسم لها زاندر، ثم رفع بالشوكة بعضاً من العجّة، وقال: «خذي! جربي هذا، واخبريني ما رأيك».

هزأت نيل ساخرة وهي تأخذ ملء الشوكة إلى فمها: «هذا ليس سوى بيضاً مخفوقاً».

- نعم، لكنه بيض مخفوق مميز جداً، بما أن يدي الماهرتين حضرتاه.

كادت نيل تختنق وهي تقول: «أنت؟ ظننت أنك لا تعرف كيف هو شكل البيضة داخل قشرتها».

رفع زاندر بالشوكة كومة أخرى من العجّة، وقال: «عارٌ عليك! أنا ماهر جداً عندما أضطر لأن أكون كذلك. اشربي المزيد من العصير».

عبست نيل، وقالت: «لماذا شعرت بالحاجة لأن تكون ماهراً في هذه اللحظة بالتحديد؟».

- لأنني قررت ترك الرجال العشرة يتشاجرون في المكتب، وأتيت إلى هنا لأراك، فوجدتك نائمة. وبما أنك لم تتناولي شيئاً منذ تقيأت على الطريق السريع، قررت أنه آن الأوان كي تفعلي ذلك. يمكنك أن تعودي إلى النوم بعد أن تتناولي هذا...

قدّم زاندر لها شوكة أخرى. نظرت نيل إلى وجهه النحيل، ولم تقل شيئاً. أخذت الشوكة من زاندر لكي تأكل بنفسها. لم يتحدث أي منهما لبضع دقائق، فيما أكملت نيل طعامها، وبدا زاندر مكتفياً بمراقبتها. بعدئذٍ ظهر السبب الحقيقي الذي جعله يجلس هناك وينظر إليها بهذا الشكل. قال: «نيل... ما قلته بخصوص والدك... أظنني أعطيتك الانطباع الخاطئ بخصوص تورطه في...».

تكلمت نيل وهي تضع الشوكة من يدها: «آه! لا أظن ذلك. أظنك أوضحت وجهة نظرك بشكل تام. أخذتني كضمانة لاستثمارك. هذا ما يقوله العقد. أنت أيضاً أنقذتني من قدر هو أسوأ من الموت».

عبس زاندر وقال: «سوف أمزّق العقد إذا كان هذا يشعرك بالتحسن».

سخرت نيل منه قائلة: «هذه المبادرة كانت لتحمل معنى لو أنك عرضتها عليّ قبل أن أصير حاملاً».

- عرضت عليك الأمر مرة من قبل، إذا كنتِ تذكرين.

رفعت نيل نظرها نحوه قائلة: «أتعني يوم عيد مولدي، وقبل أن يتدبر والدي العقد الأسترالي، ويعيد أعماله إلى مسارها السابق؟ كان بمقدورك أن تطلب التفاوض من جديد».

بقي زاندر صامتاً الآن، لأنه أدرك أنه سيضطر إلى اجتراح المعجزات كي يجعلها تصدق عكس ذلك.

بحثت نيل عن شيء تافه تقوله حتى تملأ الفجوة، ثم قالت: «هاك! نظفت الصحن وتناولته بأكمله. الطفل تغذى بشكل مناسب».

رد زاندر: «فعلت هذا من أجلكِ أنتِ، لا من أجل الطفل!».

ظهر على وجهها أنها لم تصدقه. أطلق زاندر تنهيدة، وسرعان ما اختفى تصرفه المتسامح من دون أي أثر. تابع قائلاً بإيجاز: «هل يهم فعلاً ما هو الشيء الذي حفّزني؟ ألا يُسمح لي أن أقلق عليكما معاً؟».

نظر إلى ساعته، ثم وقف ليزيح الصينية، وقال: «لدي اجتماع ينبغي أن أعود إليه. أراكِ لاحقاً».

غادر زاندر بعدما قال ذاك الكلام البارد، أما نيل فارتمت فوق الوسائد، وتمنّت لو أنها تعرف كيف يجدر بها أن تحس تجاهه، لكنها لا تعلم. الحب والثقة اللذين عاشتهما خلال الأسابيع الثلاثة الماضية تشتتا في نهار طويل مليء بسلسلة من الضربات القاسية. نهضت من السرير، فأحست بقشعريرة فورية على بشرتها بسبب الفرق في المناخ بين الصيف اليوناني الحار والصيف الإنكليزي المعتدل. أخذت تفرك ذراعيها العاريتين بينما جالت في أرجاء الغرفة. يبدو أن زاندر نسي أن يطلب إحضار حقيبة ملابسها.

أخيراً قررت أن تنغمس في حمام طويل ساخن في حوض الاستحمام الضخم. لم تجد نيل أي أثر لأغراض أنثوية في أرجاء الحمام، ما حسّن مزاجها نوعاً ما. إذاً زاندر لم يكن يطلق العنان لنفسه مع نسائه هنا! تأملت بذلك وهي مغمورة بالماء الساخن الذي يتصاعد منه البخار. لعله يمتلك شقة بنفسجية وحمراء اللون في منطقة سوهو. توسعت نيل في خيالها وهي تطلق ضحكة ناعمة...

- هل شعرت بالابتهاج أخيراً؟

- آه!

فتحت نيل عينيها، لتجد زاندر مستنداً إلى إطار الباب بتكاسل. قالت بارتباك: «عدت بسرعة».

تشدّق زاندر قائلاً: «لم تعجبني الرفقة».

www.elromancia.com

تألقت عيناه السوداوان بأهدابها الحريرية، وهو ينظر إليها. فكرت نيل أن من الغباء أن تشعر بالخجل بعد أن أمضيا معاً الكثير من الأوقات الحميمة خلال أسابيع مضت، لكن ذلك لم يمنع الاحمرار من اجتياح خديها. حاولت أن تجعل الأمر يبدو عادياً عابراً، فشدّت رجليها إلى الأعلى، ولفّت ذراعيها حولهما، لكن تلك الحركة لم تغير النظرة التي تعرفها جيداً على وجه زاندر. لاحظت نيل أنه خلع سترته وربطة عنقه، كما فك أزرار قبة قميصه وأزرار كُميه. تجاوب جسد نيل مع نظراته، فأرادت أن تقول شيئاً يكسر حلقة الجاذبية بينهما.

- نسيت حقيبة ملابسي.

لم يغير كلامها نظرته النهمة. قال: «وُضعت في غرفة الجلوس بعد مرور خمس دقائق على وصولنا. ألم تزعجي نفسك بالبحث هناك؟».

- لا!

استقام زاندر في وقفته، وبدأ يدنو من حوض الاستحمام. غمغم بصوت أبح: «يمكنك الاستغناء عنها».

بدأ يفك بقية أزرار قميصه. صرخت نيل، وتحركت مسببة موجة من المياه. رفعت نفسها في الحوض وهي تقول: «لا تجرؤ على الاقتراب! أنا ما زلت غاضبة منك! كما أنني ما عدت معجبة بك. بعد الآن لن أكون عبدة لك تقيم معها علاقة حميمة حين تحتاج...».

- حذارِ...!

انطلقت يد زاندر بسرعة كالسهم فقبضت على شعرها بسرعة قبل أن ينفلت من عقدته العلوية ويصل إلى الماء. ارتعشت نيل بسبب الارتباك المطلق، بينما أعاد زاندر ربط شعرها بدقة مثيرة للغضب. قال زاندر: «هاك! الآن لن تضطري إلى تمضية نصف ساعة في تجفيفه قبل أن تأوي إلى السرير».

- أنا لن أنام معك مجدداً على الإطلاق.

أعلمها زاندر وهو ينزل على ركبتيه بالقرب من حوض الاستجمام قائلاً: «نحن لن نسمح لهذه الحرب بالاستمرار. أنت زوجتي، وسوف

تنجبين طفلي».

إنه على حق! فكرت نيل بذلك فيما راقبته كالأرنب الأسير وهو يخفض رأسه ليعانقها.

بعد مرور بضع دقائق، ابتعد زاندر قليلاً عنها فيما تابعت عيناه أسر عينيها بنظراته. تعلقت ذراعا نيل بعنف به عندما رفعها خارج الحوض. لم تفلته حتى عندما تناول منشفة ولفها حول جسمها. بدا لها أن الشيء الوحيد الصلب حولها هو زاندر وقلبه النابض تحت خدها المستلقي على صدره. فجأة قال زاندر بنبرة خشنة: «لو سمحتِ لأي رجل على الإطلاق أن يراك بهذا الشكل، فسوف تموتين».

ابتسمت نيل، وعانقته عناقاً ناعماً، فيما ظلت ملتصقة أكثر فأكثر بصدره همست قائلة: «خذني إلى السرير».

حملها زاندر إلى غرفة النوم، وهي ما تزال متعلقة به. ظلت كذلك إلى أن استقر كلاهما على السرير. ما لبثا أن تعانقا مجدداً، ثم غرقا في بحر من المشاعر الحميمة، التي حملتهما معاً إلى عالم من السعادة. بعدئذٍ غرقت نيل في النوم وهي متعلقة به، أما زاندر فاستلقى إلى جانبها وهو يتساءل كم سينتظر من الوقت قبل أن يوقظها مجدداً. استغل فترة الانتظار ليتذكر النظرات التي ارتسمت على وجوه الرجال العشرة في غرفة المكتب، حين وقف بعد مرور نصف ساعة فقط على استئناف المعركة، فأوقف الاجتماع بأسره فجأة ومن دون مقدمات.

- أعلموني حينما تصبحون مستعدين للتفاوض كالراشدين. حتى ذلك الحين الاجتماع معلق.

لحسن الحظ أن أولئك الرجال لن يعرفوا مطلقاً أن خلف التمويه الحاد الذي أنهى به ذاك الاجتماع، يكمن توق شديد لديه لاحتضان زوجته وجرها إلى سريره... زوجته! هذه المرأة الفاتنة ذات الجمال الخارق التي ما زالت ذراعاها النحيلتان ملتفتين حول عنقه... أطلق زاندر تنهيدة وهو يعلم أنه لا يجدر به أن يستسلم بعد. مع ذلك مد يده، فتناول إحدى يديها وحملها نحو فمه وقبلها...

www.elromancia.com

- ألا تكتفي؟

ردّ زاندر موافقاً: «لا أكتفي منكِ».

تجاوبت نيل معه، ما جعلهما يكرران التجربة العميقة المخدرة بأسرها من جديد.

ذهب زاندر بعد ذلك ليغزو البراد، فعاد حاملاً زجاجة من العصير البارد مع كوبين، ناول أحدهما لنيل وقد ملأه مسبقاً.

- ما هذا؟

سألته نيل ذلك، فيما عبست باتجاه الكوب، فيما أخذ زاندر يزيل السدادة عن الزجاجة. أجابها قائلاً: «المياه المعدنية الفوارة، فالنساء الحوامل لا يشربن الكحول».

علقت نيل قائلة: «وما أدراك أنت؟».

كانت نيل على وشك أن تأخذ رشفة من المياه، لكنها عوضاً عن ذلك وجدت عينيها مسمّرتين على وجه زاندر الذي صار متجمداً كحجر الإسمنت. شهقت متفاجئة: «ما الذي قلته؟».

- تذكرت للتو شيئاً عليّ أن أفعله.

لعله كان يجدر بنيل أن تصغي إلى الصوت الذي انطلق داخل رأسها، ليقول لها إن زاندر يخفي شيئاً ما. لو أنها فعلت، لما حصل ما حصل صباح اليوم التالي، فكان بمثابة صدمة ساحقة.

كان زاندر قد دخل للتو إلى مكتبه، وأخذ يعمل، في حين أن نيل تلكأت وهي تمشي خارج الحمام ملتفّة بمنشفة بيضاء. تذكرت نيل بابتسامة رقيقة أنه كان لطيفاً معها ليلة الأمس إلى حد لا يصدق، وكأن معرفته بأمر الطفل أظهرت فيه مستوى جديداً تماماً من الرقة. ارتعشت عضلاتها، وأخذت تعابير وجهها نظرة بعيدة شاردة. اتجهت نحو حقيبة ملابسها التي وضعها زاندر بكل لباقة واعتبار لوضعها، مفتوحة على خزانة منخفضة بالقرب من النافذة. فكرت مجدداً أن هذا الأمر أيضاً قد يكون مجرد صدفة فقط، وهي وحدها من تتخيل ذلك.

آه... اخرسي! قالت نيل لذاك الجانب التهكمي من طبيعتها. هل

تريدين إفساد الأمر؟ إنهما زوج وزوجته مهما كان الشكل الذي تنظر من خلاله إلى الأمر الآن. هي وزاندر سينجبان طفلاً سوياً، ما يعني بدوره أنهما صارا الآن مرتبطين وملتزمين بعمق تجاه هذا الزواج، لذا تستطيع فانيسا أن تغرب عن وجهيهما، لأن ما من امرأة غيرها سوف تنال من زاندر ما نالته هي. إن طفله الأول ينمو في أحشائها! طفل أمضى زاندر معظم الليل وهو يحاول حمايته ببسط يده برفق فوقه. ما همها إن كان الحمل قد حصل منذ ثلاثة أسابيع، حيث كان زاندر عازماً على تحقيق ذاك الهدف؟

استيقظا هذا الصباح على نهار رمادي بارد. بالرغم من أن الحرارة هنا بدت معتدلة بفعل نظام التدفئة والتبريد الخاص الذي يتحكم بالمناخ الداخلي، إلا أن نيل شعرت بقشعريرة. حقيبة ملابسها تحتوي على مجموعة من التنانير القطنية الخفيفة القصيرة البيضاء إضافة إلى بضع قمصان قطنية من دون ربائط ولا أكمام. أما الخيار الآخر فهو الفستان الفيروزي. أطلقت نيل تنهيدة، وهي تختار بعض الملابس الداخلية. أسقطت المنشفة عن جسمها وارتدتها، ثم ألحقتها بارتداء الفستان الفيروزي. بحثت نيل بعد ذلك عن شيء تغطي به كتفيها الباردتين وذراعيها المصابتين بالقشعريرة. البذلة التي ارتدتها أثناء السفر كانت موضوعة على مسند الكرسي الملاصق للسرير، لكن لم تعجبها فكرة ارتداء السترة المتجعدة بسبب السفر. مشت نيل مندفعة نحو خزانة الملابس، ففتحت الأبواب. تدلّت ملابس زاندر من علاّقاتها وهي مغلفة بالنيلون الشفاف: بذلات العمل الرسمية، بذلات العشاء، القمصان، ربطات العنق. لا شيء هناك يمكنها أن تستعيره ليبقيها دافئة. نقلت بحثها إلى صف الأدراج العميقة داخل الخزانة، فوجدت الجوارب والسراويل الرجالية الداخلية القصيرة والقمصان القطنية البيضاء. أما الغزوة الأخيرة على الدرج الأخير فقدمت لها احتمالات أفضل، حيث وجدت الكنزات الصوفية المصنوعة من أجود أنواع الكشمير. على الأرجح أن هذه الكنزات سوف تغرقها وتبدو

فضفاضة عليها. غاصت أكثر إلى أسفل الدرج لتأخذ كنزة سوداء لاحظتها هناك، فاصطدمت أناملها بالزوايا الحادة لغرض ما. سحبت نيل أناملها وهي تصرخ بنعومة: «آخ!».

تفقدت إصبعها لئلا يكون قد نزف دماً. أخذت بعد ذلك تزيل الكنزات بعبوس وحذر، إلى أن كشفت عن الغرض المذنب. بعد ذلك سقطت كدسة الكنزات الناعمة التي أمسكتها في ثنية ذراعها، ووقعت على الأرض من دون أن تلاحظها. لم تحاول نيل حتى أن ترفع الصورة الفوتوغرافية ذات الإطار التي كشفت عنها. لكنها بكل بساطة حدّقت إلى وجه فانيسا الجميل الباسم، ثم إلى النسخة المصغرة عن زاندر واقفاً وهو يضحك أمام فانيسا، وأخيراً - والأشد إيلاماً- كان قراءتها للإهداء المخربش يدوياً، والذي يقول: «إلى بابا زاندر، مع حبي. أليكس».

إنه ابنه الذي يحمل اسمه...

١٠ - محاولة فاشلة!

رفع زاندر نظره إلى الأعلى ما إن دخل لوك موريل إلى مكتبه حاملاً ملفاً بين يديه. ألقى نظرة واحدة إلى تعابير مساعده الشخصي الوقورة، وتراجع مستنداً إلى الوراء على كرسيه راسماً ابتسامة على وجهه. استفسر زاندر بنبرة جافة: «هل اضطررت إلى مسح الدماء عن الأرض ليلة الأمس بعد مغادرتي؟».

- أنت تعرف مثلي تماماً أن حيلتك الصاعقة يوم أمس أوقعتهم جميعاً على الأرض.

- جيد! دعنا نأمل أن يتعلموا درساً من ذلك.

تمكن زاندر من رسم تكشيرة صغيرة بسبب سرعة بديهة مساعده الذي أعلمه قائلاً: «إنهم يريدون عقد اجتماع آخر اليوم. لعلك تستطيع أن تكون أكثر... صبراً؟».

سأل زاندر: «لأي هدف؟ أنا لا أهوى إنقاذ غرور الآخرين».

فقد زاندر أي أثر للابتسام، فانحنى إلى الأمام مجدداً، وقال: «في الواقع ما كانوا سيرغبون بالاجتماع بي أصلاً لو أنهم قاموا بواجباتهم. ماذا بشأن هذا الملف؟».

مشى لوك نحو زاندر، وبرزت ملامحه المتجهمة بقوة أكبر، إذ قال: «لا علاقة لهذا الملف بعملية الاستيلاء على تلك الشركة. يجدر بي أن أضيف أنك لن تحب هذا، لذا أقترح أن تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تقرأه».

شعر زاندر بالاستياء والفضول معاً. ما إن أوشك على تناول الملف، حتى سمع قرعاً خفيفاً على الباب. كان على وشك أن يحول

www.elromancia.com

انتباهه من الملف نحو الباب، عندما لاحظ إجفال لوك، لذا ضاقت عيناه وبقيتا مسمّرتين حيث هما. لم تعجبه طريقة انغلاق وجه مساعده.

بدأ مقبض الباب يدور، فأُجبر على تحويل انتباهه نحو نيل وهي تخطو داخل الغرفة. عبس زاندر عندما لاحظ أنها ترتدي البذلة الزرقاء التي سافرت بها ليلة الأمس، أما شعرها فمصفف في تلك الجديلة التي لا تعجبه. لكن ما أسره هو وجهها. لم تكن نيل تبتسم، أما الطبقة الخفيفة من التبرج التي تضعها فلم تخفِ شحوب وجهها. سألها زاندر على الفور، وهو يهب واقفاً على قدميه: «ما الخطب؟ هل تشعرين بالمرض؟».

مشى بخطوات واسعة من خلف مكتبه متجهاً نحوها، فيما رمقته نيل بنظرة غريبة، وعادت فأشاحت بنظرها بعيداً عنه. ردت بارتباك، وقد أحست بالقلق لوجود لوك موريل برفقته: «نـ... نعم... لـ... لا!».

- حسناً! أيهما؟

أخذت نيل نفساً متردداً، قبل أن تثبت نظرة عينيها على نقطة ما بين عقدة ربطة عنقه وبين ذقنه. ردت قائلة: «أنا... بخير».

انزلقت نظراتها مرة ثانية نحو لوك الذي يقف جامداً بلا حراك. فهم زاندر التلميح، فأدار جسده الطويل، وأرسل نظرة نافذة الصبر نحو الرجل الآخر، فصرفه قائلاً: «لاحقاً، لوك».

بدا لوك محتاراً بين أخذ الملف معه وبين وضعه على المكتب قبل أن يغادر.

قام زاندر باتخاذ القرار عنه: «دعه!».

بعد لحظة أخرى من التردد، تخلّى لوك عن الملف، وخرج من الغرفة.

عاد زاندر فاستدار نحو نيل ما إن صارا بمفردهما مجدداً، فقال: «حسناً! أخبريني الآن».

بدأ أحد الهواتف البانسة على مكتبه بالرنين، فاستدار زاندر مبتعداً

باعتذار يدل على نفاد الصبر، ثم مشى عائداً نحو المكتب بخطوات واسعة، تاركاً نيل واقفة مكانها وهي مذهولة تشعر بالدوار.

- زاندر...!

انتزع زاندر سماعة الهاتف، فرفعها ثم قال اسمه بنبرة لاذعة. بدا الأمر أشبه بتكرار لما حصل في اليوم السابق. حدقت نيل بهيئته الطويلة النحيلة. لاحظت بيأس أنه يبدو وسيماً جداً. فكرت نيل أنه الرجل الذي يمتلك كل شيء. لم تحس بمثل هذه المرارة التي تشعر بها في هذه اللحظة في أعماقها من قبل. دبّ هذا الإحساس على طول جسدها، وشعرت كأن أنامل جليدية تلامسها، فعلمت فجأة أنه يجدر بها أن تبتعد من هنا... تبتعد عنه، وعن هذا الاحساس التام بالخيانة المطلقة... أن تبتعد عن صوته المخملي العميق الذي أخذ يدغدغ أعماقها، لأنها تحب هذا الصوت حتى وهي تكرهه.

- سوف أخرج!

أعلنت نيل ذلك بهمسة مقطوعة الأنفاس، ثم توجهت نحو الباب الخارجي للمكتب، من دون أن تأبه إن كان زاندر قد سمعها أم لا، ومن دون أن تأبه لاعتراضاته بشأن ذهابها إلى أي مكان من غير أن يسمح لها بذلك. وضع زاندر السماعة، ثم تحرك بسرعة هائلة، حتى إنها بالكاد خطت بضع خطوات قبل أن يمسك برسغها ويديرها حول نفسها. تلك الحركة أعادت الذكريات إليها، إذ تصرّف على النحو نفسه عندما كانا على الجزيرة يوم أمس بالذات. شحُب لون وجه نيل، فيما انتزعت رسغها من يده قائلة: «لا تسئ معاملتي».

أحس زاندر بالصدمة تماماً من السم الظاهر في صوت نيل. هذا ما أظهرته ملامح وجهه المصعوقة. قال بكلام لاذع: «ما خطبكِ؟».

ردّت نيل بحدة: «أنا لست مجرد غرض يمكنك أن تدفعه أو تجرّه حسبما يأخذك مزاجك».

تصلّب زاندر قائلاً: «ما قصدت أبداً...».

قاطعته نيل قائلة: «أنت تظن أنك تمتلك كل شيء فيّ وصولاً حتى

Bookelromance.com

أفكاري. حسناً! أنت لا تفعل».

تنفس زاندر بذهول تام قائلاً: «هذا جنون! منذ ساعة فقط تركت امرأة جميلة ودودة راضية، أما الآن فعادت المرأة الشرسة».

تنازلت نيل بعدم التعليق على ذلك، فهي كانت فعلاً ودودة وراضية. أغواها زاندر بصبر وحذر ولطف، حتى صارت تلك المخلوقة الخاضعة مجدداً، وكرهت نفسها على ذلك.

- لماذا ترتدين الملابس نفسها التي كنت تلبسينها يوم أمس؟

شعرت نيل بالاستغراب. حدّقت نزولاً نحو بذلتها الصيفية الزرقاء. تطلّب منها إجبار نفسها على الرد مجهوداً مؤلماً كي لا تقذفه بالجواب، فهي لم ترغب بإخباره.

- هذا كل ما لدي لألبسه. أياً كان الشخص الذي وضب لي أمتعتي في الجزيرة، فقد اختار لي ملابس ملائمة للمناخ اليوناني، وليس لهذا المناخ، لذا أنا خارجة... كي أتسوق.

قذفت نيل كلامها بتحدٍ. أرجع زاندر رأسه إلى الوراء. عرف ما الذي تقصده نيل. أخذ التوتر يتصاعد داخل صدره، فيما قاوم كي يردع الرفض الغرائزي الذي يكمن في حلقه. أثناء ذلك حدّقت نيل بثبات إلى مكان غير محدد، تكلم زاندر وهو يغلف ذاك الرفض بمهارة بتوسّل أبح غامض، قائلاً: «انتظري! سوف نذهب سوياً. فقط امنحيني بضع ساعات لأحرر نفسي من العمل ويمكننا أن...».

بدأ الهاتف يرن مجدداً، فأدار زاندر رأسه ليرسل إلى الجهاز نظرة غضب، لكن أنامله ارتعشت إلى جانبي جسده. كادت نيل تضحك ساخرة لأنها علمت أنه يتوق للرد على ذاك الاتصال، فأولوياته تتحارب هنا. استدارت نحو الباب مجدداً، ومن خلفها سمعت زاندر يهمس شتيمة ما حول النساء المزعجات.

تنهد زاندر قائلاً:

- هل تحملين مالاً؟.

- لدي بطاقات الاعتماد المصرفية.

إنها تحمل العشرات منها، وكلها تتغذى من حسابات زاندر المصرفية.

أدارت نيل رأسها لتجده قد عاد للتو إلى مكتبه وغطى بيده الهاتف الذي يرن بنغمة حادة. قال بصوت أبح: «لا تطيلي الغياب».

أومأت له نيل وهي تضغط شفتيها على بعضهما كي توقف ارتجافهما، ثم خرجت من الغرفة.

عاد زاندر إلى مكتبه متجاهلاً رنين الهاتف. التقط هاتفه الخليوي عوضاً عن ذلك، وضغط على زر الاتصال السريع، ثم أعطى تعليماته قائلاً: «زوجتي مغادرة الآن. احرصوا على حمايتها».

أخيراً توقف الهاتف عن الرنين، فقوّم زاندر كتفيه وهو يشعر بالتململ الداخلي. لفت انتباهه الملف الذي كان لوك قد أحضره. تذكر كلمات مساعده الشخصي المتجهمة التحذيرية، فجلس واستنشق النفس العميق الذي نُصح به، وهو يهمّ بالجلوس. جمد في مكانه وهو يفتح الصفحة الأولى فقط. لم يطلق أنفاسه حتى تفحص الصفحات الموضوعة أمامه. بعدما أنهى زاندر ذلك، أحس أنه بارد كالميت.

تغيبت نيل لثلاث ساعات، وخلال ذلك الوقت بقي زاندر مطلعاً على كل خطوة تقوم بها. ظل طيلة مدة غيابها متجهماً بارداً، فيما وجهه مشدود بنبض الغضب الحارق. خارج جدران مكتبه الأربعة كان موظفوه يقومون بتنفيذ سلسلة من التعليمات، بينما جلس زاندر بانعزال وتجهم، بعد أن أوقف كل اتصالاته واجتماعاته وكل شيء باستثناء هاتفه الخليوي مع جايك ماثر المسؤول عن مراقبة نيل. انضم إلى جايك رجاله الآخرون، بينما أخذ أحدهم يتتبع الاتصال الهاتفي الذي أجرته من الهاتف العمومي. عرف زاندر أن اسم مارسيل دوبوا على وشك أن يذكر على مسمعه. وهذا ما حصل!

صرخ زاندر بجايك ماثر: «أين هي الآن؟».

- لأكون صادقاً يا رئيسي، أظنها في طريق العودة إليك.

أحس زاندر بالرضى، عندما وصل صوت جايك إلى أذنه وهو

يقول: «إنها تستدير نحو الشارع الآن...».

نهض زاندر عن كرسيه، ووقف قرب النافذة قبل أن تخرج آخر كلمة من فم حارسه الشخصي. صدمه شيء ما بقوة في صدره عندما لاحظ أن شعر نيل الأشقر المشرق اللامع منسدل حول وجهها وكتفيها، ولم يعد مضموماً بترتيب في الجديلة التي رآها من قبل. بدت نيل غاضبة. جيد! فهو أيضاً غاضب. كانت نيل تحمل الأكياس السوداء والصفراء المميزة الخاصة بمتجر سيلفريدج، والمحمّلة بمشترياتها الكثيرة. كانت قد غيرت ملابسها أيضاً، فقد خلعت بذلتها الصيفية الزرقاء، وارتدت الجينز الضيق ذا الماركة الشهيرة، إضافة إلى سترة بنية بقيت مفتوحة فوق قميص بلون القشدة لبستها تحتها. إذ كانت نيل قد تعمدت اختيار هذه الملابس حتى تجعله يقف ويلاحظها، فهي حققت مرادها تماماً، لأنه يراها الآن تماماً مثلما رآها في المرة الأولى حين دخلت عبر الباب الأمامي لمنزل والدها. يومها بدت همجية، وقد نثر الهواء شعرها بغير ترتيب.

أقفل زاندر زر قبة قميصه ثم رتب ربطة عنقه، وجلس إلى مكتبه، بعد أن سرّح شعره بأنامله، فصار جاهزاً لاستقبالها. دفعت نيل الباب ففتحته، ثم خطت داخل الغرفة، وقد أومضت عيناها الخضراوان كعاصفتين زمرديتين. صفقت الباب خلفها، وأسقطت الأكياس على الأرض، ثم وجهت سهام عينيها نحو زاندر، الذي يتأرجح بشكل لا مبالٍ في كرسيه خلف مكتبه، فيما بدا مرتباً تماماً كما كان حين تركته منذ ساعات... وبالطبع كان الهاتف بملاصقة أذنه.

وصل سخط نيل إلى نقطة الغليان إذ زعقت قائلة: «هل تود أن تفسر لي من أين بحق الجحيم تأتي بغرورك البارد، الذي يدفعك إلى الاعتقاد بأنك تمتلك حياتي؟».

لم يوجه زاندر لنيل ولو ومضة من الجواب، لكنه غمغم بضع كلمات باللغة الإيطالية في سماعة الهاتف، ثم أعادها برفق إلى مكانها، قبل أن يقول: «قبل أن تبدأي، سوف تفسرين لي لماذا

احتجت إلى تمضية ثلاثين دقيقة في الحمام المخصص للنساء في متاجر سيلفريدج. هل شعرت بالمرض مجدداً؟».

أحست نيل كما لو أن الجليد يسيل فجأة نزولاً على عمودها الفقري، فشهقت قائلة: «كم عدد الذين كانوا يراقبونني؟».

قدم لها زاندر الرد قائلاً: «سبعة رجال، بمن فيهم جايك ماثر، الذي أفترض أنك لاحظته على الفور، لأنني لم أعطه تعليماتي بأن يختبئ».

قالت نيل بضيق: «حاول أن يمنعني من استخدام الهاتف العمومي».

مدّ زاندر يده بهدوء تام، فتناول الهاتف، وقدّمه لنيل قائلاً: «جربي هذا الهاتف. جميع المكالمات هنا مجانية».

وجهت له نيل بعينيها الخضراوين نظرة ذابلة، فاتهمته قائلة: «لا تكن كريهاً إلى هذا الحد. لا يحق لك أن تطلب منهم ملاحقتي، وتتبعي وحراستي كما لو كنت مجرد...».

اقترح زاندر متابعاً حين فشلت بإيجاد الكلام المناسب، فقال: «...زوجة غير جديرة بالثقة!».

هاجمته نيل قائلة: «هذا كلام مبالغ فيه بما أنه يخرج من أكثر الأنذال خداعاً وانحرافاً!».

فهبّ واقفاً على قدميه، قائلاً: «"آه! التقيتِ من هو أسوأ مني، عزيزتي. هل كنت ستهجرينني لأجله مجدداً؟».

استطاعت أن تشعر بالغضب يرتد عنه، أما زاندر فزمجر قائلاً: «لدى حصولك على أول فرصة قمت بالاتصال به».

تابع يقول وهو يلوح بيده بشكل يدل على الكره: «أنت تسقمينني. أنا لا أرغب حتى بأن أنظر إليكِ».

هزت نيل رأسها بسخط شديد قائلة: «كيف تجرؤ على مخاطبتي على هذا النحو؟».

حمل زاندر المغلف الموضوع على مكتبه، ولوّح لها به، ثم أسقطه

مجدداً. أعلمها قائلاً: «هذا تقرير الشرطة حول الحادث الذي تعرضتِ له. يمكنك أن تقرأيه إذا شئتِ».

لكن نيل لم ترغب بذلك. بدأت تمشي بخطوات واسعة عبر مكتب زاندر، فدفعت الأبواب وفتحتها لتدخل إلى شقته. رشقها زاندر بكلامه قائلاً: «لم تكوني أنت من يقود تلك السيارة، فالكدمات التي خلّفها حزام الأمان بزاوية معاكسة تثبت ذلك! كنتِ تجلسين في المقعد الأيسر وليس الأيمن. لو أنني اعتدت أن أقود السيارة في إنكلترا مرّات أكثر، لأدركت ذلك حالما وقعت عيناي على كدماتك!».

بدا وجه نيل شاحباً، فيما أطبقت شفتاها سوياً في خط يدل على المقت. مشت من دون أي تمهّل في خطواتها ففتحت البابين التاليين، وهي تدرك أن زاندر يلحق بها. تفوه زاندر بكلام لاذع من مدخل باب غرفة النوم، إذ قال: «إنك مغرمة جداً بذاك الرجل إلى درجة أنك لم تطلعي أحداً على تلك الحقيقة! كنت تحمينه من تلقي اللوم، على الرغم من أن الجبان الخسيس انسلّ مبتعداً عن مسرح الحادث فتركك مستلقية هناك وأنت جريحة وبحاجة ماسة إلى المساعدة!».

أثناء قيام زاندر بقذف الاتهامات نحوها، فتحت نيل بابي الخزانة بحدة، ثم سحبت درج كنزاته الصوفية وفتحته. راحت ترمي كنزات الكشمير الناعمة بعشوائية. لو أن زاندر كان في حالة عقلية أكثر اتزاناً، لأدرك مسبقاً ما هي على وشك أن ترميه به، لكن ما حصل هو أنه مشى إلى الأمام بخطى واسعة وهو يقبض على المغلف بين يديه. استدارت نيل نحوه، وصحت له قائلة: «هو لم ينسل هارباً. أنا أرسلته بعيداً. حميته منك ومن عصابتك، ومما قد تفعله به».

بدا من الجميل جداً أن تراقب أنفاسه تتجمد، وهو يلاحظ تعابير الازدراء الجليدي على وجهها.

بدا كلام زاندر خشناً وهو يقول: «ألأنك تحبينه؟».

بالطبع! لِمَ عساها تنكر ذلك؟ قالت: «بالطريقة نفسها التي تحمي بها عائلتك... لأنك تحبها».

مرّت نبرة نيل التهكمية مرور الكرام على سمع زاندر، فقال: «أنتِ هي عائلتي».

- لا... بل هذه هي عائلتك زاندر!

قالت نيل ذلك بهدوء فيما وضعت الصورة ذات الإطار على السرير، وتابعت: «لا أعلم لما لم تتزوج بفانيسا، فتمنحها وتمنح ذاك الصبي الصغير الحق بحمل اسمك. يبدو أنه يحبك ك... كثيراً».

استنشقت نيل نفساً مخنوقاً مريعاً، وتابعت: «لا تجرؤ أبداً من جديد أن تشير إلي بكوني عائلتك، لأنني لست كذلك... بل هما كذلك. أظن أن الأوان حان لتصحح أولوياتك، وتعمل بها».

بدا كأن زاندر يواجه صعوبة في استيعاب ما تقوله، أما نيل فحدقت إلى الأعلى نحو وجهه الشاحب المشدود الخالي من التعابير، فيما انتظرت نوعاً من الإجابات. لكن جل ما رأته هو أن نظرات زاندر انتقلت من وجهها الشاحب نحو الكنزات المبعثرة على الأرض. تحرك هذا الأخير ببطء متجهاً نحو السرير، ما إن بدأ الفهم يشرق عليه.

- يمكنني أن أفسر هذا...

هزّت نيل رأسها قائلة: «لا! بل فسر لهما لِما تجرأت على الزواج بي!».

انفجر زاندر مجدداً عائداً إلى الحياة، فقال: «لكن هذا جنون! يمكنني أن أفسر هذا...».

صرخت نيل بوجهه قائلة:

لكنني لا أريد أن أسمع!

أخذت عيناه الآن تومضان باللون الأسود الساخط، فرمى المغلف الذي يحمله فوق السرير، فيما اتجه نحوها. استقر الملف مباشرة فوق الصورة كما لاحظت نيل بإجفال.

هزّت نيل رأسها متهمة إياه: «أنت فعلت ذلك متعمداً».

لم يزعج زاندر نفسه حتى بإنكار ذلك، إذ جرش على أسنانه قائلاً: «أنا أود أن أعلم، كيف تمكنت من تحويل هذا إلى شجار حولهما بدلاً

من أن يكون شجاراً بخصوص عشيقك اللعين!»

لم تكن نيل مصغية فقالت: «أنا أكرهك! كيف أمكنك أن تفعل هذا بذلك الصبي الصغير المسكين؟».

قبض زاندر على كتفيها، ثم جذبها بقوة إلى صدره قائلاً: «اصغي إلي عندما أتكلم. أمرهما لا يهمني. أنتِ... ورجلك الفرنسي تهمانني!».

- إنه ليس... فرنسياً، بل... كندي.

تلعثمت نيل بذلك، وهي ما تزال تحدق إلى أسلوب تغطيته للصورة. تابعت: «إنه أيضاً...».

- كندي...؟!

كرّر زاندر كلامها كما لو أن الكثير من الأمور اتضحت أمامه. زمجر بسخط قائلاً لنفسه: «أيها الغبي الأبله، باسكاليس!».

وتابع: «ما الذي فعلتماه أنتما الاثنان... هل مارستما الحب على الجبل، فيما كانت والدتكِ على فراش موتها تحتضر؟».

صفعة يد نيل التي استقرت على وجه زاندر أطلقت صدى يشبه لسع السوط، تردد في أرجاء الغرفة. وقفت نيل محتجزة بين قبضتي زاندر الحديديتين الصلبتين. سادت لحظة مريعة من الصمت، فيما حدقت بعينيه السوداوين متخيلة أنه سيرد لها الصاع صاعين.

أفلتها زاندر بعد ذلك، وتراجع خطوة إلى الوراء. في اللحظة التي فعل فيها زاندر ذلك، بدأت نيل ترتعد. هزّتها قشعريرة باردة، ما جعلها ترفع ذراعيها إلى الأعلى لتعانق جسدها.

استنشقت نيل نفساً بطيئاً، وقالت: «قبل أن تقول... ما قلته، كنت على وشك أن أقول... مارسيل ليس...».

تشدّق زاندر بوقاحة قائلاً: «حسناً! أعلم أنه لم يتذوق الطبق الرئيسي عزيزتي، لكن العلاقة الغرامية قد تكون أكثر من...».

قذفته نيل بكلامها قائلة: «إنه أخي، أيها الوحش القذر التفكير!».

انتفضت قامته، ثم قال: «يا إلهي! تلك مزحة... أليس كذلك؟».

بعد أن حدّق بوجهها الغاضب، تنفس زاندر مجدداً قائلاً: «يا إلهي! إنك جدية».

أوضحت نيل بصوت مرتعش: «أخ... غير شقيق».

استدار زاندر بعنف نحوها، فرفع يده وقبض على مؤخرة عنقه.

- كان يجدر بك أن تخبريني بذلك.

تهدج صوت نيل وهي تقول: «لماذا؟».

استدار زاندر حول نفسه ليرشقها بنظرة اخترقتها كالسهام، وقال: «لماذا...؟ لم أكن أعرف حتى أن لديك أخ! ألا تظنين أن أمراً مماثلاً كان يستحق أن يتم ذكره في وقت ما خلال السنة الماضية؟».

زعقت نيل قائلة: «لو كنت تهتم لأمري بما فيه الكفاية كي ترغب بمعرفة الأمور عني، لاكتشفت الأمر! على أي حال...».

استنشقت نفساً عميقاً، وقالت: «...استمتعت بمراقبتك تتلوى. كان هذا تغييراً ممتعاً بدلاً من أن أتلوى أنا فقط».

طالبها زاندر بتصلب قائلاً: «ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟».

أحست نيل بالدموع تهددها فجأة بالانهمار. فقالت: «كنت مغرمة بك حين طلبت مني الزواج. لا أظنك لاحظت ذلك أبداً، ولا اهتممت للأمر!».

رد زاندر قائلاً: «بل اهتممت».

- اهتممت كثيراً إلى درجة أنك كنت برفقة عشيقتك قبل أسبوع من زواجك بي! والآن اكتشفت أنها أنجبت لك طفلاً!.

أصبح وجه زاندر أبيض الآن، فقال: «لا! اصغي إلي...!».

تقدم خطوة واحدة نحوها، وهو يمد لها إحدى يديه، لكن نيل تراجعت إلى الوراء.

هزّت نيل رأسها معترفة: «أنا كـ...كنت سأهجرك اليوم لولا أن رجالك تتبعوا كل خطواتي، كنت سأختفي وما كنت ستجدني».

انتفض فك زاندر بأسلوب جعل نيل تتساءل إن كان يقمع رغبته بالجدال معها حول ذلك الموضوع.

www.elromancia.com

- أنت تتلاعب بالناس، زاندر. إنك تحب أن تكون مسيطراً، وحين لا تكون كذلك، تتصرف كما لو أنه لا يحق لنا أن نردعك! شاهدتك تفعل ذلك مع أمك، كما فعلت ذلك مع أولئك الرجال العشرة ليلة أمس. إنك دوماً تفعل هذا معي أنا، وفعلت ذلك اليوم حين أطلقت كلابك لملاحقتي. . . .

- أنت قلتها بنفسك، كنت تنوين الهرب والاختفاء.

- ذاك كان خياري أنا!

انطلقت نيل تهاجمه، وأحست بالدموع التي بدأت بالتسلل إلى عينيها، كما اضطرت إلى رفع أناملها إلى الأعلى كي تغطي فمها المرتعش. وفي الوقت نفسه ارتفعت يدها الأخرى إلى معدتها لأنها بدأت تشعر بنوع من الألم الممزوج بالارتعاش والقلق.

- نيل. . . !

غطت نيل فمها بإحدى يديها، أما يدها الأخرى فوضعتها على معدتها، وبدأت تستدير مبتعدة. أسرعت متجهة إلى الحمام، ولم تكن لديها أدنى فكرة أن زاندر كان خلفها تماماً، لذا تلقى هذا الأخير بقوة صفعة الباب مباشرة في وجهه.

١١ - حب على الورق

وقف زاندر مكانه فقط لبضع لحظات، فيما استقر الباب الخشبي على قيد أنملة من وجهه. استدار إلى الناحية الأخرى، وهو ما يزال يدور في دوامة بسبب تلك الأمور التي قذفته بها نيل. أخوها غير الشقيق!.

اتجهت عيناه نحو السرير والمغلف الموضوع عليه، فذهب إلى هناك وانتزعه بقوة. اعترته رغبة قوية بأن يقذف ذاك الملف اللعين عبر الغرفة، لكنه شاهد إطار الصورة الذي ظهر تحت الملف فتجمّد مكانه. حدق نزولاً نحو فانيسا الجميلة الباسمة وأليكس الضاحك. قرأ العبارة: «إلى بابا زاندر، مع حبي. أليكس».

فانطلقت من حلقه أغرب أنواع الضحكات.

سُمع من خلف باب الحمام صوت تقيؤ، فأسقط زاندر الملف، ومشى بخطوات واسعة عائداً إلى المكان الذي جاء منه. ما انفك الاحساس بالذنب يوجه له اللكمة التي يستحقها في أحشائه، لأنه سمح لنفسه بتناسي وضعها الدقيق، فيما كانا يتشاجران كالهر والفأرة.

أحست نيل بوصول زاندر فيما كانت ترتعد، فتجمدت. قالت له وهي تئن: «ارحل!».

لكن الكلام وحده كان كفيلاً بجعلها تتقيأ من جديد. سرعان ما سيطر زاندر على الموقف بفعالية صامتة متجهمة، كما فعل حين كانا على الطريق في اليوم السابق. عندما انتهى الأمر أخيراً، شطفت نيل فمها بغسول للفم، فرفع زاندر جسدها المنهك المرتخي بين ذراعيه، أما هي فما عادت تمتلك القوة لتقاومه. همست: «أنا أكرهك!».

www.elromancia.com

لم يجبها زاندر، بل مد يده نزولاً كي يقذف الأغطية إلى الوراء قبل أن ينزلها برفق على السرير. بعدئذٍ تراجع إلى الوراء، وبدأ بنزع سترته. خلعها وألحق بها ربطة عنقه. شهقت نيل بارتعاب مرتعش قائلة: «إياك أن تجرؤ!».

زمجر زاندر قائلاً: «لا تكوني غبية! قد أكون محباً للسيطرة لكنني لست متوحشاً».

خلع حذاءه، وتمدّد إلى جانبها، ثم جذبها مع اللحاف بين ذراعيه. تكورت نيل بملاصقة جسده، وانفجرت باكية. ضغطت رأسها على صدر زاندر، وأخذت تنشج وتخرج مكنونات قلبها. بدا كما لو أن كل أمر مؤلم فعله زاندر خرج الآن من أعماقها من خلال هذه الدموع. لقد أحبته، ثم اكتشفت بالطريقة المؤلمة أن الحب أعمى! لو أن مارسيل لم يرسل لها بشكل طارئ تلك الرسالة الإلكترونية المأخوذة من صفحة في أحدى الصحف الأميركية المخصصة للإشاعات، لظلت غافلة تماماً عما يدور حولها.

- ك... كان علي أن أتزوجك. خشية أن تنسحب... من الاتفاق الذي أجريته مع والدي.

قال زاندر وهو يشبك أنامله في شعرها، ويضغط بها بملاصقة صدره: «صه!».

- شعرت كأنني طفلة في مشهد درامي... وقد تم بيعي إلى الرجل الخليع العديم المبادئ...

أمضت نيل السنة الماضية وهي تفكر بما كان ليحصل لو أنها بقيت عمياء جاهلة. تابعت: «أراد مارسيل أن يأتي ليأخذني معه، لكنني لم أسمح له. لعبت دور العروس الطفلة في المشهد الدرامي على أمل أنك سوف تأتي إلي يوماً، وتدرك أنك واقع في حبي بجنون، لكنك لم تفعل».

- أنت نظرتِ إلي باعتباري نذلاً مهووساً، لكنكِ كنت بريئة جداً وساذجة إلى درجة أنه لم يكن لديكِ أدنى فكرة عما يدور حولك. كنت

أحاول أن أحميكِ إلى حين...

- ... مرحلة دخول البطل إلى المسرح.

سخرت نيل ثم تابعت قائلة: «إنه يقوم مباشرة في الوقت الملائم بإنقاذ الفتاة البريئة البلهاء من الشاب البشع ذي الشفتين الغليظتين».

تحدته قائلة: «أليس لديك ما تقوله؟».

قال زاندر: «لن أرد على اتهاماتك وأنت في هذا الوضع البائس».

أطلق تنهيدة عندما تجمعت دموع جديدة في عينيها. تحرك وجذبها مجدداً كي تعود إلى ذراعيه. حثّها بصوت أبح قائلاً: «أخبريني عن أخيك غير الشقيق».

- إنه الابن الذي أراده أبي من أمي، لكنه لم يحصل عليه قط.

- إذاً هو أصغر منك سناً؟

أومأت نيل إيجاباً وتابعت: «تسعة عشر عاماً. إنه يعيش مع والده في بانف».

- كنت تعيسة في زواجك مني. وكنت بحاجة إلى من تشكين إليه همومك، فاتصلتِ به هاتفياً.

أومأت نيل من جديد، وفاتها أن تلاحظ إجفال زاندر، إذ قالت: «عرفت أنه يحبني، لكنني لم أتوقع منه أن يصعد على متن أول طائرة متجهة إلى إنكلترا كي يجيء لتصفية الأمور معك. لم تكن لديه أدنى فكرة عن الرجل الذي يتعامل معه. على أي حال رفض هيوغو فانس إدخاله إلى المنزل».

- لِمَ فعل ذلك؟ إذا كان أخاك، فهو بالطبع مرحب به في منزلنا!

استقامت نيل في جلوسها، ثم قالت: «لم يكن اسم مارسيل مدوناً على قائمة الأشخاص الذين تسمح لهم بدخول المنزل. لعله في التاسعة عشرة من عمره فقط، لكنه يبدو أكبر سناً، لأنه ضخم البنية وطوله يبلغ للتو ست أقدام وثلاثة إنشات. هو رياضي بارع. إنه يستطيع التجذيف مثلك في المياه الهائجة في الأنهر بشكل لا تستطيع تصديقه».

www.elromancia.com

- أنت فخورة به.

بدا الأمر بسيطاً جداً وواضحاً. قالت نيل: «نعم. أظن أن هيوغو فانس رأى فيه مصدر تهديد».

- لكنك ووالدك لم تذكرا اسمه أمامي مطلقاً.

- والدي يرفض أن يتم ذكر اسمه، لأنه يلوم مارسيل على هجر زوجته له، وأنا اعتدت عدم ذكر اسمه مطلقاً أمامه. أما أنا وأنت، فلم تصل علاقتنا إلى مستوى يشجع تشاطر الأسرار بيننا.

تلا كلامها صمت قصير، أما زاندر فأغرق نفسه في الأفكار المعمقة. ثم غمغم قائلاً: «يا لسخرية القدر!».

لم تجد نيل أن هنالك شيئاً يدعو للسخرية في ما قيل. سألها زاندر فجأة: «لِمَ كان هو من يقود سيارتك؟».

اللعنة! لن تقرّ لزاندر أنها حالما فرّت من روزمير أحست بتغيير غبي مفاجئ في رأيها، ثم شعرت بالارتباك، ولهذا السبب اضطر مارسيل لأن يقود السيارة لأنها لم تكن في حالة تسمح لها بذلك. حرّكت نيل قليلاً كتفيها، وقالت: «لأنني سمحت له بذلك».

- حسناً...!

قالها زاندر بصبر بطيء جداً فعلمت نيل أنها تغيظه. بعدئذٍ قال: «فسّري لي إذاً، لماذا هرب من موقع الحادث ما دام يحب لعب دور البطل».

أجابت وهي تستدير بغضب نحوه: «لم يهرب... ولا تجرؤ على التكلم عن مارسيل بتلك النبرة السيئة!».

قال زاندر بفظاظة: «الآن أعرف سبب شعوري بالغيرة منه».

أشاحت نيل بنظرها مجدداً، وأقرت بحقد: «ليس مرخصاً له أن يقود السيارة في هذا البلد. عندما فقد سيطرته على السيارة عند المنعطف ظننت أننا سوف نموت...».

وصلت يد زاندر إلى أسفل ظهرها، وأخذت تربت عليه بضربات خفيفة. هزت نيل رأسها وأردفت: «مارسيل لم يكن يضع حزام

الأمان، لكن عندما قُذف خارج السيارة، بالكاد كان يعاني من أي خدش».

وتابعت: «عندما أدركت أن حالتي سيئة بعد الحادث، شعرت بالخوف عليه. أقنعته بأن يحملني إلى مقعد السائق، ثم توسلته أن يغادر. لكنه رفض الرحيل. بدا منزعجاً وغاضباً من نفسه وخائفاً علي... لم أره قط يافعاً وعديم الحيلة إلى هذه الدرجة...».

فرك زاندر يده مجدداً على ظهرها، فارتعشت نيل متنهدة، وابتلعت دموعاً جديدة. بعدئذٍ تابعت: «استخدم هاتفي الخلوي ليطلب سيارة الإسعاف، وبقي إلى جانبي حتى سمعناها تصل. اختبأ بعد ذلك في الغابة إلى أن صرتُ آمنة داخل سيارة الإسعاف. شعرت بالقلق عليه، فطلبت من إحدى الممرضات في المستشفى أن تتصل به على هاتفه النقال كي تطمئنه أنني على ما يرام».

- أحقاً؟

قذفته نيل بكلامها قائلة: «لا تبدُ متفاجئاً جداً. أعرف كيف أنفذ ما أرغب به عندما أحتاج إلى ذلك».

استفسر زاندر: «أين كان يقيم؟ طلبت أن يتم البحث في كل فندق على مسافة أميال بحثاً عنه، لكنهم لم يجدوا له أي أثر!».

- كان يحمل حقيبة على ظهره، فخيم في حقول أحد المزارعين.

أفلت زاندر يده عن ظهر نيل، وقال: «ياله من نموذج يحتذى به».

إنه فعلاً يشعر بالغيرة. أطلق زاندر إحدى تنهيداته المعهودة، وحاول أن يعود فيجذبها نحوه، لكن نيل رفضت. أعلنت قائلة: «أريد الذهاب إلى روزمير».

- أنا أريدك هنا معي.

قالها زاندر بنبرة هادئة لكن بجدية فتاكة. استدارت نيل لتنظر إليه، فوجدت عيناه اللامعتان تجولان فوقها باعثة رسائل وقحة نحوها. هذا ليس عدلاً! أشاحت بنظرها مجدداً إذ بدأت سلسلة جديدة من الأحاسيس الضعيفة باكتساحها. قالت: «سأبقى متزوجة بك إلى أن

www.elromancia.com

يولد الطفل، لكن بعد ذلك سأحصل على الطلاق».

- أنت على وشك أن تبدأي بالبكاء مجدداً.

بالفعل عادت تلك الدموع بقوة أكبر، فنشجت نيل قائلة: «لا أبدو قادرة على إيقافها».

- تعالي إلى هنا. إنكِ فقط بحاجة إلى بعض الحب والعناية اللطيفة الآن بالذات.

هذه المرة رفض زاندر أن يتقبل الرفض، لذا استقرت نيل في طية ذراعه.

- أخبريني ما سبب الاتصال الهاتفي الذي أجريته اليوم مع مارسيل إلى باريس.

- إنه يقيم مع الجانب الفرنسي من عائلته. علمتُ أنه كان سيستقل الطائرة إلى بانف اليوم، لذا أردتُ أن أطمئنه أنني على ما يرام قبل مغادرته.

تشدق زاندر قائلاً: «كنت لأود أن أستمع إلى تلك المكالمة».

لقد علم الوحش! علم أنها أقنعت مارسيل أنها مغرمة بزوجها، وأنها تتمتع بحب مجيد وسعيد في زواجها.

حثّه نيل قائلة: «ظننت أن لديك اجتماعات لتهتم بها».

- أنا أهتم بك أكثر.

أحكم زاندر قبضته أكثر على يد نيل، ثم استدار ليسمّرها على السرير. غمغم بصوت أبح: «ألست أنا المهووس بالسيطرة؟ اخضعي للسيطرة إذاً، أو راقبيني وأنا أغتاظ وأغضب».

التقت عيناها الخضراوان بعينيه السوداوين الساخرتين. بدا رائعاً، مذهلاً، لا يقاوم حين عانقها...

قالت نيل: «لا، لا أريد...».

أسكتها زاندر بعناق شتت بقية كلامها. بعدئذٍ ازداد عناقه عمقاً، ما جعل نيل تتلوى. ثم أطلقت تنهيدة مرتعشة وحركت أناملها فوق القميص القطنية البيضاء الباردة، وصولاً نحو كتفيه وعنقه. كان قلب

زاندر يدق بقوة تماماً كقلبها. فتحت عينيها لترى النظرة الخشنة الدالة على الشغف النهم على وجهه. أسرّت له نيل بهمسة حزينة صغيرة قائلة: «لا أريد أن أحبك إلى هذه الدرجة».

عندئذٍ فقد زاندر السيطرة على نفسه... لم تعرفه نيل أبداً على هذا النحو المتكامل، حيث اتضح الفارق بين العاشق اللطيف الرقيق، وبين الرجل الهمجي. كان هذا الاكتشاف الجديد مذهلاً. جل ما استطاعت نيل أن تفعله هو أن تتعلق بحبال الحياة، فيما قادهما زاندر سوياً إلى الهاوية في علاقة همجية حامية.

لم تتذكر نيل أي شيء آخر إلى أن استيقظت بعد وقت طويل، فوجدت نفسها وحيدة في السرير. تقلصت معدتها لمعرفتها أنها سمحت لزاندر مجدداً أن يقتطع ما تبقى لها من عزة نفسها، إذ سمحت له أن يجعلها طيعة بين يديه إلى درجة جعلتها تقر له بالهفوات التي ارتكبتها، بينما أفلت هو من دون أن يعترف بأي شيء بخصوص عشيقته وابنه!

ابنه...! بدأت الدموع تخز عينيها. انقلبت نيل على ظهرها، وحدقت نحو السقف وهي تحاول جاهدة أن تكبح الدموع التي تهدد بالطوفان. كيف يمكنها أن تسمح له أن يفعل هذا بها؟ كيف يمكنها أن تستمر بالسماح له بذلك؟ يجدر بها أن تبتعد عنه. علمت نيل ذلك الآن، لأنها لا تقوى على مقاومة هذا التفوق الذي يمتلكه.

رفعت نيل إحدى ذراعيها إلى الأعلى كي تغطي عينيها الدامعتين الغبيتين، لكنها ما إن حركت أناملها على الوسادة حتى لامست شيئاً ما، فاستدارت ولاحظت قطعة ورق مثنية وموضوعة على الوسادة الفارغة إلى جانب رأسها. رفعت نيل الورقة وراحت تحدق بها.

إنها تخشى قراءة الورقة. إنها خائفة فعلاً، لأن زاندر لم يفعل مطلقاً أمراً مماثلاً من قبل. جل ما استطاعت أن تفكر به، هو أن للأمر علاقة ما بفانيسا وذاك الصبي الصغير.

أجبرت نيل نفسها على فتح الورقة فيما راح فمها يرتعش.

www.elromancia.com

«أنا أحبك». هذا ما قرأته فيها. لا شيء باهر، لا قلوب ولا ورود، بل فقط هاتان الكلمتان المدونتان بقلم الحبر الأسود العريض.

كورت جسمها على شكل كرة مشدودة تحت اللحاف، وبكت على سجيتها بينما ضغطت بالورقة فوق صدرها.

بذلت نيل مجهوداً حتى تأخذ حماماً وترتدي ملابسها. فهي كانت تختلج وتتألم وترتعش كثيراً. ارتدت سروال الجينز مع القميص ذات اللون القشدي نفسيهما، كما مشّطت شعرها. بعد ذلك دفعت باب غرفة النوم لتفتحه بنية الذهاب إلى المطبخ، كي تعدّ لنفسها شراباً مقوّياً...

كان أحد الأبواب المؤدية إلى مكتب زاندر قد تُرك مفتوحاً على مصراعيه، أما أول ما صدمها فهو سماع صوت زاندر يصرخ على شخص ما باللغة الإيطالية. قادتها قدماها نحو الباب المفتوح، فرأت زاندر مرتدياً إحدى بذلات العمل الرسمية الغامقة اللون.

بدا زاندر رائعاً تماماً بمقدار ما هو غاضب، فهو مفعم بالرجولة والقوة والصلابة بسبب الخطوط التي تبرز عضلاته الرشيقة. إنه يولّد فيها إحساساً بدائياً مطلق الجاذبية، لدرجة أن الأنفاس أخذت تداعب صدرها فجعلت قدميها تتوقفان عن السير، وقد غمرها إحساس بالحب العديم الحيلة.

لِمَ هو؟ سألت نيل نفسها بألم. لِمَ وقعت في حب رجل مثله؟ لِمَ ترك زاندر ملاحظة مدونة على ورقة فوق وسادتها، تحمل الكلام الذي لم يتفوه به مرة واحدة وجهاً لوجه؟ أهو الشعور بالذنب؟ الندم؟ لم يكن بمقدورها أن تصدق هذه الكلمات. كيف يمكنها أن تصدقها في حين أن فانيسا وذاك الصبي الصغير المسكين يقفان في دربهما؟

همّت نيل بالانعطاف، كي تنسل بعيداً عن الأنظار قبل أن يراها زاندر، لأنها بكل بساطة ليست جاهزة لتواجهه. لكنها ما إن أرادت أن تتحرك حتى تكلم صوت آخر بغضب، فأحست أن قلبها يغوص في مكانه. في البداية ظنت نيل أنه يتكلم عبر الهاتف! لعلها تفوهت

بالضحكة الصغيرة المكبوتة التي أحست بها عالقة في حلقها، لأن رأس زاندر استدار نحوها على الفور.

- نيل...!

قالها زاندر بصوت خشن قاسٍ أطلق قشعريرة نزولاً على عمودها الفقري، فيما نيل تحاول الهروب من هذا الأمر.

- لا، لا تذهبي...!

كان زاندر للتو قد مشى بخطوات واسعة حول المكتب، بينما كانت نيل ما تزال تحوم بتردد، فمشت بضع خطوات نحو غرفة الجلوس. سمعت صوت خطوات زاندر السريعة، وما لبث أن قبض بيده على ذراعها. حاول زاندر أن يديرها نحوه لكن عندما ثبتت نيل عقبيها، خطا زاندر من حولها فتناول الذراع الأخرى، فثبّتها أمامه. استطاعت نيل أن تشعر بتوتره وبالغضب الذي يغلي على مهل في أعماقه.

قال: «انظري إلي!».

بدا من المستحيل أن تنظر إليه، لذا حدقت بعقدة ربطة عنقه بدلاً من ذلك.

ارتخت أنامل زاندر، ثم بدأت تنزلق صعوداً، فوصلت إلى كتفي نيل. استخدم أنامله ليجذبها حتى تدنو منه أكثر. لم يتطلب الأمر سوى مداعبة خفيفة من إبهامه تحت ذقنها حتى رفعته.

مجدداً أخذت الأنفاس تداعب صدرها. كان التوتر يلفّ وجهه، فبدا مشدوداً، فيما التمع الغضب الذي يغلي على مهل في عينيه السوداوين. قال بوحشية: «أعرف ما الذي تفكرين به، لكن لا أريدك أن تفكري. أريدك أن تبقي هادئة لأجلنا معاً. ثقي بي، عزيزتي. يمكنني أن أفسر لك...».

- بواسطة ملاحظات صغيرة مدونة على ورقات صغيرة على الوسائد؟

خرج الكلام من فم نيل قبل أن تتمكن من وقفه. أشار زاندر قائلاً: «الملاحظات الصغيرة المتروكة على الوسائد يمكن قراءتها وإعادة

www.elromancia.com

قراءتها. لو أنني قلت تلك الكلمات بصوت مرتفع، فقد تبتلعها المشادات العديدة التي تقرقع في رأسك الآن بالذات».

حسناً! إنه محق جداً بخصوص ذلك. تكلمت نيل قائلة: «لا يمكنني أن أفعل هذا أكثر. أنت تمارس الألاعيب معي زاندر. أنت تجعلني أشعر كما لو أنني محط سخريتك».

بدا كلام زاندر أشبه بالتهديد أكثر مما هو وعد حين قال: «أنت لست محط السخرية هنا عزيزتي. أنا من هو محط سخرية شخص آخر، لكن هذا سوف يتوقف. جل ما أريده منك هو صبرك. أنا أستطيع تفسير هذا الأمر».

- هلاّ توقفت عن قول ذلك؟ وإياك أن تجرؤ على معانقتي.

اعترضت نيل حين أخذ زاندر يخفض رأسه، ثم تابعت قائلة: «أنت تظن نفسك قادراً على معانقتي قبل أن يخرج مني أي اعتراض ضدك، لكنك لا تستطيع فعل ذلك. أنا...».

- إذا كنتما أنتما الاثنان ستبدآن بذلك مجدداً، فيجدر بي أن أترككما لتتشاجرا...

نظرت نيل حولها بذهول، فرأت حماتها تظهر أمامها، وهي ترتدي ملابس جميلة مصنوعة من الحرير الخمري الأحمر. رمشت نيل، وقد دُهشت لكونها نسيت بسهولة أن غابرييلا موجودة هناك أصلاً! بعدئذٍ أصبحت نيل مدركة للأمور الأخرى، كأسلوب وقوف زاندر بالباب. كانت يدا نيل مستلقيتين على صدر زاندر وقد مدّت كفّيها وفتحت أناملها، لكن أسوأ ما في الأمر هو أن جسمها كان متكئاً عليه.

تسارع اللون الأحمر إلى خديها فأحرقهما. يبدو أن زاندر عرف سبب حصول ذلك، ثم فعل بالضبط ما كانت نيل قد طلبت منه ألا يفعله: عانقها!

غمغم زاندر بتهديد بارد حين رفع رأسه مجدداً، فقال: «إياك أن تحركي قدماً واحدة باتجاه الباب، أمي. إنه يوم الحساب، ولن تخرجي من هذا المبنى قبل أن تقومي بواجباتك تجاه زوجتي».

يوم الحساب؟! القيام بواجباتها؟! حدّقت نيل إلى الأعلى نحو زاندر، وقد سيطر الفراغ على ذهنها.

تجاهل زاندر تلك النظرة، وفجأة صار حاداً وعملياً كرجال الأعمال من جديد. فقال: «لندخل إلى الغرفة».

لفّ ذراعه حول كتفي نيل فأدارها نحو الشقة، ثم قادها نحو كرسي، وضغط بها نزولاً لتجلس عليه. أنّبها بخفة قائلاً: «لا ترتعدي كثيراً».

- أنا...

عانقها زاندر بوحشية من جديد.

تكلمت والدة زاندر بنفاد صبر، فيما ظهرت على عتبة الشقة قائلة: «آه! توقف عن ذلك عزيزي. ألا يمكنك أن تبعد يديك عنها لمدة خمس دقائق؟ هيلين لن ترحل إلى أي مكان، مثلما يبدو أنني لن أفعل أيضاً».

ثم أضافت بارتعاشة صغيرة: «يا إلهي! هيلين، كيف يمكنك البقاء في هذا المكان الخالي من الحياة؟ لطالما كرهته. ديمتري لم يتمكن من إقناعي بالبقاء هنا ولا مرة».

قذفها ابنها برد لاذع على ما قالته، إذ قال: «هل تمكن يوماً من أن يجعلك تقومين بما لم ترغبي بفعله؟».

اعترضت غابرييلا قائلة: «آه... هذا غير عادل البتة! من البديهي جداً أن تقف في صف والدك!».

- أنت جعلته بائساً...

أعلنت والدته بغضب قائلة: «بل أنا جعلته سعيداً! كيف تجرؤ على قول ذلك في حين أن زواجك يقف على حافة الهاوية، وقد يقلب ما سأقوله كفّة الميزان هنا؟ أتقف هناك وتحكم على زواجي أنا؟».

فجأة عاد زاندر ووالدته إلى الشجار عبر عرض غرفة الجلوس، لكنهما فعلا ذلك باللغة الإنكليزية هذه المرة حتى تتمكن نيل على الأقل من فهم الكلمات، حتى لو لم تفهم الأسباب الداعية إليها.

نقلت نيل نظراتها من الوجه الأول إلى الثاني، ولم تستطع أن تقرر من سيشتعل أولاً. تساءلت إن كانت لديه أية فكرة عن مدى التشابه بينه وبين والدته؟

- يمكنني أن أحكم على زواجك مع والدي لأنني اضطررت إلى التعايش مع نتائجه.

هزأت والدته قائلة: «يا للصبي الغني المسكين، كم أسيئت معاملته! هيلين... ما هذه القميص التي ترتدينها؟».

أدارت غابرييلا انتباهها بعيداً عن ابنها الغاضب، كي تقذف بعض السخرية نحو كنتها.

- اتركي نيل خارج الموضوع.

تشنجت نيل على الكرسي، وأحسّت فجأة كما لو أنها دمية من القماش.

- أظنها للتو صارت ضمن الموضوع بشكل كبير.

- لعلك على حق.

استنشق زاندر نفساً عميقاً. أما الأمر التالي الذي فعله فهو أنه تحرك، فمشى ليقف خلف كرسي نيل، واستقرت يداه على كتفيها في حركة تملكية. غمغم قائلاً: «هنّيئا، أمي. نيل وأنا سوف ننجب طفلاً، ما يعني أنك ستصيرين جدّة».

١٢ - أحبك

شحب وجه غابرييلا، حتى إن نيل خشيت أن يغمى عليها، فحاولت النهوض على قدميها كي تذهب إليها. لكن يدي زاندر أبقتاها في مكانها، فيما قال: «ابقي حيث أنتِ. سوف تتعافى خلال لحظة».

- لكنها... تشعر بالصدمة.

تدبّرت غابرييلا أن تحرك فمها الشاحب في ابتسامة صغيرة ملتوية، ثم مشت ببطء نحو أقرب كرسي. جلست بحذر على الكرسي، ثم همست معترفة بذهول: «طفل...! الآن... هذه، صدمة فعلية من قِبلك».

تشدّق زاندر قائلاً لنيل: «كما يمكنكِ أن تلاحظي، عزيزتي. والدتي ليست مغرمة جداً بالأطفال».

- ليس الجزء المتعلق بالطفل هو ما يسبب لي النفور، بل الجزء المتعلق بكوني جدّة.

أضافت غابرييلا بشكل مفاجئ: «الآن أفهم سبب إصرارك على أن أفسر كل ما يتعلق بفانيسا و... ابنها».

بدأت نيل تتصلب على الفور، أما قبضة زاندر فاشتدت حول كتفيها بضغط رقيق. قال لأمه: «لطالما رغبت بأن تفسري الأمر، لكنك بكل بساطة اخترتِ تجاهله. لذا ابدأي بالكلام الآن، وإلا -فليكن الله بعوني- سوف أقوم علناً بنكرانك كأم لي، وسوف أعترف بهما!».

بدأت نيل تشعر بالغثيان، فرفعت يدها وضغطت بها على فمها. لاحظتها غابرييلا، فعبرت وجهها الجميل نظرة مبهمة، وتنهدت قائلة: «عذراً هيلين. لا فكرة لديك عما نتكلم، لذا أنت تفكرين بالأسوأ».

www.elromancia.com

قال زاندر بعبوس: «آسف، لم يكن يفترض أن يتحول الأمر إلى معركة أمامك. أملت أن تنامي لفترة أطول، ريثما نتخلص من هذا الجزء أنا وأمي، قبل أن تسمعي أنتِ».

انتفضت نيل قائلة: «أن أسمع ماذا؟ أن لديك عائلة أخرى هناك، وهي أكثر أهمية بالنسبة إليك من أمك أو مني أنا؟».

غمغمت غابرييلا بتفاجؤ قائلة: «هل تعرفين بشأن... فانيسا والصبي؟».

قفزت إلى عيني نيل دموع غبية جديدة، فألقى زاندر يده على أحد خديها الشاحبين، ثم قال بكلام خشن: «ابدأي بالكلام، أمي».

أجفلت غابرييلا لدى سماعها النبرة الحادة الخشنة، فأقرت مترددة: «أقمت... علاقة غرامية مع رجل في مثل نصف عمري».

- وفطرت قلب والدي...

- هو فطر قلبي أيضاً، ففانيسا أكبر من هيلين ببضعة أعوام فقط! كان يستحق إطلاق النار عليه لأنه أخذ طفلة مثلها إلى سريره.

فانيسا؟! ثار اهتمام نيل.

تنفست في ارتعاب مصدوم قائلة: «أأنت ووالدك... أقمتما علاقة غرامية... مع فانيسا؟».

عاد الغضب العارم فغير شكل فم زاندر، وهو ينكر قائلاً: «لا! ليس الأمر كذلك».

هبّ واقفاً واستدار مبتعداً، وقد شد كتفيه التوتر الغاضب.

تنهدت غابرييلا وأعلمته قائلة: «إنك غبي جداً، أليكساندر. ألم تتعلم مطلقاً كيف تصحح أولوياتك؟».

قذفها زاندر بكلام لاسع: «مثلما فعل والدي؟».

- لا يمكنك أن تختار بيننا نحن الاثنين حين تبحث عن الأخطاء، أليكساندر. هذا ليس عدلاً.

صرف ابنها الجملة الدفاعية تلك قائلاً: «أنتِ اتخذتِ لنفسك عشيقاً آخر قبل أن يفعل هو ذلك».

- وهو نال ثأره!

استنشقت غابرييلا نفساً عميقاً، وأعادت انتباهها إلى نيل: «لا يمكنك أن تعرفي شيئاً عن منتصف العمر حتى تصلي إليه هيلين. لا أحد قادر على ذلك، حتى أليكساندر الذي يدعي أنه لم يخطئ قط!».

أصابت غابرييلا هدفها بانتقادها لزواجه من نيل. أردفت: «إن منتصف العمر يتآكل قلبك، ويؤثر على ثقتك بنفسك، فتبدأين برؤية الخطوط حيث كانت النعومة، كما تلحظين قواماً مترهلاً حيث كان كل شيء مشدوداً. ثم ترين النساء الأكثر شباباً يتلقين نظرات الإعجاب التي كنتِ تتلقينها».

- إنك تفطرين قلبي.

- اصمت! أنت رجل. لن تتلاشى كالوردة الذابلة المسنة، بل ستتحسّن مع مرور كل سنة. هذا ما حصل مع والدك. تحسّن مظهره الجسدي، وراح يبدي إعجابه بأولئك النسوة الأصغر سناً، فيما يؤكد لي أنني أبدو جيدة. هل تدرك كم من المؤلم أن أسمعه يقول إنني أبدو جيدة؟

عادت غابرييلا واستدارت نحو نيل مجدداً، ثم قالت لها: «إذا استخدم ابني هذه الكلمة معك يوماً عزيزتي، فجدي لنفسك رجلاً آخر، ومن الأفضل أن يكون أصغر سناً منه...».

تدخل زاندر قائلاً: «إنك تزيحين عن الهدف».

أجابته غابرييلا قائلة: «أتشعر بالخشية تجاه الفارق الكبير بالعمر بينك وبين هيلين، عزيزي؟ عندما تصل أنت إلى الخمسينيات من عمرك، سوف تكون هي في ثلاثينياتها. إنها القمة المطلقة لحياة المرأة!».

أوشك التوتر داخل زاندر أن ينفجر، فقال: «ادخلي في صلب الموضوع!».

تابعت والدة زاندر كلامها بنبرة حادة جارحة قائلة: «أنت على الأقل اخترت أن تجعل زوجتك تحمل طفلك لا عشيقتك. أنا ووالدك من العمر نفسه. أحسست بالأسى حين أخذ اهتمامه يشت عني. إنك

www.elromancia.com

تتمتع بمثل بنيته. أنت رجل حقيقي من آل باسكاليس، ولن تفقد مظهرك الوسيم أو جاذبيتك مع تقدمك في السن».

- ألهذا قفزت إلى ذراعي أول رجل أبدى لك بعض الإعجاب؟

صرّحت والدته من دون خجل قائلة: «لم أقفز، بل فقدت نفسي كلياً في ذاك الطوفان!».

- ألا تخجلين من نفسك؟

وقفت نيل، فقالت: «أعتقد أنه يجدر بي أن أترككما أنتما الإثنين لتنهيا هذا...».

قال زاندر بصوت هادر: «اجلسي!».

رفعت نيل ذقنها فقالت: «لا تكلمني بهذا الأسلوب».

خطا زاندر نحو نيل، وأجبرها بالقوة على الجلوس. لم تره قط على هذا الشكل، وقد اشتعل سخطاً وغضباً. فتحت نيل فمها لتعترض، لكن زاندر بادرها بعناق جديد. استطاعت نيل أن تشعر بالمجهود الذي تطلبه الأمر من زاندر كي يبتعد عنها. توسلها قائلاً: «اصغي إلى ما لديها لتقوله لك... أرجوكِ!».

بعد أن راقبت الأم ذاك الاستعراض باهتمام، شحبت تماماً، ثم قالت: «ابني يحبك حقاً!».

حثها زاندر باقتضاب كي تتابع قائلاً: «هيّا، أمي!».

- أجبرني على المجيء إلى هنا لأنه يعتقد أنك لن تصدقي ما سيقوله حيال... فانيسا دي فريس.

تدخل زاندر قائلاً: «الكاذبون يخسرون الحق بأن يصدقهم الآخرون».

استدارت غابرييلا نحو نيل مجدداً، ثم استنشقت نفساً عميقاً، و أخيراً نطقت قائلة: «زوجي هو الذي أقام علاقة غرامية مع فانيسا. أخذ تلك المرأة إلى سريره كي ينتقم مني. حين انتهى الجنون بيننا، أدركنا أننا لا نستطيع العيش بعيداً عن بعضنا البعض، ثم تعاهدنا ألاّ نتكلم مجدداً عما حصل».

تمهلت غابرييلا كي تستنشق نفساً، ثم تابعت قائلة: «سار كل شيء على ما يرام لبضعة أشهر بالفعل، واستمتعنا بنعيم شهر عسل ثان».

اتشحت عيناها السوداوان بلمعان كئيب قبل أن تكمل: «ثم جاءت فانيسا إلى ديمتري، فأخبرته أنها حامل بطفله. كل شيء تلاشى في تلك اللحظة...».

فكرت نيل وهي تصغي إليها بأن الأمر أشبه بالاستماع إلى سرد غريب لقصتها مع مارسيل. رفعت نظرها نحو زاندر كي تجد نظراته الحادة مثبتة عليها. تكلم زاندر بنبرة مشدودة، وقد قرأ ما تفكر به قائلاً: «أعلم. هذا هو السبب الذي جعلني أعرف أنكِ لن تصدقيني لو أخبرتك الأمر بنفسي».

ضحكت غابرييلا بتصلب وهي تتابع: «لم يقوَ ديمتري على إخفاء ابتهاجه. شعرت أنني سأخسره مجدداً، فأصابني الرعب. تناولت جرعة زائدة من العقاقير، فاضطروا إلى نقلي بشكل طارئ إلى المستشفى بالمروحية. عندما زال عني الخطر، كان ديمتري قد صار رجلاً مختلفاً. توسلته ألا يقابل فانيسا وطفلها مطلقاً، فوعدني بذلك، والتزم بكلامه فلم يذكرهما قط من جديد».

تدخل ابنها قائلاً: «سلمني أنا مسؤولية فانيسا وابنها غير المولود بعد، وأعطاني التعليمات بألا أتكلم عنهما مطلقاً، لأنه لم يشأ أن يسبب لك الكرب مجدداً».

- وأنت لم تغفر لي قط.

- الطفل له حقوق، وأنت لم تمنحيه أياً منها. لست أنسى الساعات العديدة من الدعم العاطفي التي تطلبها كل من فانيسا وابنها حالما ولد الطفل. أصبحت أباً من دون أن أكون قد لعبت دوراً في عملية الحمل، ولا أتذكر أبداً أنك شعرت مطلقاً بالأسى تجاه ورطتي.

- لم تكن مضطراً إلى لعب الدور إلى أقصى حدوده.

نفث زاندر كلامه بسخط عارم قائلاً: «إنه أخي غير الشقيق! نصفه من لحمي ودمي!».

www.elromancia.com

قالت والدته وهي ترتجف: «إنك مستعد لأن تضحي بي لأجلهما تماماً مثلما كان والدك مستعداً لذلك».

قال زاندر بعبوس: «لا!».

ذكرته غابرييلا قائلة: «هدّدتني للتو بذلك، أليكساندر. والدك فعل الأمر نفسه».

تشدق زاندر قائلاً: «تعلمين أنني كنت لأجيب بلباقة على هذه المحاولة بالتلاعب على تعاطفي معك، لولا أنك منذ دقائق فقط قبل دخول نيل، كنتِ ما زلتِ ترفضين التضحية بغرورك لصالح إنقاذ زواجنا».

تقبلت غابرييلا هذا الاتهام الأخير بابتسامة صغيرة ملتوية، ثم استدارت لترحل.

توسلتها نيل بصوت أبح: «لا... لا ترحلي! أنتما... كلاكما بحاجة لأن تحلاّ هذه المسألة...».

نظرت غابرييلا إلى وجه كنتها القلق ثم إلى وقفة زاندر الصلبة كالصخر، وكشّرت قائلة: «إنك فتاة لطيفة، هيلين. سوف تكونين أماً جيدة لحفيدي. دعينا نأمل أن يكون ابني أباً جيداً، لأنني أظنه ينسى أنني لم أكن الوحيدة التي تركته لأجل حب آخر».

مشت غابرييلا بعد ذلك مبتعدة، وتركت نيل عديمة الحيلة تحدق بها، فيما استمر زاندر بالوقوف مكانه. استدارت نيل نحوه قائلة بإلحاح: «الحق بها. إنها أمك، بحق الله! إنك تحبها. أنت تعلم ذلك... الهفوات والآثام تشبه بعضها!».

استمر زاندر بالوقوف من دون حراك، فتوسلته نيل قائلة: «إذا سمحت لها بالرحيل الآن، فلن تراها مجدداً، فكلاكما مليئان بالغرور الذي يمنعكما من التراجع! أظنك أكبر من هذا زاندر. أرجوك!».

لم تكن نيل بحاجة لأن تضيف الجزء الأخير، لأن زاندر استدار حول نفسه مطلقاً زمجرة غاضبة. مشى بخطوات واسعة خلف والدته. راقبت نيل يدي زاندر تمتدان لتلتقطا كتفي غابرييلا، ثم رأته من خلال

طبقة رقيقة من الدموع يدير والدته فيحتضنها. التقطت نيل نبرات باللغة الإيطالية الأبحة، وأحست أن قلبها يرتعش، حين أفلتت غابرييلا زمام السيطرة على النشيج المكبوت. استدارت نيل بعد ذلك مبتعدة، وبدأت ترتعد كالورقة، فهي ما تزال مرتبكة جداً بكل ما أخبراها إياه. اتجهت إلى المطبخ تاركة الأم وابنها بمفردهما ليسويا خلافاتهما، فيما حاولت أن تفعل شيئاً كإعداد القهوة.

ظلت نيل تشعر بالغرابة الشديدة، حتى إنها لم تسمعه وهو يصل إلى باب المطبخ. جاء السؤال من خلفها: «أأنت بخير؟».

ضغطت على شفتيها سوياً، ثم أومأت له إيجاباً. لم تكن واثقة إن كانت تريد أن تنظر إليه قبل أن تقرر إن كانت تكرهه لتعريض والدته لتلك المحنة، أم تحبه لأنه فعل ذلك من أجلها. تحسست بأناملها الكوب الخزفي الصيني الذي أعدّته لقهوتها، وقالت: «أتريد مشروباً؟».

أومأ زاندر بالإيجاب، ثم همهم تنهيدة حذرة، وقال: «نيل! نحن بحاجة لأن...».

- الهاتف يرن.

أصغيا إلى الهاتف لبضع لحظات مرعبة، فيما اعتصرت نيل عينيها مغمضة إياهما، آملة أن يذهب زاندر ليجيب على المكالمة. أما زاندر فأرادها أن تستدير لتنظر إليه. كانت واثقة من ذلك لأنها استطاعت أن تشعر بنظراته تخترق إنحناءة رقبتها. بعد لحظة عاد إلى مكتبه.

بعد مرور عدة دقائق استجمعت نيل قواها، فحملت كوبين من القهوة الطازجة إلى مكتبه. كان زاندر ما يزال يتكلم عبرالهاتف، وقد ألقى رأسه إلى الوراء، فيما كانت عيناه مغمضتين. لاحظت نيل أنه يبدو متعباً. عبرت الأرضية الواسعة نحو المكتب، فلاحظت أهدابه تومض، فيما أشاح بنظره بعيداً على الفور.

غمغم زاندر فيما وضعت نيل أحد الكوبين أمامه: «شكراً».

ألقت نيل نظرة وجيزة نحو وجهه، قبل أن تعود فتستدير مجدداً.

www.elromancia.com

قال زاندر: «ابقي».

أمطرها صوته بارتعاشات واخزة. فيما تابع: «اجلسي! لن يطول بي الأمر هنا سوى بضع لحظات».

غرقت نيل في الكرسي المجاور لمكتبه، وتساءلت لِم تُراها تشعر بغرابة شديدة بوجوده بعد أن تمّ تفسير كل شيء؟ لاحظت أنه يتكلم باللغة اليونانية. بدا صوته العميق هادئاً، وهو يطرح أسئلة استفسارية بصوت منخفض، فيما لم تظهر أي آثار للأوامر الحادة، كما لو أن أحدهم أطفأ صرامته المعتادة. أعاد الهاتف بهدوء إلى مكانه. رفع زاندر كوب القهوة، ثم نظر نزولاً نحوه، وقال: «كم ملعقة من السكر يا سيدتي الجميلة؟».

- ملعقتان مملوءتان.

أظهر زاندر ابتسامة ملتوية، ثم رفع الكوب إلى شفتيه وشرب. هبت نيل واقفة على قدميها كالرصاصة، وصاحت به قائلة: «كف عن ذلك».

نظر زاندر نحوها قائلاً: «أكف... عن ماذا؟».

- الهزء بكل تلك... الأشياء التي تداولناها اليوم.

- هل انتهينا منها؟

عبست نيل لسؤاله. قالت: «أمك... هي أمك».

- أمن المفترض أن يبدو هذا منطقياً بالنسبة إلي؟

- إنها ما هي عليه، وعليك أن تتقبل ذلك.

ذكرها زاندر قائلاً: «أنا أفعل... على قدر ما أستطيع. المشكلة التالية».

قال ذلك كما لو أنهما في اجتماع عمل، ما جعل نيل تبدأ بالغليان. قالت: «أنا غير معجبة بك».

اعترفت لنفسها بغير سرور أنها تحبه طيلة الوقت، لكن الحب لا علاقة له بالإعجاب، أم بلى؟

- إنك تسبب الأذى للآخرين، ويبدو أنك لا تأبه حين تفعل ذلك.

لاقى إعلانها السكوت. شبكت نيل ذراعيها فوق صدرها، وحدقت

نزولاً نحو قدميها.

- كان يجدر بك أن تطلعني على الحقيقة بخصوص فانيسا.

- كان يجدر بكِ أن تطلعيني على الحقيقة بخصوص مارسيل.

- ذاك أمر مختلف.

- لماذا؟

- لأن فانيسا كانت مسألة خلاف عندما تزوجت بي. كان يجدر بك أن تخبرني الحقيقة حالما علمت بأمرها، عوضاً عن أن تتركني أمضي الإثني عشر شهراً التاليين وأنا أتخيلك بين ذراعيها!

سمعت نيل تنهيدة من خلفها، أما الصوت التالي فكان صرير كرسيه وهو يقف على قدميه. وصل ذقن نيل إلى صدرها ما إن جاء زاندر ليقف أمامها. أطبق زاندر يديه حول خصر نيل من دون أن يقول أي كلمة، ثم حملها لتجلس على مكتبه. بعد ذلك، فك ذراعيها المشنيتين بحزم ولفهما حول عنقه. قال زاندر: «حسناً! بما أننا أصبحنا أكثر استرخاء سوف أفسر. وقعت بحبك خلال ثانيتين بعد دخولك الباب الأمامي لمنزل والدك، يوم رأيتك لأول مرة...».

اتسعت عيناها الخضراوان بصدمة وعدم تصديق. هزأ زاندر منها قائلاً: «هل حصلت على انتباهكِ الآن؟ هل أنتِ مستعدة إلى التعلق بكل كلمة أقولها، وأنتِ منقطعة الأنفاس؟».

- أنت لم تحبني مطلقاً حينها، وإلا لما تركتني ليلة زفافنا وأنا أظن ما ظننته.

- ما دمت ترجعين إلى تلك اللحظة التي لا تُنسى... عندما وقفتِ أمامي برداء زفافك، وأخذتِ تصرخين في وجهي، بدوتِ جميلة، جريحة، وفتية إلى درجة تفطر القلب... كان أمامي خياران، إما أن أتركك هناك أو أن أرميكِ على السرير وأغتصبك. غضبت منك لأنك صدقتِ ذاك الهراء، وغضبت من نفسي لأنني لم أتوقع حصول ذلك. أتظنين أن فانيسا هي السر الوحيد الذي يحمله رجل مثلي؟ لطالما حاولت نساء أن يغششنني بأطفالهن ويتهمنني بالأبوة، وحاولت

www.elromancia.com

أخريات ابتزازي. بعضهن تسللن إلى سريري خلال الليالي، أو زحفن عبر النوافذ في محاولة للوصول إلي.

تشدقت نيل بمرارة قائلة: «آه! لا تكن متواضعاً، أخبرني ببقية الأمور».

- لِم تظنين أن جهاز الأمن لدي متشدد جداً؟ هل ترغبين بمعرفة كم تكلفت من الأموال الطائلة من أجل إبقاء قصص مماثلة بعيداً عن متناول الصحافة خلال سنوات؟ فانيسا كانت الاستثناء. لم أستطع التنكر لوعدي بالصمت والحماية الذي تعهدت به لوالدي وهو على فراش موته.

- ولا حتى لي أنا؟

وبخها زاندر قائلاً: «علمتُ أنني كنت أنانياً إلى حد لا يغتفر، إذ دفعتك للزواج بي وأنتِ يافعة جداً. عندما راقبتك تمثلين تلك التراجيديا الصغيرة، اكتشفت كم كنت أنانياً. تراءى لي كيف ستقوم كل امرأة غيورة بهمس قصة ما في إذنكِ. بدا الأمر أشبه بأخذك إلى الذبح، ثم الوقوف متفرجاً فيما يتم سلخ جلدك».

ارتجف فمها الرقيق وهي تقول: «ألهذا هجرتني؟».

تنهد زاندر قائلاً: «عندما تركتكِ في روزمير، فعلت ذلك وأنا عازم على تحريرك مني، لكنني لم أقدر على ذلك. لم أقوَ على الابتعاد عنك! ليلة عرضتُ عليك أن نعيد التفاوض بعقدنا، كانت تلك المرة الوحيدة التي كنت فيها مستعداً لتمزيق ذاك الشيء اللعين وإطلاق سراحك. ما شعرت أبداً بسعادة مماثلة لما شعرت به حين رفضت عرضي. أفلتُّ من الشباك لبضعة أشهر أخرى إلى أن نال مني ضميري مجدداً. حينها ظهرت صورتي الثانية مع فانيسا في الصحف، فحطمت سيارتك بالحادث. لم أشعر بمثل ذلك الحد من الحقارة والنذالة طيلة حياتي!».

قالت: «يسرني أن أعلم أنني لست الوحيدة التي انتابها ذاك الشعور».

ابتسم زاندر، وقال: «آه! لكن ذلك حصل قبل أن أعرف بأمر الرجل الآخر في حياتك. أتظنين نفسك شعرت بالغيرة من فانيسا؟ أنت بالكاد لامست سطح الغيرة يا عزيزتي، ولم تصلي إلى القعر. أما أنا فقد تحركت في الغيرة مباشرة وصولاً إلى جذورها».

اقتربت نيل منه قليلاً في محاولة لمعانقته، قائلة: «أحبك عندما تكون بدائياً».

أرجع زاندر رأسه إلى الوراء، وقال: «أنا أتكلم بجدية!».

- ماذا علي أن أقول؟ هل أحضر حراسك الشخصيين كي يقيدوك إلى جذع شجرة، فأعذبك لأنك شعرت بالانجذاب إلي بشدة، ولم تدعني أرحل؟

صحح لها زاندر بنعومة: «لأنني أحببتك بشدة».

- أولست أنت المحظوظ لأنني أحببتك كثيراً لدرجة أنني لم أستطع الهروب؟

عبس زاندر تجاهها، وقال: «ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟».

هزت نيل كتفيها قليلاً بتكاسل، ثم قالت: «مارسيل كان يقود بي السيارة عائداً إلى روزمير حين اصطدمنا بالشجرة. ظننت أن تقرير الشرطة الذي بحوزتك أطلعك على ذلك الأمر».

غمغم زاندر مذهولاً: «لم أحظَ أبداً بالفرصة لأقرأ التقرير بأكمله. أنا فقط قرأت الجزء المتعلق بكونك جالسة في الكرسي المجاور للسائق، فأصبت بالجنون».

هزت نيل رأسها، فأطلق زاندر تنهيدة، ثم رفعها بين ذراعيه وحملها، ومشى بخطى واسعة عبر الغرفة.

سألته نيل ببراءة: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

تشدق زاندر: «احزري! إذا كان يفترض بي أن أدفع كفّارة عن ذنوبي، فسوف أفعل ذلك في مكان مريح».

وهذا ما فعله...

* * *

rouelromancia.com

بدت الجزيرة غارقة في حرارة ما بعد الظهر البالغة الحر والرطوبة، حين بدأت المروحيات بالوصول. راقبت نيل من مكانها عبر نافذة غرفة الحضانة مارسيل وهو يقفز نزولاً على الأرض، ثم يمشي نحو البركة المتألقة. بدا مطلق الروعة إلى درجة أن نيل أطلقت تنهيدة أخوية صغيرة. تصاعدت صرخة ابتهاج مفاجئة، ثم اندفع لملاقاته صبي صغير يرتدي سروال السباحة القصير.

غمغم زاندر بتنهيدة تدل على الأسى: «إن صورتي كبطل ومثال أعلى سوف تبهت اليوم بوجود أخيك».

واسته نيل قائلة: «لا تبالِ! إن ابنك الحقيقي يعبدك. انظر إلى أمك ووالدي يراقبانهما سوياً. إنهما يبتسمان في الواقع. لابد أن هذه هي المرة الأولى بالنسبة إلى كليهما».

قال زاندر: «هذا يسمى بالرضوخ للقدر. فإما أن يتقبلا عائلتنا كما هي، وإما أن يعيشا في عزلة».

- من كان ليظن أن غابرييلا ستبدو مذهولة بابتنا إلى هذه الدرجة.

دافع ابن غابرييلا عنها بوفاء قائلاً: «لِم عساها لا تفعل، فابني يشبهني تماماً؟».

تذمرت نيل وهي تستدير مبتعدة عن النافذة كي تذهب وتنحني فوق سرير طفلهما، حيث استلقى ديمتري باسكاليس وهو يركل بسرور ورضى. أعلمت نيل الطفل ذا العينين الواسعتين قائلة: «أنت تعلم أنني أحبك، لكنني ما زلت لا أظن من العدل أنك لم تختر حتى أن تأخذ مني لون عيني الخضراوين».

أطلق الطفل ضحك مبتهج. فلم يأبه لكونه يبدو شبيهاً تماماً بوالده الأسود العينين.

أنّبته نيل قائلة: «أيها الفظ! لكنني سوف آخذ بثأري».

أنهت كلامها بتحدٍ، فسألها زاندر: «وكيف تنوين أن تفعلي ذلك؟».

انسلت نيل بسهولة تحت ذراع زاندر المنتظرة. وابتسمت بإحدى

ابتسماتها التي تقول له «انتظر وسترى». قادها زاندر خارج الغرفة، وغمغم قائلاً: «أرى أن الساحرة الشريرة تعدّ اللعنات مجدداً».

دخلت ثيا صوفيا غرفة الطفل بعد مغادرتهما، فجلست على الكرسي المريح المجاور لمهد الطفل. أخرجت أشغالها اليدوية، وهمّت أناملها المجعدة بالعمل، فيما أخذ الطفل يحادثها. سوف يغفو خلال دقائق قليلة، فيستسلم للنوم خلال رمشة عين. لكن إلى حين حصول ذلك ستبقى ثيا صوفيا متنبهة له دوماً. تمشى زاندر مع نيل نحو غرفة نومهما المشمسة، فأدارها لتواجهه. قريباً سوف يتوجب عليهما أن يرتديا ملابسهما لحضور الحفلة التي ستتم الليلة. لكن برأي نيل أن هذا أمر مؤسف، فهي تفضل أن يبقى زاندر بملابس فضفاضة فهو يبدو أكثر جاذبية. وقالت: «إنه عيد مولدي. لذا يُسمح لي بمكافأة».

غمغمت نيل ذلك بعدم حيلة، فتلقت مكافأتها عندما عانقها زاندر عناقاً شغوفاً. لم يتطلب الأمر منهما طويلاً حتى يضيعا في بعضهما. اصطحب نيل إلى السرير، وأمضى برفقتها لحظات حميمة مليئة بالحب والشغف. فيما تبادل بقية أفراد العائلة الأحاديث بجوار بركة السباحة.

بعد مرور ساعتين من الوقت نزلا إلى الطابق السفلي. لابد أن ضيوفهما يعتقدون أن نيل أمضت طيلة فترة ما بعد الظهر في العناية بمظهرها الأنيق الباهر أما هي فحققت ذلك خلال نصف ساعة فقط!

ارتدت نيل فستاناً من القماش الحريري الناعم الملاصق لجسدها النحيل من اللون الأزرق السماوي. فيما التمعت حول عنقها، مجموعة من الأحجار الكريمة الماسية الزرقاء. رفعت نيل شعرها لتبرز عقدها، الذي أهداها إياه زاندر بمناسبة عيد مولدها. ظهرت على وجه زاندر تكشيرة عندما تحدثت والدته إلى زوجته وهنأتها على هذا التوهج الرائع الذي تتمتع به بفضل ساعتين من التدليل.

انفصل زاندر ونيل، فرقصا وجالا بين ضيوفهما الخمسين. ضحكا وأغاظا بعضهما البعض ممازحين وتغازلا، ثم ذهبا سوياً إلى الشرفة كي يختطفا لحظة من الخصوصية.

أمسك بها زاندر أمامه، وسألها: «أسعيدة أنتِ؟».

غمغمت نيل غير واثقة: «همم!».

أمسكت نيل بإحدى يديه وأزلقتها فوق بطنها، ثم أسرّت له بنعومة: «أظن... آن الأوان مجدداً للعناية الرقيقة العطوفة».

أدارها زاندر نحوه، وقد ظهر لمعان غامض في عينيه وهو يقول: «أتعنين أنك حامل؟ لكن ابننا يبلغ فقط العشرة أشهر من العمر!».

أخبرته نيل قائلة: «أرغب بطفلة أنثى هذه المرة، ذات شعر أحمر وعينين خضراوين. كما أنك فعلاً فاشل في عملية تحديد النسل».

- آه! إذاً سيقع اللوم علي أنا مجدداً.

- بالطبع!

قالت نيل ذلك ثم لفت ذراعيها حول عنقه وانحنت بإغواء نحوه، ثم أردفت: «أنت لا تخيب الظن مطلقاً».

www.elmanara.com